

معالم التاريخ الإسلامي المعاصر

من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية

ظهرت خلال (القرن الرابع عشر الهجري)

توزيع
دار الإصلاح
للطبع والنشر والتوزيع

أنور الجندى

معالم التاريخ الإسلامى المعاصر

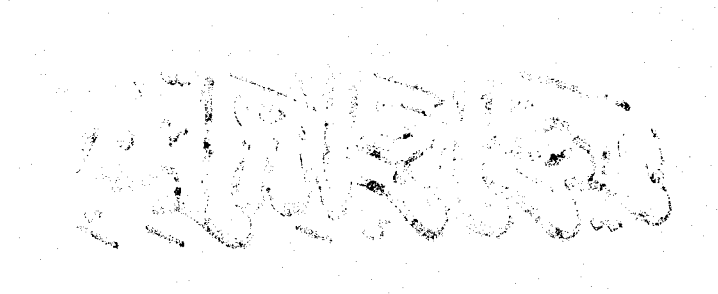
من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية

ظهرت خلال (القرن الرابع عشر الهجرى)

دار الاعتصام

معـــالم
التاريخ الاسلامى المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم



ثبت تفصيلى للوثائق

بسم الله الرحمن الرحيم

ضـوء على البـحث

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

ان تاريخ الاسلام المعاصر وقد حفل بتلك الأحداث الخطيرة التى جرت على ساحة القارة الاسلامية منذ بدأت الحملة الاستعمارية على الهند واندونيسيا ثم على الجزائر والبلاد العربية فى محاولة وصفت بأنها ترمى الى تطويق عالم الاسلام ، هذه المؤامرة الخطيرة التى كانت بمثابة عودة الحرب الصليبية مرة أخرى الى بلاد المسلمين بعد أن هزمت آخر قوافلها قبل أربعمائة عام ، هذه المؤامرة التى كتبت عنها مئات الأبحاث وصدرت عنها عشرات المراجع ، ما زالت فى حاجة الى تأصيل ، وذلك بتقديم مجموعة من الوثائق التى صدرت فى السنوات الأخيرة وكانت محجوبة حتى لا يهتدى المسلمون الى حقائق الأمور والى المصادر الحقيقية للخطط التى رتبتها القوى الغازية التى تجمدت تحت ألوية النفوذ الغربى والصهيونية والشيوعية بهدف احتواء عالم الاسلام والتى صدرت فى الأساس عن مخطط دقيق موضوع استهدف اعلان حرب الكلمة على العالم الاسلامى بعد أن فشلت الحرب العسكرية فى الحروب الصليبية فكانت تلك الخطط التى استهدفت ضرب مفهوم الاسلام نفسه واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الغربى وتأويله واخراجه عن مفهومه الأصيل الجامع ، فى سبيل تحقيق غاية مستورة بعيدة المدى هى القضاء على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الواضح الذى أعطاه الاسلام لهذه الأمة لتكون أمة مفردة بأهدافها وغاياتها ، تحمل راية التوحيد الخالص الى آخر الزمان وتقدمه الى العالمين وبها يظهر الله الاسلام على الدين كله ، ومن هنا كانت الحرب عليها من القوى التبشيرية والاستشراق والشعوبية ، ومن قوى الايدلوجيات الغربية الراسمالية

والماركسية ومن قوى المطامع الوافدة كالصهيونية والهندوكيـــة وعثرات النحل والمال . لقد كتب تاريخ الاسلام المعاصر من وجهة نظر اقليمية وقومية وماركسية وحاولت قوى متعددة اخضاعه للتفسير المـــادى للتاريخ وكلهـــا محاولات باءت بالفشل ولا ريب أن وضع هذه الوثائق بين يدى الباحث المسلم من شأنها ان تلقى أمامه اضواءا ساطعة على الأحداث وأن تكشف له كثيرا من الزيف والخداع ومحاولات التآمر على الأمة الاسلامية وفى يقينى أن هذه الوثائق سوف تعين على حسن الوجهة وصدق الهدف فى التعرف على حقائق الأمور والله نسأل ان ينفع بهذا العمل الباحثين فى مجال تاريخ الاســـلام المعاصر والدارسين وأصحاب الوجهة الخالصة لله تبارك وتعالي والله من وراء القصد .

انـــور الجنـــدى

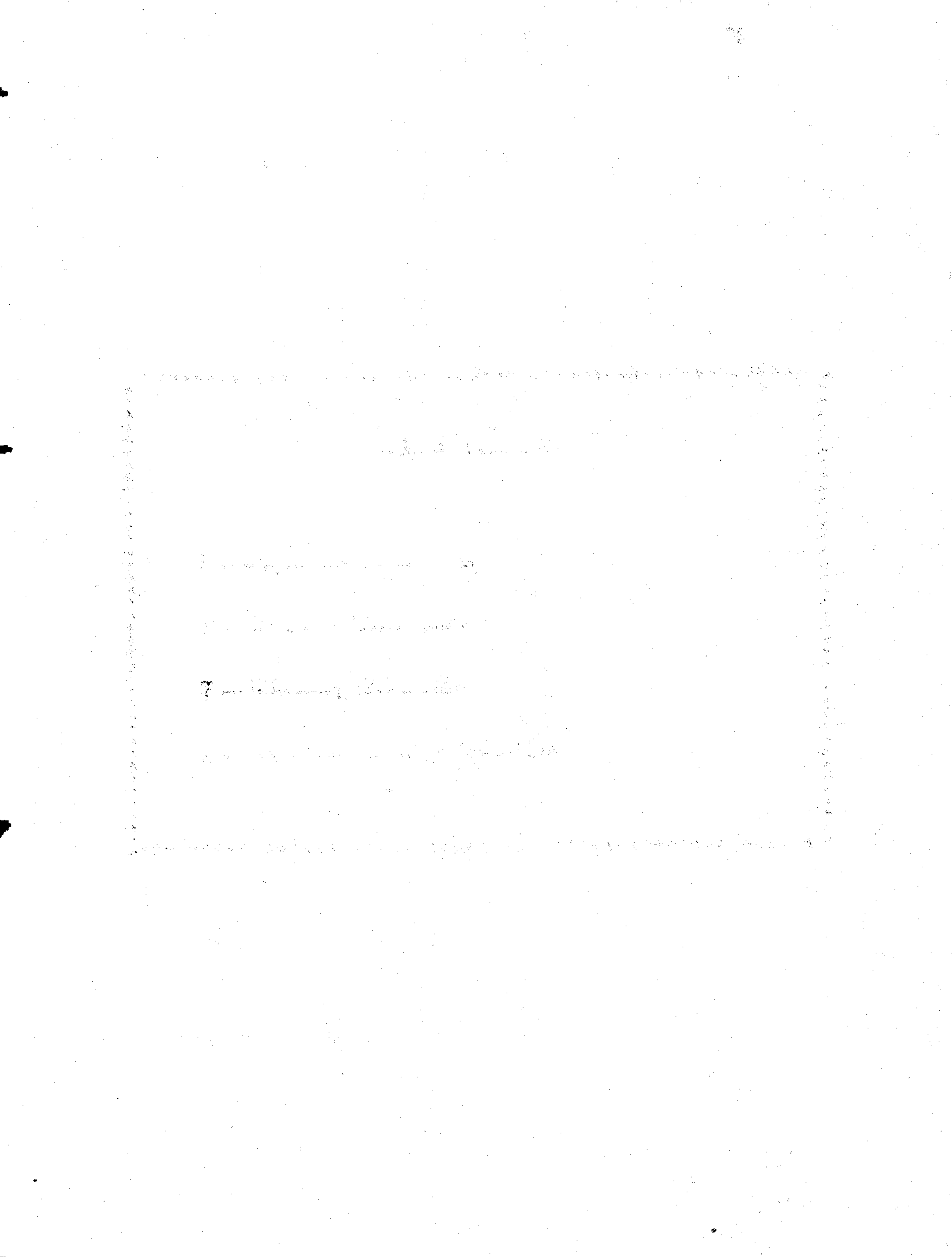
عالميــة الاســـلام

١ ــ عالميـــــة الاســـــلام

٢ ــ الجامعـــة الاســـــلامية

٣ ــ انتشــــار الاســـــلام

٤ ــ القوة العســـــكرية الاســـلامية



(١)

عالمية الاســـلام

قسم مكدوجل الشرائع الى عالمية وقومية : فالعالمية هى الاســـلام والمسيحية والبوذية .

والقومية هى اليهود والبراهمة والبابنين والصينيين فأنها تحـــدد مراميها فى جماعة أو قبيلة أو أمة أو دولة يعينها لان تعاليمها لا يمكن أن تناسب جميع البشر .

أما الشريعة العالمية فهى التى تعمل للسيطرة على العالم .

والشريعة المسيحية روحية بحتة لم تتدخل فى الشئون السياسية بل تركت ما ليقصر لقيصر وبذلك طغت تعاليمها على النظام القومى فجردته من العنصر السياسى ، لانها تعمل على غزو العقائد والأوضـــاع القومية بغير تمييز ولا تفرقة بين جنس وجنس ، وهدفها انحلال القومية وجعل العـــالم كله خاضعا للسيطرة الروحية .

يقول مكدوجل : أما تاريخ الاسلام فانه يضرب لنا أقوى الأمثال على اتجاهات الشرائع العالمية وقوتها . فان النبى محمد استطاع أن يغـــرس نظامه الخلقى ومبادئه العالمية فى شـــــعب على حالة الفطرة والبداءة ، وسرى نظام الاسلام سريان الماء فى العود اليابس فأعاد اليه الحياة واكتســـح تياره كل العقبات وتكشف عن قوة فائقة فى النماذج والتمثل . وخضعت له شعوب متباينة الأجناس والأشكال متغايرة الألوان من بيض وسود وصفر وكان خضوع هذه الشعوب عن رضى وايمان وتبخرت بفضله شرائع متنافرة المبادىء مختلفة العقائد . ذلك لأن نظام الاسلام سوى بين الناس وجعلهم صفا واحدا ومحا بينهم من فوارق الجنس واللون والطبقة وحطم الحواجـــز التى كانت بين أبناء الشعوب وسوى بين الرجل والمرأة .

(لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء الا بالتقوى والعمل الصالح)
ويرجع هذا الانشاء بين المسلمين مساواة مطلقة فى الدين والدنيا .

(١) المساواة بين المسلمين مساواة مطلقة فى الدين والدنيا .
(٢) بساطة تعاليمه وقربها من الفطرة .
(٣) النماذج فى كثير من عناصر الجيس والثقافة وتلاقح الأمزجة من صنوف البشر .

وسرعان ما أخذت تهوى هذه المدينة الشامخة لتفكك الشرائع القومية التى غزاها الاسلام ودخلت فى حوزته .

ولا مراء أن الاسلام ينتشر فى الأمم التى تعيش على الفطرة والبداوة وانه كلما التقى بالمسيحية فى ميدان التنافس الحر صرعها وتغلب عليها .

وكثيرا ما سمعنا من البعض أن المبادىء الخلقية الاسلامية مخالفة بطبيعتها التقدم فى شئون الحياة وهذا افتراء لايقول به منصف وتدحضه وثبة الاسلام القوية فى أول عهده وما تخللها من التماسك الروحى والحماسى القومى وما يظهر من دلائل الايمان والقوة والمرونة .

* * *

حين كان المسلمون ٢٥٠ مليونا كانت المسيحية ٦٠٠ مليونا والبوذية ٥٠٠ مليون . ظهرت الشيوعية كدين ١٩١٧ ونجحت على حساب المسيحية .

الاسلام يغطى مساحة من الأرض تعادل نصفها ولكن العدد ثلث سكان العالم (الف مليون) .

البوذية مشطوب عليها ، والمجوسية محاها عمر رضى الله عنه اما البرهمية فقد انتهت كدين وان بقيت كتراث .

يقول جى دريوشير فى كتابه تشريح جثة الاستعمار : ان اى دراسة لتاريخ الاستعمار ولو سطحية تضطرنا الى التسليم بأن اوربا على طول القرن هى القارة الوحيدة التى أفرزت هذا الشكل من أشكال التوسع .

لتنتقض عرا الاسلام عروة عروة ، فأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة

حديث شريف

* * *

(٢)

الجامعـة الاسـلامية

يقول هـ . ج . ولز فى حديث مع أمين الريحانى : ان القرآن هو عروة للاسلام الوثقى . أو على الاقل وسيلة يحسن استخدامها فى تحقيق الوحدة الاسلامية ، وان وحدة أى أمة من الامم مقيدة لها ولغيرها ، فالوحدة تعيد اليها كرامتها وتوجب عليها القيام بعهودهـا ، أما الاسلام لليوم فمشتت الشمل مبدد القوى ولو لم يكن لدى المسلمين واسـطة الى الاتحاد لوجب عليهم اختراعها ولكن كتابهم خير واسطة . واذا كانت انجلترا فى خط من الاحتلال الأجنبى العربى فرضا وكان ابناؤها مشـتتى الشمل مبددين فى اربع زوايا الأرض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، فلا أتردد فى دعوتهم الى الأنجيل بل أتخذ الكتاب المقدس شـارة جنسـية وعلما وطنيا وعروة شاملة فى الوحدة القومية » الهلال ــ ١٩٢٢ .

ومع وضوح هذا المعنى فى ذهن الأوربين فقد قامت قيامة الاستعمار على الدعوة الى الوحدة وتأجيج المخاوف حول الجامعة الاسلامية .

يقول مصطفى كامل : ان المسلمين يريدون الأخوة الاسـلامية ولكن الأوربيون خلقوا للجامعة الاسلامية معنى سياسيا يبعث الرعب فى النفوس ويحل اليأس محل الأمل فى بقاء الأوربيين مستبدين بالأمم الاسلامية وأقل مظهر من مظاهر الحياة بين وعلى حدود أملاك الدول الاستعمارية يزعجها جميعا وكل علامة من علامات التقدم توحى الى خطر يهدد تلك الدول ، بينما النهضة الاسلامية خالية من كل روح عدوانية وانما هى نتيجة لاستيقاظ تلك الأمم من السبات العميق الذى أصابها ورغبها فى التخلص من النفوذ الأوربى الذى يعمل على تأخر المسلمين أكثر مما يعمل على تقدمهم ، وقد بالغوا فى القول بأن الجامعة الاسلامية اذا تركت وشأنها تؤول بلا شك الى ضـياع المدنية الحديثة التى هى ثمرة أعمال البشر فى القرون كلها .

وقد استمعت أوربا الى أقوال المستشرقين فيما سـموه بالجامعة الاسلامية وهى آراء يكتنف الخطأ معظمها وان النهضة الاسلامية ليست الا يقظة المسلمين فى سـائر الأقطار لمقاومة الظلم الواقـع عليهم (العبارة منقولة من كتابات عبد اللطيف حمزة) . وقال مصطفى كامل :

« ان الجامعة الاسلامية ليست فى الواقع الا شـعورا عاما لدى المسلمين بالظلم وشكايات متكررة من وقع هذا الظلم » .

وفى ظل هذا الخوف ظهرت كتابات تدعو الى مشروع للخلافة العربية يحل محل الخلافة الاسلامية .

فقد كتب بلانت فى كتابه مستقبل الاسلام ، يقول :

ان العالم الاسلامى قوة كبيرة وان المدبر لأموره سيكون قويا واسـع السلطان وان نابليون كان من أغلى أحلامه تحقيق تلك الأمنية وان مركـز الخلافة الاسلامية يجب أن يكون المدينة او مكة ، وان خليفة المسلمين يجب أن يكون رئيسا دينيا لا ملكا دنيويا .

(راجع المسالة الشرقية لمصطفى كامل ص ٢٨)

وفى مواجهة هذا الخوف هاجم كرومر الاسلام نفسه ووصفه بانـه دين صحراوى ، وقد رد عليه الكثيرون منهم مصطفى كامل وفريد وجـدى وغيرهم .

قال مصطفى كامل : كان من المنتظر من اللورد كرومر وهو الحـاكم المطلق على أمة غير أمته لها آداب غير آدابه وعادات غير عاداته أن يتقرب ما استطاع من نفس الأمة التى يحكمها ليقف على شىء من أفكارها وليجذب اليه ثقتها واخلاصها الى انه كان من المنتظر منه أن يخفف من مرارة الحكم المطلق فى النفوس باتباعه سبيل المسـتبدين الشرقيين فى احترام آداب الأمم التى يحكمونها والوقوف بأنفسهم على عاداتها وتقاليدها ، ولكن قصر اللورد ولم يفعل ما فعله بونابرت من قبله ، يعيب اللورد دين الاسلام بأنه مجموع مبادىء صدرت منذ أكثر من الف عام لادارة شئون جمعية فى حالة البداوة ولايمكن أن توجد فى الدنيا اساءة فى اختبار الفاظ لمعان مثل اساءة اللورد فى اختبار لفظه « صورت » لمبادىء دين يعتنقه الملايين من الناس .

« واذا كان يعد من عيوب الديانات تقادم العهـد عليها وعدم تغيير مبادئها فلعل اللورد لا يجهل أن المسيحية أقدم عهدا من الاسلام بخمسـة أو ستة قرون ومع ذلك لم يخطر ببال أحد من أعدائها أن يعيبها بقدم عهدها فاذا كان اللورد يعيب الديانة الاسلامية بقدم عهدها وعدم تغير مبادئهـا فأولى به أن يعيب دين أمته لانه دين المسيحية الأولى ولأنه أقدم من الاسلام عهـدا » .

يقول عبد اللطيف حمزة : ولقد نشر الانجليز الشك والريبة فى نوايا المسلمين والخوف من انتعاشهم وتكتلهم ويريدون فى كل نهضـة نذيرا لهم بسـوء مصـيرهم فى الشرق الاسـلامى وكان من نتيجـة ذلك أن حفلت الصحافة الأوربية منذ ذلك الحين بكثير من الكتابة فى موضوع الاسـلام والمسلمين تحت عنوان الجامعة الاسـلامية .

وقد تصدى للرد اللواء (مصطفى كامل) والمؤيد (على يوسف) .

وكانت آراء على يوسف تقوم بصفة خاصة على الوحدة العربية وكان رأيه أن فترة الحروب الصليبية قد انتهت الى الأبد . وكان مصطفى كامل أشد من على يوسف محافظـة على الطابع الدينى الذى ظهر بوضـوح فى نتاجه الصحفى بجريدة اللواء وانتدار اجيسيان وان فكرة التكتل الاسـلامى على النحو الذى تخشاه أوربا ويبالغ فى تصوره اللورد كرومر كانت تداعب خيـاله .

(٣)

انتشـــار الاســـلام

لم يتوقف الاسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشــد أيام الصراع بينه وبين الاســتعمار وقد بلغ الذين اعتنقوه من العــرب (١٠٠ مليون) . من بين الف مليون مسلم وقد أنتشر بقوته الذاتية وبفضل مبادئه التى تحمل التوحيد والحرية والعدل والرحمة والأخاء الانسانى الى العالمين وقد وجد فيه الملونون والمستعبدون ضالتهم .

كذلك ان الأمر فى انتشار الاسام كان ذاتيا ولم يكن مفروضا من اى جهة من الجهات فان الفتح الاسلامى لم يفرض الاسلام على أهل الأقطار ، ولكنه أقام لهم النظام السياسى العادل الذى دفع أهالى الأقطار انفســـهم الى دخول الاسلام ثم أن الذين دخلوا فى هذا النطاق هم بالنسبة الى الذين وصلتهم الدعوة السلمية بمثابة واحد الى عشرة ممن اعتنقوا الاســـلام والعالم الاسلامى قطعة من الأرض متصلة ، عالم متكامل بأرضه ومخططاته وناسه ومقوماته ومضائقه ومنافذه أطلق عليه نابليون اسم القارة الوسطى البحر الأبيض المتوسط فى شطآنه الشرقية والجنوبية وجزء كبير من شاطئه الشمالى ، البحر الأحمر ، المحيط الهندى ، قسم من المحيط الهادى ، الف مليون مســلم فى أكثر من احــدى وثلاثين كيانا هى فروع لدوحة واحــدة وخريطة العالم مليئــة بالقوميات المتعــددة ، والفرق الدينيــة ، والمذاهب السياسية ولكنها تجتمع حول ثلاث : لا اله الا الله ، القرآن ، الايمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

يمثل المسلمون ربع سكان العالم ، التوسع الديناميكى مطرد وبعيــد المدى ، فالاسلام اكبر الأديان نموا عدديا ، وهو كل يوم يكسب أرضا جديدة وقوى مضاعفة بالدعوة والتحول على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيــا وآسيا المدارية بالاضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه .

وطن الاسلام العالم الاسلامى فالمسلمون امة أولا (وليس دولة) ، امة أساســها ليس العنصر أو الجنس أو القومية أو الوطن وانما العقيدة ورابطتها ليست رابطة دينية وانما هى رابطة فكرية فالاسلامية ليست ضد الوطنية أو القومية ، والعالم الاســلامى متكامل من الناحية الاقتصــادية والجغرافية وأداة الوحدة الحقيقية والاســاســية : هى وحدة الفكر ، أداء رسالة ، مقاومة عدوان ، حماية مجتمع .

والدولة الاسلامية ليست دولة دينية لأن الاسلام ليس دينا فحســب بل منهج حياة ونظام مجتمع ، ولا يجعل هذا التشكل سبيلا لدعاة التغريب فى الادعاء بأن النهج الاسلامى يفتح باب الحروب المقدســة والصراعات الدينية ذلك لأن الايدلوجية الاسلامية ليست ايدلوجية دينية (بمفهوم الدين

الغرب اللاهوتى) بل هى فكرية واجتماعية جامعية وحضارية أساسا وهى تختلف اختلافا مع الديمقراطية والقومية والاشتراكية وان كانت بعض عناصر هذه الايدلوجيات موجودة فى المنظومة الاسلامية ودعوة الاسلام الى قيام دولة لايتعارض مع عالمية الاسلام فالدولة هى التى تحمل لواء الدعوة .

* * *

اذا كان النفوذ الذى والاستعمار قد استطاع بالحرب الأولى : القضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق وحدة العالم الاسلامى فانه استطاع بالحرب العالمية الثانية اقامة اسرائيل والقضاء على وحدة العالم العربى فقد أزاح النفوذ الاستعمارى قادة المنطقة العربية الاسلامية وقدم رجاله ففى مصر أزاح الحزب الوطنى محمد فريد وعبد العزيز جاويش ووضع لطفى السيد وسعد زغلول وفى الشام أزاح شكيب ارسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالاسلام ووضعوا قادة البعث ورجال الجامعة الأمريكيين (أنطون سعادة وميشيل عفلق وقسطنطين رزيق) .

● ● ●

اليونسكو : فرع من فروع هيئة الأمم المتحدة المسيطرون عليه يهود وهو يخدم أغراض الصهيونية متذرعة باسم العلم والفن والثقافة وبحسن الظن بها بعض المسلمين وتباهى بعض الدول الاسلامية بأن لديها مكاتب تابعة للامم المتحدة .

والامم المتحدة ٨٠ فى المائه من موظفيها يهود

وبها أربعة الاف موظف يهودى بين ٥٠٠٠ موظف

السكرتارية العامة للامم المتحدة ٩٠ فى المائة من موظفيها يهود أما منظمة العلوم والفنون والثقافة (اليونسكو) فهى يهودية روحا ودما .

* * *

(٤)

القوة العسكرية الاسلامية

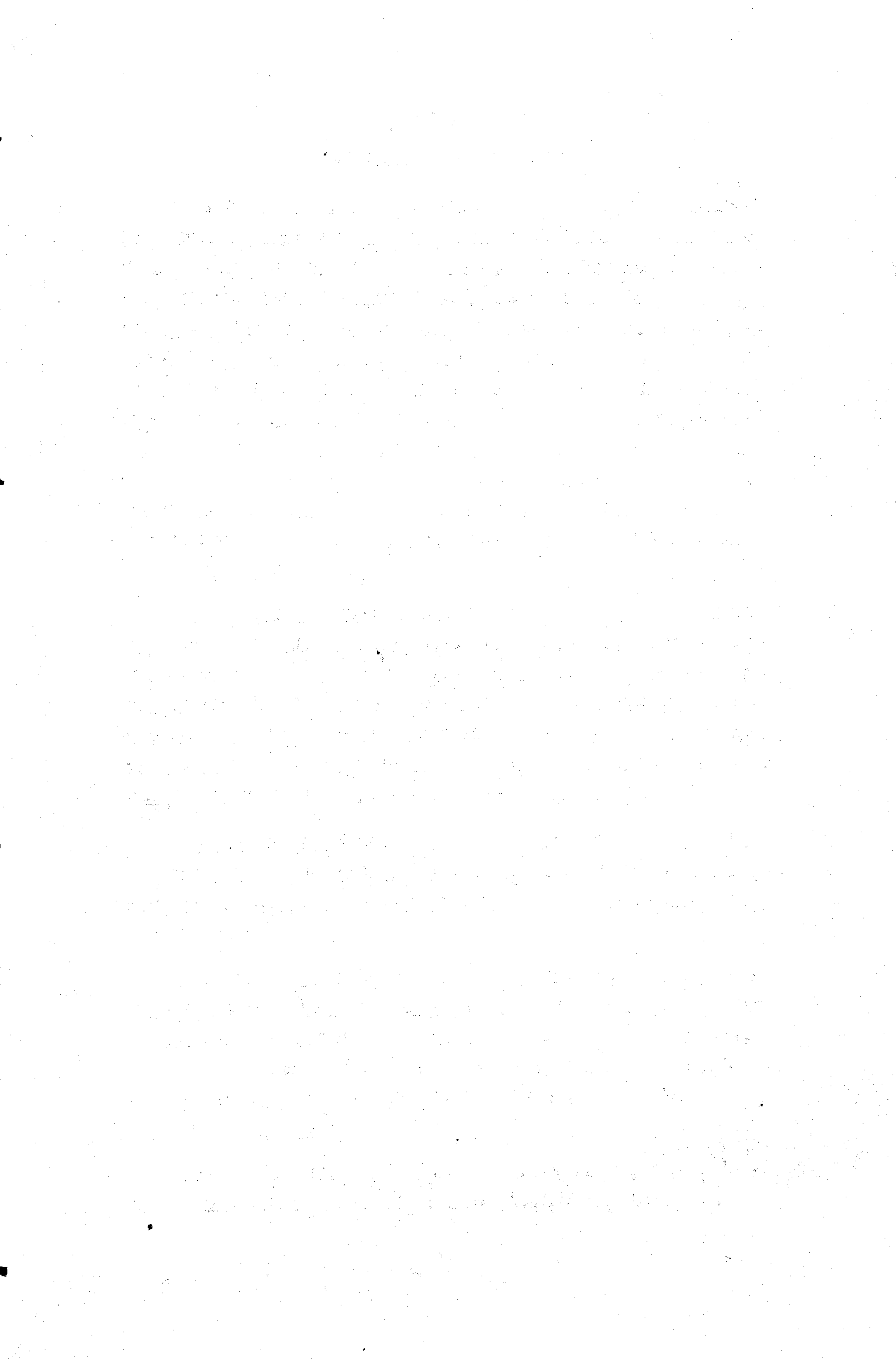
ان هناك محاولة مبينه دون امتلاك العرب والمسلمين للقوة العسكرية التى تمكنهم من تحقيق ارادتهم وتكوين حضارتهم الجديدة ومهما اتيحت الفرص للحصول على التكنولوجيا فان ذلك محدود بأمر قاطع هو عدم امتلاك العرب للسلاح المتطور او اسلاح الهجومى وهناك شبه اتفاق بين الدول الكبرى على ابقاء الكيان الاسلامى ضعيفا هشا وهذا ما فعلوه مع الدولة العثمانية حين اتفقت بريطانيا وروسيا على خطة واحدة فى استغلال الفريسة وكان ان قضوا على سليم الثالث الذى بدأ فى تطوير الجيش وأوقفت الاصلاحات الخاصة بانشاء جيش جديد بدلا من الانكشارية لمدة ربع قرن من الزمن ، ولقد استطاع الاستعمار ان يملك أوربا السفن الضخمة التى تحتمل السفر الى البحار العالية بينما أعجز تركيا العثمانية عن امتلاك تلك السفن ، وان سبقت تركيا فى ميدان المدفعية والجيش والتدريب والأسلحة المتطورة ، وما يسمح به للدول غير الاسلامية كاليابان لا يسمح به للدول الاسلامية .

ومن مراجعة للقوة الدفاعية للعالم الاسلامى وجد الخبراء ان امكانيات الدول الاسلامية البالغ عددها ٤١ دولة تبلغ ٣٤٨٤٩ مليون دولار (٧٩٠٠ مليون دولار ايران — ٧٥٧٠ مليون دولار السعودية وبلغت الجيوش النظامية لهذه الدول (٣٫٣٥٢٫٠٠٠) وتبلغ قوات حلف الاطلنطى باستثناء الولايات المتحدة أقل من ٣ ملايين : القوات البرية ٤٦٥ الف تركيا — ٤٤٨ الف باكستان ، تمتلك الدول الاسلامية ١٦ الف و ٨٠٠ دبابة ، القوات الجوية تملك الدول الاسلامية ٣ آلاف و ٤٤٩ طائرة مقاتلة) .

والمعروف أن النفوذ الأجنبى يعمل على سياغة الجيوش الاسلامية على النظام الغربى والحيلولة دون تشكلها وفق مفهوم الجهاد الاسلامى فتظل خاضعة لمفهوم القوة العددية والمادية ، دون أن تتنبه الى مفهوم القوة المعنوية .

ولقد كانت صيحة الله أكبر من القوى التى تنبهت لها معاهد الاستراتيجية نظرا للنتائج التى حققتها فى حرب العاشر من رمضان ، فقد اعترفت القوى الأجنبية بأن (الله اكبر) سلاح كونى خطير ونقد واجهت قوتى الاستعمار والنفوذ الأجنبى مفهوم الاسلام فى الحرب فى عدة مواقف : فى حرب فلسطين على ايدى الأخوان المسلمين ، فى حرب الجزائر ، فى معركة العاشر من رمضان .

ولقد كان ذلك اللون من الحرب الاسلامية خطيرا ومزعجا للنفوذ الغربى الذى عمل فى سرعة على تصفيته والحيلولة دون امتداده .

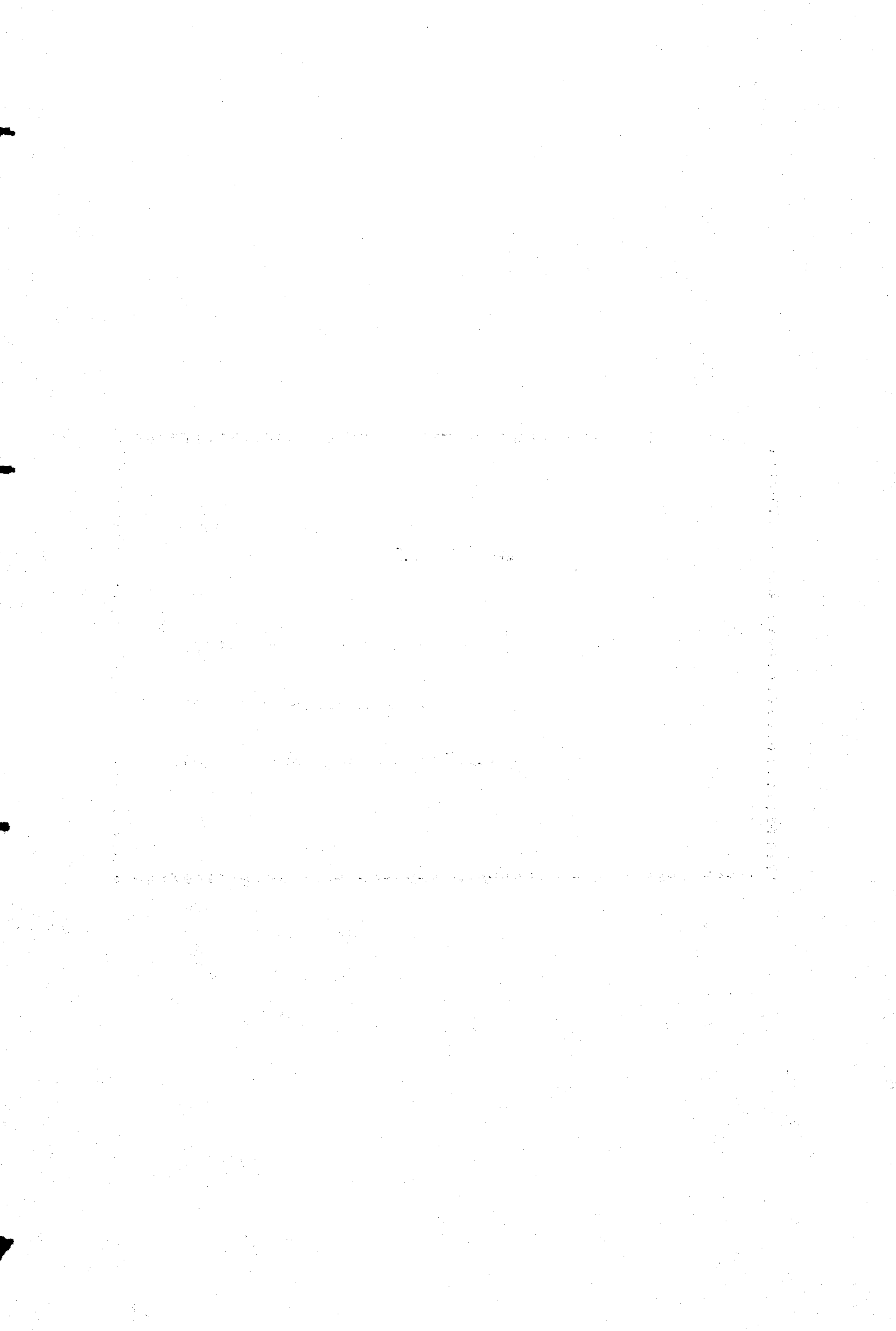


ثانيــا : الآزهر

(٥) المؤامرة على الأزهــر .

(٦) اوقاف المســـــلمين .

(٧) واعظ تركى ف جـــامع المؤيــد .



(٥)

المؤامرة على الأزهر

كان اضعاف الأزهر ومحاضرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق امام المتخرجين فيه وحصرها فى باب واحد هو خدمة المساجد من اكبر أهداف النفوذ الأجنبى ومن ذلك انشاء الجامعة الأمريكية ثم انشاء الجامعة المصرية بعد انشاء وزارة المعارف التى قصدت الى تخريج متعلمين من نوع منعزل عن المفهوم الاسلامى الجامع فكان بناء المدرسة الوطنية على أساس العلمانية ومن مخططات المؤامرة على الأزهر محاولة طه حسين انشاء معهد للدراسات الاسلامية يلحق بكلية الآداب هدفه العناية بالدراسة الاسلامية على طريقة المستشرقين . ومن دراساته سيكولوجية الدين والتاريخ الدينى للبشرية قبل الاسلام والهدف هو استبعاد الأزهر عن القيام بمهمة تعليم الدين لأن مناهجه لاتحقق للدارسين فيه : عمق الثقافة وحرية الفكر وهذا الأمر بحث فى مؤتمر برستون الذى جمع طائفة من الشعوبية وكشف عنه الدكتور محمد محمد حسين .

وتعنى سيكولوجية الدين ما أشار اليه القسيس الامريكى ميلر بروز فى دعواه الهدامة التى طالب فيها بوضع تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الأخرى موضع البحث واخضاعها لقواعد علم النفس الحديث .

ولقد جرت محاولات كثيرة لاحلال الجامعة المصرية محل الأزهر دون جدوى ذلك لأن الجامعة والثقافة الجديدة لا تقوم الا على اساس انكار الدين أو على تجريدها من الدين او الى عدم الحاجة اليه فالتقابل بين الأزهر والجامعات تقابل بين الشيء وضده . والجامعة المصرية وجامعات الغرب لاتستطيع أن تحل محل الأزهر ولا ترث نفوذه بين الأمم الاسلامية .

وبالرغم من كل محاولات التآمر فان الجامعة المصرية لم تستطع أن تحل من ناحية النفوذ خارج الحدود او داخلها محل الجامع الأزهر ونفوذه وقد بدات الاحملة على الأزهر منذ وقت بعيد .

بداتها الحملة الفرنسية ثم تولاها محمد على بعد أن خالفه العلماء واتهموه بالاستبداد ثم « قتن » الاستعمار البريطانى المخطط الذى رسم من أجل « تفريغه » من هدفه الأصيل وكانت عبارة كرومر :

« لو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ولكن اذا بدا أن مثل هذا الأمل غق متيسر تحقيقه يصبح الأمل محصورا فى اصلاح ألتعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر » .

***

وقد جرت فعلا الخطة على تجميد الأزهر وانماء التعليم العلمانى اللادينى .. ويقول الاستاذ نبيه عبد ربه تحت عنوان الغارة على الأزهر لماذا :

« نجح أعداء الاسلام فى أسقاط القيادة السياسية للمسلمين حين أعلن مصطفى أتاتورك اليهودى الماسونى الغاء الخلافة الاسلامية فى تركيا . ثم هذا بعد زعزعة العقيدة السلامية وزلزلة وحدة المسلمين وتصديع جبهتهم الداخلية باثارة النعرات القومية والاشتراكية ، وبعد أن ذابت القوميات فى الوحدة الاسلامية جرى العمل على منع قيام اى دولة اسلامية ، أى وحدة اسلامية ، والقضاء على كل حركة اجتماعية تعمل على بعث العقيدة الاسلامية فى قلوب المسلمين وأقامة كيان سياسى لهم يحكم بشريعة الاسلام وكان لابد لايقاف هذا من التآمر على الأزهر فقد قاد الأزهر معظم الثورات الشعبية ضد المستعمرين والغزاة وقاد ثورة ١٧٩٤ للمطالبة بعدل الأمراء وقاد ثورة ضد نابليون حتى اضطره الى مهاجمة الأزهر (٣١ اكتوبر ١٧٩٨) فاحتله واتلف المصاحف وأعدم ثمانين عالما من علمائه وقاد ثورة القاهرة الكبرى عام ١٨٠٠ (فى عهد كليبر) بقيادة عمر مكرم استمرت أكثر من شهر وساند الأزهر محمد على ضد البرديسى رئيس المماليك وأسند اليه الولاية عام ١٨٠٥ .

ثم تبين لمحمد على أن الرأى هو القضاء على المصدر الذى تخرج منه القيادات وان ذلك كفيل بأن يجفف منابعها ويقضى عليها وقد ركزت حملة الأعداء على الأزهر منذ ذلك الوقت .

وبالرغم من أن القيادة الشعبية فى مصر والتى كانت ممثلة فى علماء الأزهر بقيادة عمر مكرم هى التى ساندت محمد على ضد المماليك وبالتالى بايعته على الولاية على مصر الا انه بمرور الزمن جعله يتنكر لهذا الجميل ، ورأى فى الأزهر قوة تعترض سبيله ولذلك عمل للقضاء على هذه القوة بالقبض على عمر مكرم ونفيه الى دمياط وتمزيق وحدة الصف واصطفاء العلماء الطامعين كما حطم منابع الأزهر بانشاء المدارس الحديثة فى مصر واعداد جيل من غير الأزهريين أخذ يرسلهم الى أوربا مع اهمال الأزهر وبدا ماسمى نظارة المعارف . وكل الذين ذهبوا الى أوربا رجعوا سفراء الغرب، حتى من كان من الأزهر أمثال رفاعة .

وجاءت المرحلة الثانية فى تدمير الأزهر فى عهد الاحتلال البريطانى ، ستمرارا للمرحلة الأولى من التوسع ، وقد رفع الأنجليز من شأن المدارس والجامعات العلمانية وحجبوا رجال الأزهر وجعلوا المناصب الكبرى فى رجال وزارة المعارف وقصروا الأزهر على الوعاظ وائمة المساجد فى مرتبات قليلة .

وجاءت المرحلة الثالثة فى عصر الشعوبية والتغريب فقد تبنى حكام مصر مفاهيم الديمقراطية ثم الاشتراكية وحجبوا الشريعة الاسلامية ، ثم علت كلمة الماركسية وسيطرت وتصدر الشيوعيين المراكز الحساسة وشن حملة شعواء على الاسلام والأزهر واللغة العربية وحققوا مشروع طه حسين فى هدم الأزهر ، وجاء الرقص باسم الرياضة والعرى باسم الحرية وشق عصا الطاعة باسم المساواة وضرب الأزهر ضربة قاصمة بدعوى تحويله الى جامعة علمية .

وقد كانت عملية تطوير الأزهر تهدف الى تحويل الأزهر بالتدريج الى جامعة علمانية تهتم بشكل رئيسى بالعلوم الدنيوية .

وقد خضع الأزهر للمخطط الشيوعى فى العالم الاسلامى والذى يهدف الى القضاء على الاسلام واحلال الماركسية مكانه .

وقد نظر الشيوعيون للدين على أنه العدو الأول للاشتراكية العلمية وترى الشيوعية فى العقيدة الدينية خطرا على مخططاتها لأن فى هذه العقيدة من القوة المعنوية ما يعطل المخططات الشيوعية .

ومن وصاياهم : « يجب أن يلاحظ الاشتراكيون بأن للاديان شعارات قوية : شعارات السلام والأخوة والمحبة وللجماعات الدينية قوة تعادل قوتنا على الأقل فى العمل والدعوة اذا أتيح لها مجال العمل وللدين مقدرة عجيبة على التطور والصمود » .

والشيوعيون فى البلاد الاسلامية لا يكشفون هذا العداء حتى لا ينفر المسلمون منهم ولكنهم يعملون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة الهدف منها زعزعة العقيدة فى نفوس المسلمين كخطوة أولى نحو ابعادهم عن دينهم كلية ويرون انه اذا اقتضت الظروف « تعايشا سلميا » مع العقيدة الدينية أو اظهار الاهتمام بها فى بعض الحالات كما هو الحال فى المناطق الاسلامية فان هذا الاهتمام من قبيل التدبير المؤقت فقط .

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت يصدر فيه القرار الجازم بالحسم مع الميراث الدينى وأصحابه .

ومن الوسائل الشيوعية لمحاربة الاسلام والتى استعملت فى الأزهر ما يسمى فى المخطط الشيوعى : (تنقيح الدين) قولهم : « لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن اعادة التنظيم الفكرى للعقيدة الدينية وميراثها ومفاهيمها انما هو بمثابة تنقيح للدين وتحدياته للاشتراكية العلمية فلا تقنع بالقول بأن الاسلام دين الاشتراكية اذ لم يصاحبها تحطيم للمنظمات الدينية وصهرها فى بوتقة التحويل فالتنقيح للاديان كما أوصى به لينين يجب أن يصاحبه الهدم لكل قاعدة يمكن أن يتخذها الدين سبيلا الى البحث والتضامن والتماسك .

ومكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليا من حياة الناس وانما الترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعى مادى فى نفوس الجماهير لينفردوا من الدعوة الروحية التى فى جعبة الأديان .

وليس المهم ازالة طقوس العبادة وهدم الكنائس والمساجد وانما المهم هو تغيير الوعى الروحى وخلق وعى مادى فى الفرد ووعد الجماهير برفع الانتاج والمنجزات الصناعية والزراعية والقوة العلمية العسكرية .

ويجب ن نجند بعض رجال الدين وبعض النصوص الدينية اذا أمكن للدعوة الاشتراكية ولذا فلابد أن تخضع المعاقل الدينية فى الجامعات والمساجد والكنائس والمؤسسات لسيادة الحزب الاشتراكى .

وتدل الدلائل على أن هذا المخطط قد طبق بحذافيره فقد عقد المسئولون فى الحزب عدة أجتماعات مع مشايخ الأروقة فى الأزهر عقدوا اجتماعات دورية لعلماء الدين وائمة المساجد بمكتب الشئون الدينية بأمانة الدعوة والفكر للاتحاد الاشتراكى .

وزودت الجامعة الأزهرية وطلابها المنتشرين فى المدن والقرى بتعليمات تقضى بأن يكونوا لسان صدق للتحدث عن الثورة والاشتراكية .

وبذلك سخر الأزهر للدعوة الاشتراكية وحدد القانون رقم ١٩٦٢/٤٤ مهمة المسجد بأن يقدم لنا الفرد الصالح الذى يشارك فى بناء النهضة الثورية التقدمية الجديدة .

وحددت مهمة وزارة الأوقاف بأن هدفها التطبيق الاشتراكى السليم فى المجتمع المصرى كله وأن مهمة الأوقاف اشتراكية بحتة ، العمل على تعميق جذور الاشتراكية فى المجتمع ، لهذا وجد فى الأزهر من يدعى بأن الاسلام دين الاشتراكية وأن محمد هو امام الاشتراكية وأن دعوة محمد نابعة من حياته الأولى المتأثرة بالوضع الطبقى الشاذ فى مكة .

وكتب أحد علماء الازهر يقول : لا شك أن للصراع الطبقى فى كل زمان ضراوة تصفها الرجعية العربية دفاعا عن هيمنتها الراسمالية وعن المصالح الاستعمارية التى تسندها .

وكتب محمد أحمد خلف الله : أن القرآن يدعو الى ما تدعو اليه الاشتراكية من الاعتماد على العلم فى ممارسة الحياة .

***

تعددت المؤامرات التى دبرت لانهاء أمر الازهر الشريف حصن الشريعة الاسلامية واللغة العربية فقد عملوا على تطبيق سياسة دنلوب فى التعليم بانشاء نظام موازى للازهر له الطابع الغربى تشرف عليه وزارة المعارف لعزل الطلاب والجيل الجديد عموما وثقافيا ونفسيا عن المصدر الاسلامى حتى يصبح مفهوم الحضارة والتقدم عندهم هو تقليد الغرب ورسم خطاه فى اسلوب الحياة أولا وقبل كل علم فنى .

ولعب استاذ الجيل « لطفى السيد » دوره الكبير فى هذه المؤامرة الثقافية كما لعبها اساتذة كثيرون . ولم تكن السلطة هى الأخرى بمبعدة عن هذا الصراع الحضارى بل كانت يدها نافذة فى ضرب بقايا الروح الوطنية والتمكين للنظام الاستعمارى .

وكان لاسماعيل دور رئيسى فى فرض القانون الفرنسى وانشاء المحاكم ومحاربة وتشويه كل من يتصدى له من العلماء فكان يقول :

لا يمكن أن تعمل فى هذا القرن بما وضع للعرب من نحو ثلاثة عشر قرنا (مجلة المنار ٣٠ يونيو ١٩٠٤) وأراد أن يستخدم رفاعة بك فى اقناع شيخ الازهر وغيره من العلماء .

وكشفت جريدة المنار (٢١ مايو ١٩٠٥) سر حملة اسماعيل حين قالت هذه مجلة الأحكام العدلية هى التى ألفتها لجنة من العلماء هى أحسن من القانون المدنى الفرنسى . وقد أمر السلطان العثمانى بالعمل بها عندما أسس نظام العدلية وابطل به الامتيازات الاجنبية فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية . السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة العلية بمساعدة أوربا التى تنزلق اليها باتباع خطوات تدينها .

وأصبحت قصة الارض البشرية والارض الخراجية فى ذمة التاريخ ونسى الناس الزكاة كنظام مالى أصيل وكذلك الخراج كنظام فريد فى مواجهة ضرورات الفتح وذابت هذه التشريعات الحالية فى شبكة الناس وأعادت بذلك ذكرى الضرائب التى طوقت حياة خرائب الرومان والفرس قبل الفتوحات الاسلامية وقامت البنوك بدور الوريث لكل تركة ودواوين الزكاة ودواوين الخراج وعملت بطريقتها الخاصة التى تتلائم مع الاسلوب الغربى فى الانتاج .

واختلط الأمر على المخلصين الذين ظنوا أن هذه الحال التى انتهى اليها تشريعنا وحاضر الأوضاع الاقتصادية وعمل البنوك انما هى من ضرورة العصر وأن علينا أن نسابق الزمن امامها بايجاد الحلول الجزئية للمشاكل اليومية ،

وعجزوا عن تصور كلى شامل يعالج المشكلة من جذورها فى صورة دعوة الى اقامة الاصول الاسلامية فى حياتنا من جديد فى ميدان التربية وفى الميدان الاقتصادى والاجتماعى على حد سواء . وجاءت الطبقة العازلة من الحكام والجهلة لتعالج التشويهات بتشويهات أكبر حين تصورت علاج الاستعمار فى حياتنا برد فعلى أوربى يتمثل فى العقلية المركبة (عبد الحليم خفاجى) .

* * *

(٤)

كشف الاستاذ فتحى رضوان عن محاذير القانون الخاص بتطوير الازهر (قانون ١٣٠ لسنة ١٩٦١) فقال : أن ما يقدمه القانون فلا اثر له الا أن يمسخ الازهر ويصرفه عن وجهته ولا يعنيه على أداء شىء ينفع المسلمين . وأن القانون عرض فى آخر لحظة من اخر جلسة على البرلمان بعد أن صدر القرار بانتهاء دورته .

* * *

قال جيمس ايروين قائد الفضاء فى مركز أبولو الذى استقال من عمله بعد عودته وتفرغ للنشاط الدينى ذلك أن رحلته للفضاء ورؤيته معالم الكون أيقظت فى نفسه دواعى الايمان بالله وحركت فى أعماقه واجب الدعوة الى الله . قال :

عندما ذهبنا الى القمر لم أكن فى بادىء الأمر على يقين أن الله تعالى سيمد الينا يده ولكنى اعتقد الآن بيقين أن الله تعالى قد مد يده الينا وساعدنا فى رحلتنا وليس هناك أجمل ولا أغرب من أن يرى الانسان منظر الأرض من ذلك البعد السحيق كأنها كرة معلقة فى الهواء وكلما اخذ حجمها يصغر ويصغر شيئا فشيئا بحجم الزيتونة ، كنا نتخيل أولادنا واصدقائنا وآمالنا تعيش كلها على سطح هذه الزيتونة .

* * *

(٦)

أوقاف المسلمين

أشار الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الجامع الازهر) رحمه الله الى حادثى مذبحة المماليك وتأميم أوقاف رجال الدين فى عهد محمد على حيث قدم المؤرخ الجبرتى صورة صحيحة لهذين الحدثين وقال أن شعب مصر قد صدم وتأثر بمذبحة المماليك لأن أهل مصر كانوا يعلمون أن المماليك دافعوا عن البلاد وعن الاسلام بدائهم وشجاعتهم ، ويكفى أخيرا الاطلاع على أسماء من استشهد منهم ومات برصاص جيش نابليون كما ذكر ذلك الجبرتى عند سرده لمعركة (انبابة) المشهورة للتعرف على أسباب تعلق الشعب بهم ويتساءل : من المسئول الحقيقى عن مذبحة المماليك : أهو محمد على أم هو غيره بعد مضى ١٧٧ عاما . يفهم من بعض الوثائق أن هناك عقلا أوربيا جبارا هو (رودفينى) قنصل فرنسا بالقاهرة فهو الذى دبر هذه المعركة وخطط لها وأشار بها بل ومولها من ماله . ففى مذكرات بوكارت المكتشف والمستشرق السويسرى اشارة الى ما كان يحتفظ به فى خزانته القنصلية الفرنسية وأن رودفينى أستأذنه فى أن يقرضه هذا المال لأن المتامرين من ضباط الألبان كانوا مترددين حتى بعد أن قبضوا ثمن خيانتهم فهذا الذهب قد استعمل لتنفيذ أغراض رودفينى . ولم يكن محمد على سوى آلة نفذت أغراض السياسة الفرنسية التى كانت ترمى الى القضاء على المماليك ثم الى افناء الالبان كانوا مترددين حتى بعد أن قبضوا ثمن خيانتهم فهذا الذهب قد استعمل

ثم جاء الاستيلاء على أوقاف علماء المسلمين أى أوقاف المجتمع الاسلامى ، جاء لتحطيم هذه القوة تكملة لتحطيم القوة العسكرية الاوربية وهذا تخطيط أوربى .

والصارى عسكر بونابرته خرب وهدم ١١٨ أثرا اسلاميا لبناء حصونه وقلاعه فى مدينة القاهرة وحدها منها جامعا بين مصر القديمة (وقصر النيل (وقد ذكرها الجبرتى بحسرة وألم .

* * *

ومن بين هذه الاوقاف ما أوقفه السلطان حسن على جامعه المعروف حيث خصص على تعليم أبناء مصر من المذاهب الأربعة وكانت تصرف لهم الكساوى والأطعمة وكانت أوقاف جامع عمرو لا حصر لها . وكان للمسلمين

أوقاف على الناس والمساجد والأربطة وبعضها لحماية الحيوان ومنها الصرف على الاتباع وصغار الكادحين اذا كسرت منهم آنية أو خزف فلا يتعرضون لاهانة مخدوميهم .

ولم يجرؤ السلطان العثمانى على الغاء الأوقاف .

وقد اوقف على الحرمين بمكة والمدينة ما يجبى من خراج مديريتى قنا وجرجا وهذا المبلغ بقى يرسل اليها ولم يمسه محمد على وهذا ما كان يسمى بالصره .

والاوقاف شملت الحرمين وبيت المقدس ومقام ابراهيم الخليل .

ولا تزال آثارهم باقية فى كل مكان بالحجاز وفلسطين وسوريا الى اليوم .

وأرادت فرنسا الاستيلاء على الأراضى المنزرعة على شاطىء الجزائر بعد احتلاله لانشاء المستعمرات الاستيطانيه ولكنها وجدت أن ثلاثة أخماس هذه الأراضى من أملاك الحبوس (الأوقاف) فماذا تعمل فرنسا التى تعهدت لسكان البلاد بعدم التدخل فى شئون الدين الاسلامى ، طوقت الجزائر من مصر حيث لجأت الى محمد على بواسطة ممثليها ونصحته بأن تحرر بعض الاوقاف وأشارت عليه بالحصول على فتوى بامكان ذلك لمضى الوقت وغيره من المبررات والمسوغات السياسية ونفذ محمد على ذلك .

هذه الفتوى استغلتها السلطات الفرنسية فى الجزائر فنزعت أملاك الاوقاف وتعهدت بأن تصرف على المساجد والائمة من خزانتها .

فماذا فعلت الجزائر . دفعت من الخزانة الفرنسية ما يكفى لصيانة هذه المساجد بادىء الأمر ولكنها استنت بسنة غيرها من الحكومات الاستعمارية فانقصت عدد الائمة ومرتبات العلماء وأنزلت عدد المساجد حتى أنه لم يبق بمدينة الجزائر أكثر من ثمانية عشر مسجدا .

وذات الخطة تكرر تنفيذها فى فلسطين بعد أكثر من قرن .

تقرير يهودى وضعته الوكالة اليهودية بقصد تحطيم المجلس الاسلامى الأعلى ونزع الأوقاف من تحت اشرافه ، كتبه أخصاء من اليهود وتناولوا العالم الاسلامى فى شكله الذى خضع لسلطان الدول الاوربية واستشهدوا بما جرى العمل به فى البلاد المستقلة .

هذا التقرير اين هو ؟ !

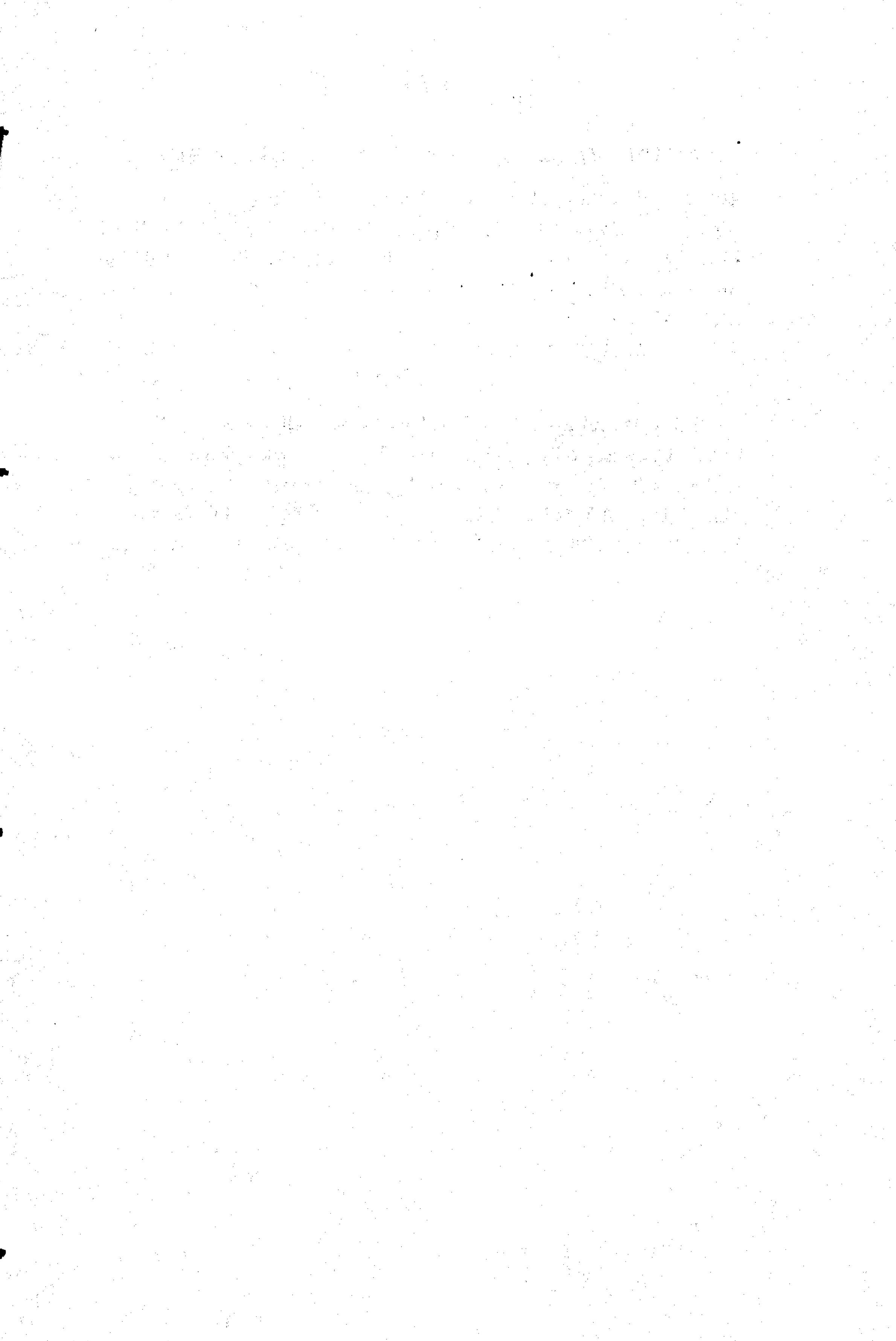
أدرك الاستعمار منذ وقت باكر التوظيف الذى هو رق لصاحب الفكرة وصاحب الدين ومن هنا كان ما قامت به الحكومات الوطنية من احتواء علماء المسلمين بضم الاوقاف الاهلية الى ما سمته وزارة الاوقاف ليكون الأمر أكبر يسرا والعلماء أكثر مقادة .

واعظ تركى فى جامع المؤيد (الجبرتى جـ ١ ص ٤٨) ١١٢٣ هـ

« حضر الى القاهرة واعظ تركى أخذ يعظ الناس بجامع المؤيد ثم انتقل من الوعظ الى ذكر ما يفعله أهل مصر بأضرحة الاولياء وايقاد الشموع والقناديل على القبور فلما سمع الحاضرون ذلك خرجوا ليلا الى باب زويلة حاملين العصى والأسلحة فهرب من كان هناك فذهبوا الى الجامع الازهر وأخبروا الشيخ النفراوى وأحمد الخليفى بما حدث فافتى هذا بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت ولا يجوز لأحد أن ينكر اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ وقالا بوجوب زجر الواعظ » .

لا ريب أن هذه الصيحة موازية للدعوة الى التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الدرعية من الجزيرة العربية ، وقد تبعتها ولحقتها دعوات فى أماكن متعددة فى اليمن والهند وغيرها ، وهى حجة الله البالغة الى التوحيد الخالص والتحرر من كل محاولات سيطرة فكرة أو طائفة أو نحله التى لم يتوقف على مدى الازمان والعصور منذ بزغ فجر الاسلام فى الدعوة الى كلمة الله الغالبة .

●●●



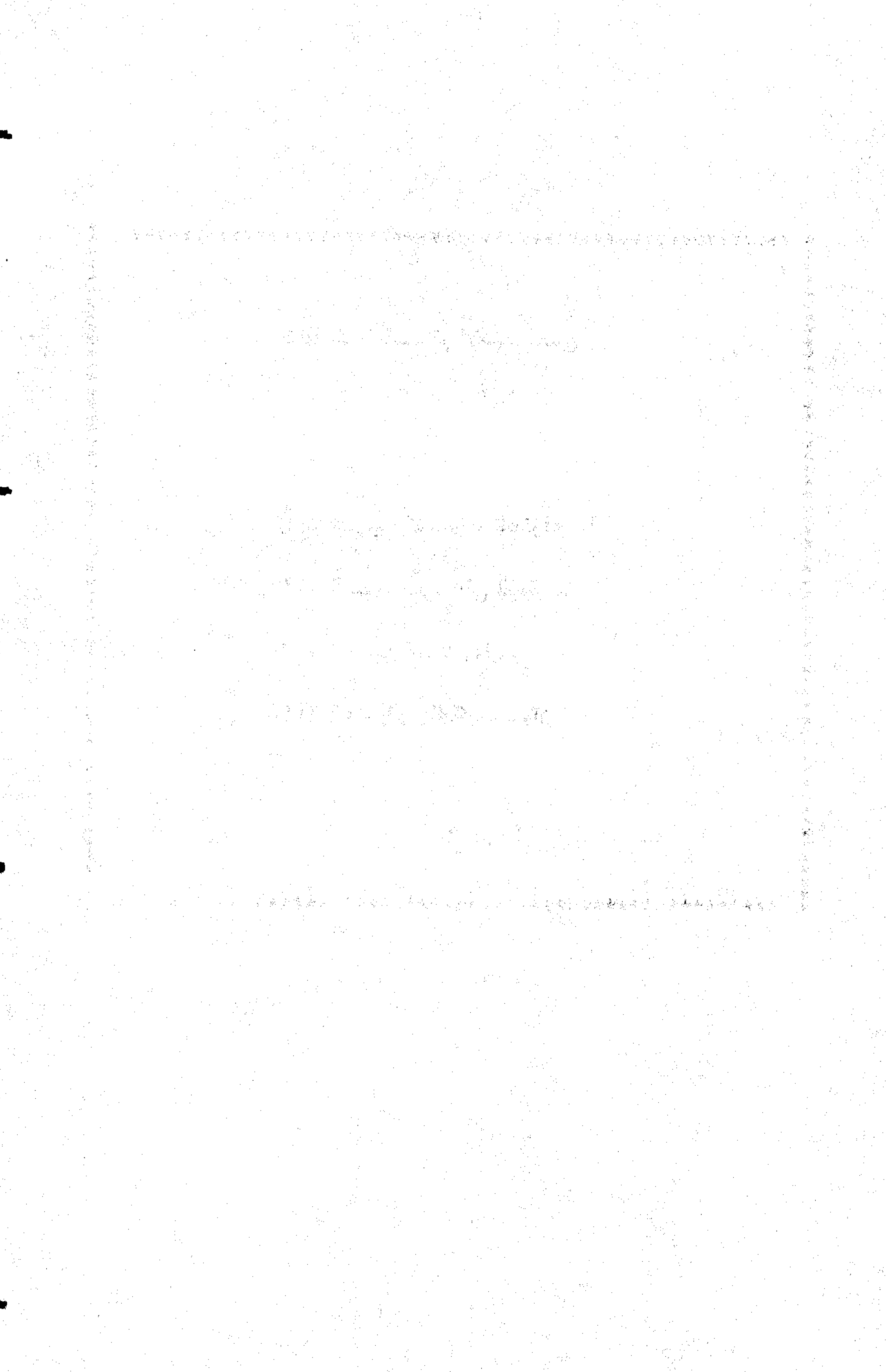
ثالثا ـ العــــالم الأســـلامى

(١١) العرب وكشــوف الجغرافيـــا

(١٢) الســـــيطرة على أفريقيـــا

(١٣) احتـــلال سبته ومليــــله

(١٤) الجــزائر والباكســـــتان



العرب وكشوف الجغرافيا

كشف البحث التاريخى حقائق جيدة تقرر أن فاسكودى جاما البرتغالى لم يكن هو الذى كشف طريق رأس الرجاء الصالح بل كان المسلمون يعرفونه قبل ذلك بأربعة قرون على الاقل ان لم يكن خمسة وكانت تجارة العالم كله تمر فى أيدى المسلمين من أرض الصين شرقا الى الجزر البريطانية شمالا وغربا وكان يخططون الشاطىء الاسيوى الافريقى ويحفظونه على خريطتهم . وعلى هذه الخرائط اعتمد فاسكودى جاما فى رحلته .

ثم أنه من الثابت تاريخيا أن ابن ماجد البحارة الولى المسلم كان قائد سفن فاسكودى جاما .

ولقد كانت رحلة فاسكودى جاما التى اكتشف منها راس الرجاء الصالح جزءا من الحروب الصليبية ولم تكن رحلة علمية بل رحلة كشفية صليبيةللتعرف على أى الطرق التى يتفدون منها لغزو العالمالاسلامى بعد أن عجزوا أن يأتوه من المشرق بسبب وجود القوة القادرة : قسوة الدولة العثمانية ومنذ ذلك الحين بدأ الصليبيون غزو العالم الاسلامى وقبل أن يهتدى الرجل الابيض الى طريق رأس الرجاء الصالح اتجه الصليبيون منذ ١٢٤٩ الى شق قناة فى برزخ السويس يكون ملكا مشتركا للعالم المسيحى ، ويبددون لها شمل المسلمين ، الا أن الوثيقة المتضمنة لهذه الفكرة والتى رفعت فى تلك السنة الى ملك فرنسا لم تزد على أن يكون مجرد خيال الى أن عرفوا طريق رأس الرجاء الصالح فى الوقت الذى استطاع كولمبس أن يصل الى قارات العالم الجديد وخسرت مصر باكتشاف الطريق الجديد خسارة بالغة لأن أوربا التى باركت دى جاما قد حشرت القراصنة البرتغاليين وغيرهم ممن تربصوا فى بحر الهند وأغرقوا اسطول مصر التجارى سنة ١٥٠٢ وحاول السلطان الغورى أن ينتقم من ذلك الفعل الشنيع وأرسل سفيرا من لدنه الى البابا والى ملوك اسبانيا والبرتغال فذهبت محاولاته ادراج الرياح ثم أرسل ليبنتز الى لويس الرابع عشر وصية من أخطر وثائق الاستعمار مؤرخة ١٥ مارس ١٦٧٢ قال فيها :

أريد أن أتحدث اليكم يا مولاى فى مشروع غزو مصر ولا توجد بين اجزاء الأرض بلد غير مصر يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى تجارة الدنيا بأسرها وحتى تستطيع أن تلعب هذا الدور لسهولة استيعابها لعدد كبير من السكان وبسبب خصب أرضها المنعدم المنال . ولقد كانت فيما مضى من الأيام مهدا للعلوم ومحرابا لنعمةالله ولكنها اليوم معقلالديانة المحمدية التى تغدر بنا

ولأى داع تخسر المسيحية تلك الأراضى المقدسة التى تصل آسيا بأفريقيا والتى جعلت منها الطبيعة حاجزا بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ومدخلا لبلاد الشرق بأجمعها ومستودعا لكنوز أوربا والهند ولديكم من وسائل ما يجعل مصر سهلة المنال .

واذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الامبراطورية العثمانية الا أن الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوربا ومصر تكتنفها صحراوات واسعة » ..

هكذا كانوا يخططون !

● ● ●

الشريعة فى الدولة العثمانية كانت الشريعة الاسلامية هى شريعة البلاد الأولى والقانون المرئى الذى طبق بها تحت اسم المجلة عام ١٨٦٩ عبارة عن تقنين لأحكام تلك الشريعة أخذا بمذهب الامام أبى حنيفة كان تطبيق الاحكام على جميع رعايا الامبراطورية العثمانية سواء كانوا من المسلمين أم غير المسلمين .

دعا أحد خريجى الارساليات عام ١٩٣٥ الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ودولة مسيحية فى لبنان ثم عادوا مرة أخرى الى الدعوة سنة ١٩٤٥ الى أن يكون لبنان وطنا قوميا للنصارى فى الشرق الأدنى .

* * *

السيطرة على أفريقيا

منذ جرت تلك الحركة السريعة الخطيرة بين دول أوربا للسيطرة على افريقيا وماتزال عوامل التحدى قائمة بين أهل القارة التى تزحف نحو الاسلام بقوة وبين عوامل التبشير والتنصير وتدمير مقوماتها من ناحية أخرى وفى الماضى كان يحكم القارة البريطانيون والفرنسيون واليوم يحكمها تلامذتهم من مبشرين مسيحيين ومجندين من الافارقة الذين اضطروا الى تركدينهم والدخول فى النصرانية حتى يتمكنوا من تولى كبريات المناصب . دخلت ألمانيا الكاميرون ١٨٨٢ والنيجر فرنسا ١٩٠٤ وتنجانيقا ألمانيا ١٨٨٥ ونيجيريا بريطانيا ١٨٩٠ وتشاد فرنسا ١٨٩٧ .

والملاحظة العابرة تفيد أن هناك مجموعات مسيحية تسيطر على معظم عناصر الثروة فى أفريقيا بما فى ذلك بعض الدول المسلمة . وقد كان للتدبير الغربىأثر كبير فى جعلالمجموعاتالمسيحية تسيطر على ١٣ قطرا من مجموع ٢٣ قطرا مسلماً تشكل الاغلبية بالنسبة لدويلات القارة الافريقية . ويمر المسلم الافريقى فى هذه الأيام بلحظات عصيبة جداً فى تاريخه السياسى ووضعه الاجتماعى .

فالسنغال يسبة المسلمين فيها ٩٥ فى المائة ولكن الادارى والاقتصاد والسياسة فى يد حفنة قليلة من المسيحين وفى نيجيريا سلطة اقلية مسيحية على أغلبية مسلمة من ممثلى الهوسا والفولانى .

وفى ارتيريا والحبشة يكون المسلمون الاغلبية ولكن ليس لديهم من الأمر شىء ويواجون صفا متزايدا ازاء المبشرين المسيحيين ويشجعهم على ذلك المستشارون اليهود ، وكلهم يعملون على زعزعة الثقة فى نفوسهم واضعاف روح الاسلام لدى ناشئتهم .

وقد سجل دعاة التبشير منذ ١٩١٠ فى تقاريرهم عن أفريقيا أن الاسلام هو العقيدة القائمة فى وجه المسيحية وأن خصمهم الاول هو ذلك الشيخ ذو العمامة البيضاء الذى يجوب شواطىء البحر الاحمر والنيجر والمغرب ووادى النيل ومعظم دول افريقيا قد استقل عام ١٩٦٠ .

ان علاقة العرب المسلمين مع افريقيا علاقة قديمة منذ انتشر الاسلام فيها فى أوائل التاريخ الاسلامى ولكن الاستعمار الذى فصل افريقيا وقطعها عن العالم العربى بوضع حواجز اصطناعية ومؤامرات لتسميم العقول والافكار بايراد النزعات القومية واثارة الكراهية ضد العرب والدعاية الكاذبة ضد الاسلامويتقلص الاستعمار عنالقارةالخضراء بدأتالحياة تعود الىطبيعتها

وبدأ الاسلام يلعب دوره فيها رغم استمرار مكائد التبشير المسيحى ومؤامرات الاستعمار .

(٢)

بعد الهجمة الاستعمارية الصليبية الحاقدة التى غزت القارة الافريقية كان مخطط العمل يرمى الى طمس المعالم التى تركها الاسلام فى حياة الكثير من أهلها وفى واقعهم السياسى والاقتصادى والثقافى وشن الحرب معنويا ضد الاسلا موالمسلمين من اجل هزيمتهم فى أفريقيا ونشر المسيحية والشيوعية وبث المذاهب الهدامة بينهم واستخدام فئات منهم تدعى الاسلام فتثير الشكوك، وتبلبل الافكار . وهناك عدد من الدعاة المجاهدين الذين طرقوا القارة يوم كانت ترسف فى مذاهب الوثنية والجهالة ويعيش أهلها عيشة بدائية لينقلوهم الى عصر المدنية الاسلامية وحضارة الانسانية لا تفرقة بين لون ولون أو عرق وعـــرق .

(٣)

يقول باتيين فى كتابه عن أواسط افريقية :

ان انتشار الاسلام بين الافريقيين — اذا روجعت أسبابه — انما هو نتيجة لا محيد عنها لانتشار حضارة انسانية ممتازة لم يكن فى العالم حضارة تضارعها أو تقوى على فعاليتها وأن وصول الاسلام الى القارة الافريقية كان ملازما لوصوله الى القارة الاوربية نفسها وامتداده الى اقطار بعيدة من القارة الاسيوية ، فقد كان امتياز حضارته سببا كافيا لسيادته على العالم المعمور والعالم المجهول على السواء .

ان مثل هذه الحضارة لا سبيل الى حصرها فى بقعة محدودة من العالم مع اقدام العربى المسلم على احتمال الجهد والخطر ورغبتـــه فى الرحلة والارتياد فانتشار الاسلام انما هو فى حقيقته انتشار حضارة جديرة بالانتشار .

(٤)

تقول جريدة التيمس : كان الاعتقاد قديما أن الاسلام هو دين شـــعوب الصحراء وقد يتقدم الى الحضر وما كان أحد يصدق انه يستطيع أن يختـــرق المناطق الاستوائية وأن يصل الى الجنوب كما حدث فى سيراليون وساحل العاج وساحل الذهب والداهومى ويخشى رجال الادارة على الأخص من انتشار الاسلام فى هذه البقاع ويختلف الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الاسلام فى أفريقيا فمن قائل أن تقدم الاسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية مادام يسير فى (الخطوط التى رسمها له الاستعمار) بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الاسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الاسلام لافساده وازالة حقيقة الاسلام عنه مع بقاء اســم

الاسلام عنوانا له) حتى يكون ذلك بمثابة حائل يقف أمام ضغط الاسلام المتزايد .

(٥)

اشارت مجلة الازهر (م ٢٩ ــ شوال ١٣٧٧) الى أن حكومة السودان بلغت اعتماداتها للتبشير ٩٦٪ من مجموع ما يتفق فى المناطق المقفلة ، لا يقل عن خمسمائة جمعية لها فروعها المنبثة فى كل مكان ويعيش القواموان عليها فى بحبوحة من العيش فى الغابات وغيرها ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والبحرية والجوية ما يوجد وقد خلقوا جيلا جديدا مثقفا بثقافة جعلته متعصبا يخالف دين الاسلام . وهناك الكنيسة الايطالية فى مدن واو عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الممتاز حتى لكانها قطعة من فاتيكان بروما .

(٦)

فى محاولة لايقاف انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء رسم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسى حيث يبتدىء بارتيريا (الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان وأوغندا وتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا التى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين : نيجيريا وبافاريا وقد فشل مخطط الاستعمار وتصدع وجرت مثلا تلك الكلمة التى تقول :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء أخطر علينا من الف قنبلة ذرية » والمعروف أن القارة الافريقية تعد فى نظر النفوذ الاجنبى أخطر مناطق العالم اليوم لأنها منطقة النفط أولا ويوجد بها احتياطى من المعادن كاليورانيوم والماس ، كذلك فان القرن الافريقى يتيح أفضل قواعد الانطلاق الى الخليج العربى حيث يرقد أضخم احتياطى عالمى من النفط .

وهذا هو السر فى الخطوات التى يتخذها السوفييت اليوم بهدف السيطرة على بعض المناطق الاستراتيجية ، وقد بدأ ذلك بتركيز وجود سوفيتى فى الحبشة وأنجولا ، والتدخل السوفيتى فى أثيوبيا يستهدف الصومال من أجل السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ومحاولة الاتحاد السوفيتى السيطرة على القرن الافريقى وتهديد أمن البحر الأحمر ، ويتمركز السوفييت الآن فى انجولا وموزمبيق وبوسوانا وزامبيا وأثيوبيا .

● ● ●

(١٣)

احتلال سـبتة ومليـلة

ما تزال مدينتى سبتة ومليلة اللتين دخل منهما طارق بن زياد الاندلس محتلتين حتى الآن بجيوش اسبانيا ، بل أن الحركة التبشيرية فيهما قائمة على ساق الجد فى المدينتين ، وهى حركة تتلقى تعاليمها وتخطيطها من مركزها فى مدينـة مالقا بجنوب اسـبانيا وبالرغم من الخـلاف بين الكاثوليكية والبروتستانية فانهما اتحدتا فى كل سبته ومليله على سرقة أبناء المغـرب القاطنين بهاتين المدينتين وتوزع بهما منشورات مسيحية منها كلمـات من الانجيل كتب على غلافها بحرف بارز الشعار الاسلامى (الله أكبر) استغلالا لهذا الشعار للوقيعة بالمسلمين .

وهذه ظاهرة تكشف مدى التعصب الاوربى المسيحى البالغ الشأن ، وهى تسقط مزاعم الاعتقاد بأوربا العلمانية فى دعواها بأنها لا تعادى دينا بعينه ، أو تؤازر دينا بعينه وهى توحى بتصميم أوربا على المضى فى خطتهـا نحو استقلال التبشير فى السيطرة على بلاد المسلمين .

والمعروف أن احتلال اسبانيا للصحراء كان انتقاما من الوجود العربى الاسلامى فى الاندلس الذى دام قرونا عدة زيادة على الفوائد السياسية والاقتصادية التى جناها المستعمر ولا يزال .

وقد جاءت مؤامرة السيطرة على هذه الاجزاء من المغرب بالاتفـاق بين فرنسا واسبانيا حيث أخذت اسبانيا وادى الذهب وتقرر أن منطقـة الساقية الحمراء تقع خارج التراب المغربى وقد تذرعت فرنسا عام ١٩١٢ ببعض الأسباب للاحتلال التدريجى والبطىء للمغرب (وجده ، الدار البيضاء، الشاوية) وقامت اسبانيا من جهتها بتقليد فرنسا فاحتلت ريستيفه وراس الماء من ناحية الريف ثم احتلت فرنسا مدينة فارس واحتلت اسبانيا مواقع بين سبته وتطوان ونزلت بالعرائش واحتلت القصر الكبير .

●●●

الجزائر والباكستان

مرت الجزائر بنفس تجربة الباكستان وبنفس المأساة . فقد قامت باكستان فى ظل مفهوم بأن التصور الاسلامى هو الاساس الذى تقوم عليه الدولة ولكنها عجزت عن ذلك تماما ثم تحول التيار الى الحد الذى أصبحت هناك قومية باكستانية مغايرة للقومية البنغالية ثم وقع بينهما الصراع الدموى . كذلك الأمر فى الجزائر فقد قام الجهاد فى سبيل تحريرها على أساس مفهوم الاسلام وقدمت مليونا من الشهداء ولكنها عجزت عن أن تمضى فى الخط الاسلامى الى تحقيق قيام مجتمعه ودولته . وتحولت الجزائر الى تجربة أخرى مغايرة للخط الاسلامى تماما .

وفى باكستان قال غلام أعظم (أمير الجماعة الاسلامية) بما أن هذه الحركة لم تتبلور كحركة اسلامية فانغالبية قادتها بعد قيام الباكستان تنكروا لقضية الاسلام . لقد قامت باكستان على تصور اسلامى ولكنها بعد تأسيسها لم تحقق هذا التصور وبالتالى لم يترسخ فى أعماق الجيل الجديد ولذلك حينما نحت هذا الجيل عن قوميته وجدت الاقليمية واللغة طريقها الى تفكيره . ويقول المودودى عن حركة جناح أنه بالرغم من أن هذه الحركة تثار باسم الاسلام ولكنها ليست حركة اسلامية ونظرية العمل الاسلامى الصحيحة هو أن ينتشر الاسلام أولا حتى اذا ما انتصر الدين الاسلامى فى أعماق الجماهير فان هؤلاء المسلمين سيقيمون الاسلامية فى الهند كجزء من عقيدتهم .

وفى الجزائر فان المعركة التحريرية قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله ولولا أنهم أكدوا ذلك لما استشهد منها من استشهد ، والشعب الجزائرى لم يدع لخوض المعركة التحريرية الا باسم الاسلام ولولا ذلك لما استطاع أن يحمل فى هذا العصر لواء المقاومة ضد الاستعمار المدجج بأحدث الاسلحة وأفتكها .

ولكن العبرة بما بعد ذلك ، لقد حاول اليفوذ الاجنبى القضاء على هذه الروح خوفا من أن تستعلن فى العالم الاسلامى كله .

والمعروف أن الحركات التحريرية الوطنية فى العالم الاسلامى قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله ولكن الاستعمار استطاع أن يقضى على هذه الخطة وأن يحتويها بانشاء تلاميذ فى مدرسته الاستعمارية يحملون لواء الحركات الوطنية ويدورون فى دائرته ويعارضونه فى جزئيات السياسة بينما هم اتباع حقيقيون لفكرة ومفاهيم ولاسلوب العيش الغربى وكان فى مقدمة هؤلاء سعد زغلول فى مصر ومن ثم فقد تحولت حركات التحرر الى معارك حزبية ولم تستطع القضاء على النفوذ الاجنبى .

لقد كان على الثورة الجزائرية أن تلتمس أسلوب الاسلام وبناء المجتمع الاسلامى وكذلك كان الأمر بالنسبة لباكستان .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن أخطر سياسة تعليمية على اسلام الجزائر وعروبتها كانت تلك التى طبقها الجنرال ديجول منذ ١٩٥٨ بعد تسلمه الحكم فقد أحس بحكم تجاربه ودرايته وحصافته السياسية أن استقلال الجزائر آت وأن مرحلة المحافظة على الجزائر كمستعمرة فرنسية قد تجاوزها الزمن ، وأن عليه أن يعمل على تطبيق سياسة من شأنها أن تبقى على تبعية الجزائر الثقافية لفرنسا الى جانب التبعية الاقتصادية التى يصعب على الجزائر المستقلة التخلص منها بسهولة . ومن رأى ديجول أن العامل الثقافى فى ميدان التبعية أقوى من العامل الاقتصادى فى هذه ظروف . فالابقاء على هيمنة الثقافة الفرنسية على الجزائر معناه ابقاء لمقاليد الأمور وأزمة الحكم بين ايدى الجزائرين المثقفين ثقافة فرنسية والجاهلين لثقافتهم القومية اى بين أيدى جزائريين يفكرون ويعيشون على الطريقة الفرنسية . وهذا ضمان كاف للابقاء على التبعية الثقافية والتبعية الاقتصادية فالمتطرفون الذين يسيرون الادارات الجزائرية يؤلفون طبقة ممتازة بالجزائر سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم أو طريقة معيشتهم. هذه الطبقة هى التى ستخوض المعركة من أجل البقاء بالجزائر أمام الحتمية التاريخية المسماه التغريب دون العودة الى شخصية الجزائر الاصلية ، لذلك سارع ديجول بنشر تعليم الفرنسى بين الجزائرين واستطاعت سياسة ديجول خلال أربع سنوات (٥٨ — ١٩٦٢) أن تؤكد التبعية الفرنسية الثقافية وابقاء الجزائر ذات وجه فرنسى الثقافة والتفكير مع عرقلة التعريب ووضع العقبات فى طريقه ، قال الوزير الفرنسى المسئول عن الشئون الجزائرية : ان ديجول عمل على تأخير تحقيق التعريب فى الجزائر الى أمد بعيد .

واذا كان لنا أن نقول اليوم شيئا فهو أن ثورة جبارة كالثورة الجزائرية التى قامت فى اطار الاسلام وتمثلت فى الاساس جهادا اسلاميا ضد أعداء الله وأعداء الاسلام ذودا عن حياض العقيدة كان يؤمل منها أن تكون سباقة بعد التحرر الى الأخذ بالمنهج الاسلامى الشامل بابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فان ما يجرى من حولنا هنا وهناك فى العالم الاسلامى من ممارسات ودعاوى وشعارات اسلامية ترفع ، انما هى وسائل لامتصاص طاقة الجماهير المتعطشة للتطبيق الكامل للاسلام : اسلام

الاستعلاء العقدى . اسلام العدالة الاجتماعية ، اسلام الاقتصاد القومى ، اسلام الشورى الصحيحة ، اسلام الثقافة المتحررة من كل هيمنة أجنبية شرقية أو غربية ، اسلام الوحدة الكاملة الشاملة للوطن العربى . ولا ريب أن التأكيد على الهوية الجزائرية الوطنية فى المنطقة المحصورة بين وجده وغار الدماء هى ثغرة اقليمية تقع فيها بلاد غربية أخرى ولا ريب أن جنسية المسلم هى عقيدته وكل الحدود والسدود هى التى صنعها الاستعمار والمسلم يؤمن بأن كل أرض تعلوها راية الاسلام هى أرض اسلامية ، لا بين المحيط والخليج ، بل من المحيط الى المحيط .

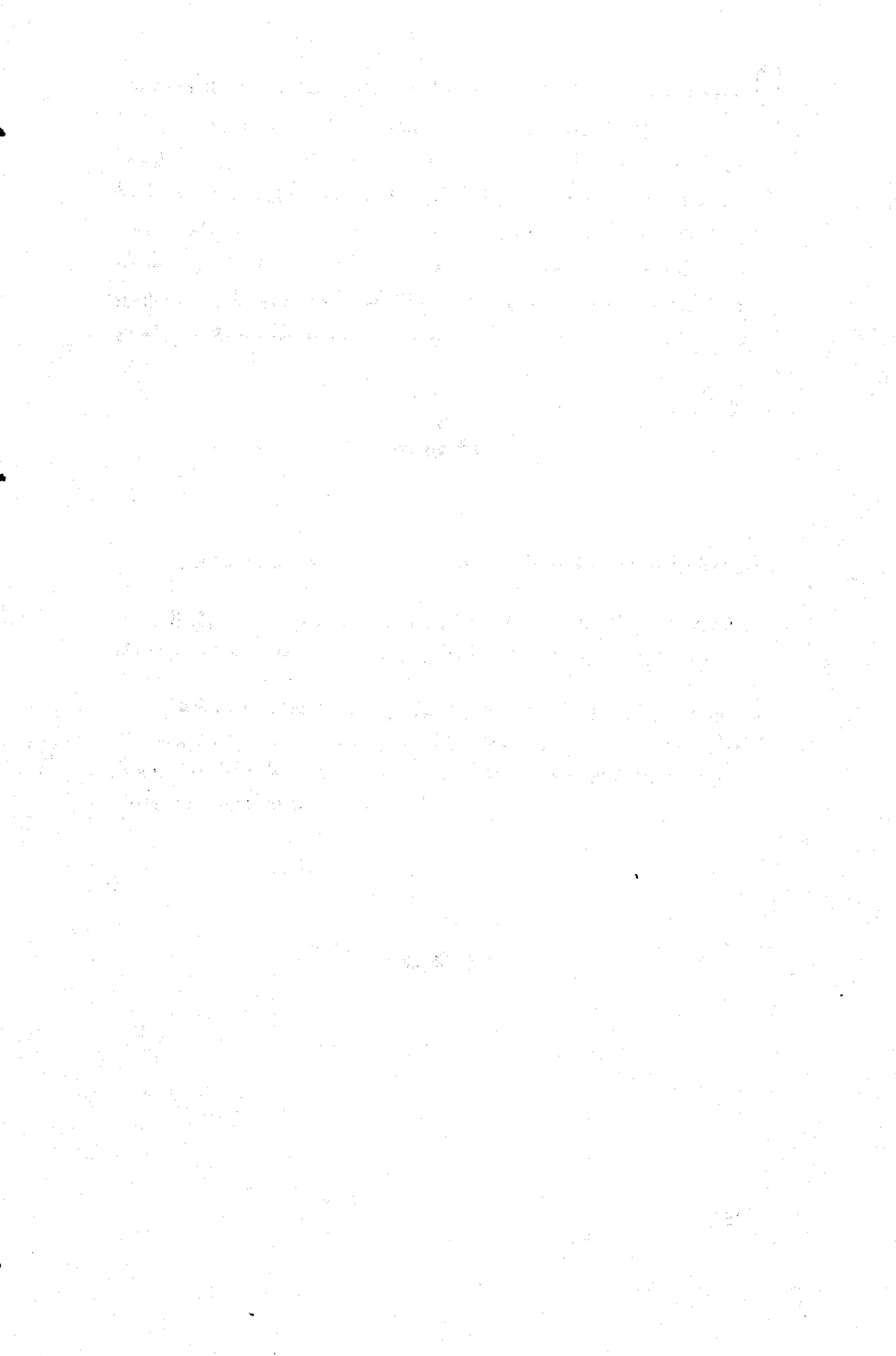
●●●

يجب أن نفرق ونحن نتحدث عن علاقة الدولة العثمانية بالعرب أمرين :

الأول : ان العرب هم الذين سعوا الى الاندماج فى الدولة العثمانية باعتبارها رافعة لواء الاسلام وفى مواجهة أخطار الغزو الغربى المتجدد .

الثانى : أن هناك فارقا بين حكم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الى عام ١٩٠٩ وما بعد ذلك وهو حكم الاتحاديين الذين سلموا طرابلس الغرب لايطاليا وفلسطين لليهود وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى دون مبرر قوى .

***



رابعـا ـ التغريب

(١٥) محاولة لويس بعد هزيمة المنصـورة

(١٦) الطهطاوى ومحمد على : بوابة التغـريب

(١٧) قرار ١٩٠٧ كامبل بنرمان

(١٨) شـهادة حـق

(١٩) الثورة الفرنسية والحركة الوطنيـة

(٢٠) قانون نابليـون

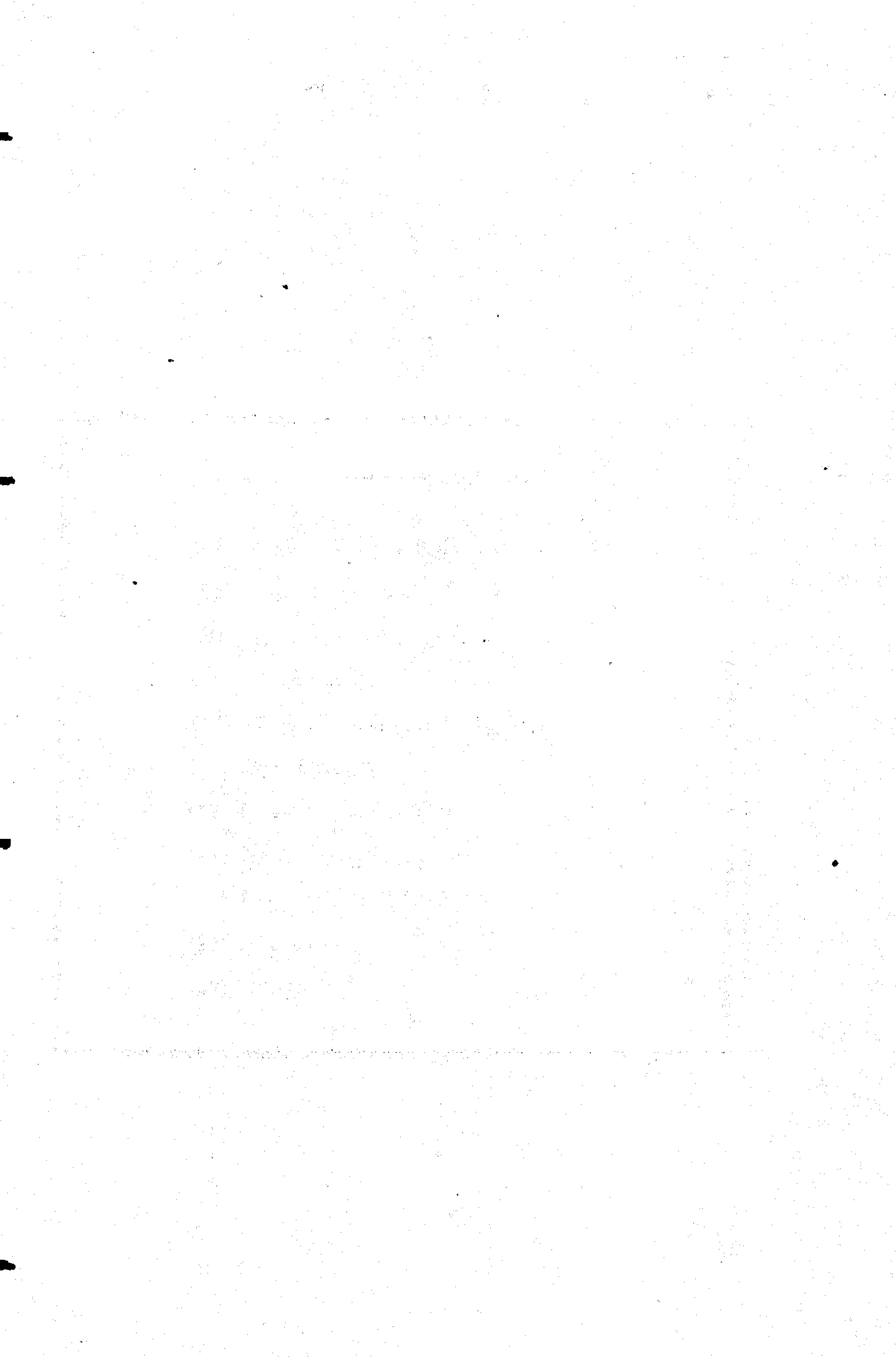
(٢١) لبنـان والارساليـات

(٢٢) كرومر : راس الافعى

(٢٣) العرب والدولة العثمانية

(٢٤) دنلـوب

(٢٥) اتاتورك



(١٥)

محاولة لويس بعد هزيمة المنصورة

قاد لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة الى مصر ، وهزم بها شر هزيمة وكان فى بدأ حملته قد نزل قبرص وقام باتصالات مكثفة بالمغـول لتنسيق العمل معهم وكان يرى أنه بالقضاء على قوة مصر فقد قضى على قوة العالم الاسلامى وبذلك خطط للهجوم فنزل دمياط ٦٤٧ هـ ــ ١٢٤٩ م أثناء انشغال الملك الصالح فى اخماد الفتن واستعد للزحف على القاهرة ووصل الى المنصورة وفيها هزم واقتيد للاعتقال فى دار ابن لقمان ليفتدى نفسه .

ولا ريب أن سماحة حكام مصر المسلمين هى التى اذنت بالافراج عن لويس حقنا للدماء ورغم ذلك فان خيانة العهد كانت دائما طابع الصليبيين : ذلك ان لويس بعد ان افتدى نفسه فى مصر عاد الى عكا وظل بهـا أربع سنوات حاول خلالها القيام بمؤامرات مختلفة بين امراء المسلمين القضاء على وحدة كلمتهم ولاستغلال المتناقضات بينهم لصالحه ولم يكتف بذلك ، بل اكمل ما بداه فى قبرص وهو الاتصال بالمغول لمفاوضتهم لتطويق اراضى العالم الاسلامى معه ولكن المغول آنذاك كانوا فى شغل بأمور داخلية . وبدأ لويس فى تحقيق هدنة ٦٥٥ هـ ــ ١٢٥٧ بعد مغادرته لفلسطين بعامين تقريبا ، الا ان لويس ترك للامراء الصـليبيين المقيمين بالشام اسـتكمال ما بداه من مفاضات مع المغول وهو ما تم فيما بعد وانتهى بالغزو المغولى الى أن انتهى الاستيلاء على بغداد دمشق وكانت هزيمته فى معركة عين جالوت .

وذهب لويس بعد ذلك الى تونس وقتل ولكن بعد ان ترك ترك الخطة الخطيرة فى حرب الكلمة التى دعا اليها المبشرين والمستشرقين .

●●●

(١٦)

الطهطاوى ومحمد على : بوابة التغريب

ان رؤيا رفاعة الطهطاوى للنفوذ الأجنبى الذى كان قد بدأ فى محاصرة مصر لم تكن واضحة تماما وكان حسن الظن بالحضـــارة الغربية واوربا بحجب الرؤية الصحيحة للخلفيات الخيرة والنيات المتآمرة المبيتة . وحسن الظن هذا قد استمر طويلا واشار اليه الدكتور محمد حسين هيكل وقال انه خدع به طويلا حتى رأى محاولات الاحتواء والسيطرة الخطيرة ممثلة فى حركة التبشـــير .

وقد كان حسن ظن رفاعة بان هذا الفكر الغربى الذى راه فى أوربا هو عربى اسلامى أصلا ولذلك فلا بأس من استرجاعه فى صورته الجديدة بينما لم يكن الأمر كذلك فان الاوربيين أخذوا نقاطا معينة من الفكر الاسلامى وصهروها داخل بوتقــة تفكيرهم المســيحى والوثنى والرومانى واليونانى القديم . ذلك لم يستطيعوا أن يحملوا لواء حركة اصيلة قائمة على مفهوم الدين الحق ولكنهم أنتقوا ما صهروه فى بوتقتهم وحافظوا به على وجودهم وجددوا به كيانهم دون أن ينصهروا هم فى الفكر الاسلامى أو فى مفهـــوم الاسلام للمجتمع والحضارة .

ومن هنا فقد كانت محاولة ابراز رفاعة لدى الماركسين وكذلك الأمر فيما يتعلق بالكواكبى الذى الف كتابا عن الاستبداد .

ولعل رفاعة فى السنوات الاخيرة من حياته حينما رأى غلبة القانون الوضعى وعجزه عن الاستجابة لفكرة تقنين الشريعة الاسلامية قد احس تماما بفساد وجهة نظره كلها سواء فى الاعجاب بالحضارة الغربية أو بالدعوة الى المصرية الاقليمية أو العامية أو حب الوطن فان هذه المعانى لم تكن فى ذلك واضحة من حيث خلفيات النفوذ الأجنبى الذى أراد بها ضرب الجامعة الاسلامية والوحدة الفكرية الاسلامية .

وهذا الخطر هو ما تنبه له من بعد جمال الدين ومحمد عبده وغيرهما مما دفعهم الى المحافظة على الذاتية الاسلامية دون أن تنصهر فى الحضارة الغربية . والمعروف ان محمد على قد أعاد للفرنسيين نفوذهم الاقتصادى والفكرى بعد أن هزمتهم القوة الاسلامية الوطنية التى حطمها ايضا محمد على وهى قوة العلماء ، ولقد أيد رفاعة هذا الاتجاه التغريبى الذى قام به محمد على حين جمد الازهر وانشأ نظاما تعليميا عصريا وأوجد الفرنسيين نفوذا ثقافيا وتعليميا وتربويا حين يقول (لو لم يكن لمحمد على من المحاسن الا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الاجنبية لكفاه ذلك) فقد كان رفاعة غير بعيــد النظر عن الخطر السابق بالاحتلال الفرنسى الذى انتهى عسكريا واستبدل به محمد على نفوذا سياسيا واجتماعيا وثقافيا ظل ممتدا ومؤثرا الى ما بعد

الاحتلال البريطانى ، بل الى اليوم ولعل رفاعة الطهطاوى لم يعلم أن محمد على كان عاملا من عمال النفوذ الفرنسى حين سعى الى التدخل فى المغرب لحساب فرنسا وهذا ما دعا الانجليز الى تحطيمه .

وحين يتحدث رفاعة عن وحدة الفكر الانسانى ويرى ان الفكر العربى (أى الاسلامى) رافد من روافده يخطىء اشد الخطأ فان الفكر الاسلامى له ذاتيته الخاصة التى لا تنصهر فى الفكر البشرى الذى يمكن أن يتلاقى شرقيه بغربيه ، غنوصية بهلينية ، لانه من مصدر واحد ، حضارات بابل وآشور والهنود وفارس والمجوسية واليونان ، كل هذه لها سياج تقف عنده ولا تتعداه الى الفكر الاسلامى الاصيل الغنى الذى ليس فى حاجة الى اضافة ولا الى امتصاص ولا تلاقح على حد عبارتهم الشائنة .

وانما يحتاج الى الأساليب والوسائل الحديثة والمستحدثة فقط ولا يستطيع أن ينصهر لتركيبه الربانى المصدر الانسانى الوجهة الخالص الجامع مع فكر بشرى مادى وثنى اباحى جزئى وانشطارى .

وعلى العموم فان لرفاعة أجر المجتهد الذى اخطأ .

يقول أحد الباحثين : ما لبثت أبواب مصر ان انفتحت أيام محمد على وخلفائه أمام تدفق الافكار والنظم الغربية المسيحية التى اصطدمت بالأطار العقائدى الاسلامى وفككته . حقيقة ان محمد على فى اقتباسه من الغرب كان يهدف الى فتح نافذة محدودة ، الا انه لم يدر انه بذلك قد فتح الباب على مصراعيه أمام تدفق الطوفان الذى دمر الاسس التى كان يقوم عليها المجتمع المصرى مما أدى الى اضمحلال أو انهيار النظام السياسى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية الاسلامية وتم استيراد مجموعة من النظم والقوانين والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة عن الكتل الجماهيرية ولا يتفق مع حاجات ومشاعر السكان المسلمين .

وجاء اسماعيل فقال ان مصر قطعة من أوربا وأقام المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية ، وتوقفت الشريعة الاسلامية تماما وحجبت ، وكان القضاء موصى به من الاستعمار الفرنسى نقلا من نظامهم الاستعمارى فى الجزائر كما اعترف بذلك نوبار باشا اعترافا صريحا فى مذكرة رفعها الى اسماعيل (١٠ أغسطس ١٨٦٧) .

وكان الخديو اسماعيل مستعدا لمنح الاجانب امتيازات جديدة بل منحهم نفس ما للوطنيين من حقوق بما فيها حق امتلاك العقار . وقال نوبار وهو يفتح بوابة التغريب على مصراعيها فى ذكرته : « ان التقدم لا يأتى الا من ناحية أوربا ونتطلع الى اشراك هذا العنصر المتمدن ونود أن نستجلب رءوس الأموال بأن نهيىء لها استغلالا مدر للربح » .

وقد أغدق اسماعيل الهبات على بعثات التبشير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين الى أعماق افريقيا .

وفى رسالة مسيو بوحاد قنصل فرنسا فى مصر ١٨٦٩/٥/٢ : ان اسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها ٣٥٠٠ زراع فى موضع حسن جدا (١٥٠ الف فرنك ذهب) ومنح الراهبات اعانة سنوية (٦ آلاف فرنك ذهب) وهبة (٢٠٠ الف فرنك) ومنح أساقفة اللاتين منحة أخرى هى أرض مساحتها ٦ آلاف ذراع وكانت منذ عام ١٨٦٧ قد بدأت مدارس الاستعمار الفرنسى والبريطانى فى العمل فى مصر وجميع عملاء الغرب من رجال الخديو اسماعيل انما صنعتهم هذه المدارس (المحافل الماسونية + المدارس التبشيرية) .

والمعروف أن مصر وقعت فى براثن الاحتلال نتيجة المضاربات المالية والافلاس الاقتصادى وسقطت قبل الاحتلال البريطانى فى أيدى الدائنين اليهود وافتتح بنك الكريدى ليونيه فى اسكندرية (١٨٧٤) وبنك الرهونات (١٩٠٠) .

● ● ●

من أبرز الفوارق المميزة بين الحضارات ما تتميز به الحضارة الاسلامية فى مجال الطب ، فالطب فى الاسلام طب للعامة وقد حطم القاعدة الوثنية التى كانت تعتنقها الحضارة الفرعونية والحضارة الرومانية وهو القضاء على المريض الضعيف وحجب الدواء عنه وقصر الدواء على الثراة والسادة .

قرار سـنة ١٩٠٧ كامبل بنرمان

وجه رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧ الدعوة الى لجنة من كبار علماء الغرب وقدم لها ورقة عمل على هذا النحو :

ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تسيطر الى حد ما ثم تنحل رويدا ثم تزول والتاريخ ملىء بهذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة فهناك امبراطوريات روما واثينا والهند الصينية وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها .

فهل لديكم أسباب او وسائل يمكن ان تحول دون السقوط والانهيار أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى وقد بلغ الآن الذروة واصبحت اوربا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمها بينما العالم الاخر (العالم الاسلامى) لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية هذه مهمتهم ايها السادة .

وقد أخذت اللجنة فى دراسة تاريخ الامبراطوريات وكيف نشأت وكيف حكمت وكيف أنحلت واسباب هذا الانحلال من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية واخذت تدرس وضع الامبراطوريات الحاضرة وكيف يمكن أن تدوم ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر .

وانتهت اللجنة الى اقرار خطة المستقبل على النحو التالى :

(اولا) : اهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوى للاستعمار فهو الجسر بين الشرق والغرب وملتقى طرق المواصلات فى العالم وأن من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يستطيع التحكم فى العالم .

(ثانيا) : استبعد التقرير اى خطر على الاستعمار فى المستعمرات الحرة ، أى البلاد التى استوطنها الانجليز مثل جنوب افريقيا ، كندا ، استراليا ، كما قلل من خطر استقلال الهند والملايو والهند الصينية ، ومناطق جنوب شرق آسيا لأن المشاكل الدينية والعنصرية والطائفية واللغوية ستشغل هذه الاقطار فور استقلالها ولاجل طويل .

وقلل التقرير من خطر المستعمرات فى افريقيا فى المحيطين الاطلسى والهادى لانعزالها .

اكد التقرير أن مصير هذه المستعمرات هو الارتباط بالدول الاوربية اقتصاديا وثقافيا حتى اذا انعدم ارتباطها السياسى والعسكرى نتيجة للاستقلال .

(**ثالثا**) : اكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحــــر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفى حوضه حيث مهد الديانات والحضارات وانه يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواتهالطبيعية ونزعة أهله للتحرر فلو اخذت هذه المنطقة بكل الوسائل الحديثة وامكانيات الصناعة الاوربية وانتشر التعليم فيها فانه ستحل الضربة القاضية حتمــا بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر آحلام الاستعمار الغربى فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار « تجزوء » هذه المنطقة وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتاخر ، وان تعمل على وضع هذه المنطقة المجزأ المتاخر مع بقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجــــزء الاسيوى .

كما أوصى التقرير بضرورة محاربة اتحاد هــذه الجماهير او ارتباطها باى نوع من الارتباط الفكرى او الروحى او التاريخى .

وكاجراء سريع لدرء الخطر اوصى التقرير بضرورة اقامة حاجز بشرى « قوى وغريب » فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى قربه من قنـــــاة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » .

والمعروف ان الاستعمار كان قد التقى فى هذه الفترة مع الصهيونية واتفقا على هدف واحد : الاستعمار يرمىالى محو ترابط المنطقة والصهيونية تريد السيطرة على فلسطين وبيت المقدس .

●●●

اشار مؤلف كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » الى تحديات اليونسكو وذكر مؤلف كتاب « اوقفوا هذا السرطان : حقيقة الماسونية » للدكتور سيف الدين البستانى الى ان ٨٠ فى المائة من موظفيها يهود وان ٤ آلاف موظف فى الأمم المتحدة هم أيضا يهود وأن السكرتارية العامة للامم المتحدة بها ٩٠ فى المائة يهود .

(شـــهادة حــق)

يعد تقرير السير ريتشارد وود قنصل دولة انجلترا الجنرال ووكيلها السياسى فى تونس الى ناظر الخارجية للدولة الانجليزية فى الكتاب الازرق ١٨٧٨ وثيقة خطيرة تكشف عمق فهم هذا الرجل للمسلمين (نشره السيد محب الدين الخطيب ١٩١٢ بجريدة المؤيد) وقد عرف السير ريتشارد المسلمين فى سوريا قبل أن يعرفهم فى تونس وكانت له صلة دائمة بالعلماء أيام كان قنصلا لدولته فى دمشق ، يقول : من أوهام الناس أن الاسلام يمنع مساواة أهل الذمة بالمسلمين فيما لهم وما عليهم وينبو عن الأخذ بأسباب التقدم والحضارة لأنه لا يجيز انتشار المعارف والتحلى بالعلوم .

واذا رجعنا الى فتوى الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام بالملكة التونسية وهو أحد مشاهير علماء الاسلام وفتواه تقرر ان الأصل فى الاسلام قاعدة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن اوكد الواجبات على الخلق التعاون والتآزر على حفظ المصالح وتأييد الحق وكف النفوس عن شهواتها والقرآن يتضمن أحكام الدين وفى الوقت نفسه يشمل الأمور الدينية والاصول السياسية ومعلوم ان اهل الذمة لهم ما المسلمين وعليه ما عليهم اذا ثبت أن غايتهم الوطنية موافقة لغاية المسلمين وانهم مثلهم فى ايثار مصالح الوطن والخير العام ، فاذا ما اتفقت كلمة الشعب من كل المذاهب واتحدت غاياتهم وقع الاتحاد الوطنى الذى هو الوسيلة الوحيدة لسيادة الامة وراحتها وبدونه يكون الجميع فى الخطر العظيم . وقال ان الشيخ أحمد بن الخوجة قال أن الحرية التى نحن مازمون بها ان هم ليسوا على ديننا توجب علينا أن نستمع شكواكم وأن نتدارك كل ما يضر بمصالحهم وقد نص (القرافى) وابن حزم على أن من حق حماية أهل ذمتنا اذا تعرض الحربيون لبلادنا وقصدوهم فى جوارنا — أن نموت فى الدفاع عنهم ، ويقول القرافى ما معناه : ان من واجب المسلم للذمين الرفق بضعفائهم وسد خلة فقرائهم وأطعام جائعهم والباس عاريهم ومخاطبتهم بلين القول واحتمال أذى الجار منهم مع القدرة على الدفع واخلاص النصح لهم فى جميع أمورهم ولا يخفى على المتأمل فى هذه الفتوى انها تنتج امرين مهمين :

الأول : ان الاسلام يجيز استشارة اهل الذمة فيما يتعلق بالنظامات الدنيوية والا لما كان يجيز للامام ان يستمين برأيهم ويعمل بمشورتهم ويقبل مفاوضتهم فى توازل المسلمين .

الثاني : ان الاسلام لا يمنع من استخدام النصارى واليهود اكثر مما

يقتضى الحال وتستلزمه الضرورة الوقتية والواقع أن الاكفاء من النصارى كثيرا ما نابوا عن السلطان العثمانى لدى الدول الأجنبية فى النوازل المهمة جـــدا .

٢ ــ ان ذى يدرس نصوص الشريعة ويختبر مقاصدها الحقيقية يجدها بعيدة بمراحل عما ينسبه اليها ذوو الأغراض ، وحاشا أن يكون الاســلام غير واف بما يستدعيه الظروف والأحوال من الاصلاح وكبار العلماء متفقون على أن كل ما يتعلق بالعبادات من أحكام الدين هو الذى لا يقبل التغيير بوجه أما فيما يتعلق بالسياسة والادارة فليس كذلك ، وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول : تحدث للناس اقضيه بحسب ما يحدثونه من الفجور .

(**ثالثا**) : ان كثيرا من مؤلفى الافرنج يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء فى معاريج الحضارة ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التى يقولون انها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون ، وهذا أيضـــا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صـــدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنـــون ودرسهم كتب الحـــكماء الاقدمين مثل ارسطو واقليدس وايقراط وبطليموس وغيرهم .

٤ ــ ان أكبر بواعث سوء التفاهم بين المسلمين والغرب هو انتشار الظن فى أوربا بأن الاسلام دين القوة والسيف ولكن هذا الظن مخالــف للواقع ، ولما جاء فى القرآن « وقاتلوا الذين يقابلونكم ولا تعتدوا » .

وصاحب الشريعة الاسلامية قد ميز بين أهل الكتاب وهم النصارى واليهود وبين المشركين من العرب وقد وقع بين الخليفة الثانى : عمـــر ابن الخطاب وبين بطريق بيت المقدس اتفاق يضمن حرية النصارى ويميحهم امتيازات وفى بها .

(**رابعا**) : والذى يبحث بحثا دقيقا عن أسباب الفتنة التى سفكت فيها الدماء فى المشرق (فتنة لبنان ١٨٦٠) يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو أصبع السياسة الاجنبية التى تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوى الاحقاد ، ولم يكن أولئك المفسدون يحسبون أن هذه الفتنة تجر الى القتل والفظائع . ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة وواقعة الصقالية والبلغاريين وقد تبين أن الاعتداء انما كان يبتدىء من جانب النصارى (١) .

* * *

(١) كان السير ريتشارد قنصلا لبريطانيا فى دمشق عام ١٨٦٠ .

(١٩)

الثورة الفرنسية والحركة الوطنية

حاول دعاة التغريب اعطاء الثورة الفرنسية آثارا فى العالم الاسلامى والأدب العربي . صدرت هذه المقولة من جماعة المثقفين الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية وخاصة فى بيروت التى كان لها ولاء ثقافى وفكرى ع عقدى مارونى وفى مصر كانت هناك مجموعة توالى هذا التيار من أمثال اديب اسحق وفرح انطون .

وكان لموقف فرنسا لفترة من الزمن فى الترحيب بالدعاة الى الحركة الوطنية أمثال مصطفى كامل أثرا فى هذا التصور الذى اتصل أيضا بهجرة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده الى فرنسا واصدار مجلة العروة الوثقى ١٧٩٨ وكان الاتصال بالفكر الفرنسى يعد مقاومة للنفوذ البريطانى الذى جاء من بعد وأن ظل الصراع بين الثقافيين قائما أمدا طويلا .

ولعل هذا يرجع كما يقول بعض أولياء الثقافة الفرنسية الى أثر الحملة الفرنسية واللون الذى غلب أيام محمد على الكبير ومن بعده فى أسرته وخلفائه .

ثم كانت جماعة التغريبيين امثال طه حسين ومحمود عزمى وذلك الولاء الظاهر فى شعر شوقى وكتابات الانسة مى وما يتصل بالترجمة من الأدب الفرنسى . وما كتبه أمثال جوستاف لوبون وغيره .

وكان أبرز ما يحاول هؤلاء جميعا أن يبرزوه : دور الثورة الفرنسية فى تحرير البشرية وقد كانت كتاباتهم حماسية بلاغية وكانت تخفى الخلفيات التى عرفت من بعد وهى أن اليهود هم الذين صنعوها للخروج من الجيتو وقد حاولوا أن ينسبوا اليها الافضال التى لا تطال .

ولكن جوستاف لوبون فى كتابه فلسفة التاريخ كشف زيف هذا وقال : ان الامتيازات التى الغتها الثورة الفرنسية كانت سائرة نحو الزوال قبل حدوثها وأن تحرير الفلاحين كاحدى النتائج الكبرى التى أسفرت عنها الثورة الفرنسية ، تم مثل هذا من قبل فى بلدان أخرى ومنها حكومة فينا وتحققت نتائج أخرى فى هنجاريا ورمانيا من غير حركة ثورية ولقد امتدت هذه الحماسة حول الثورة الفرنسية وقتا طويلا ، وكانت ترمى الى اعلاء شأن فرنسا والدعوة الى مشروع المتوسطية الذى يحاول الادعاء بأن للبلاد التى من حول البحر الأبيض المتوسط ثقافة مشتركة وهى نظرية استعمارية سياسية تولاها طه حسين ومحمود عزمى وكثيرين .

ولقد كشفت تلك الأحدث التى قامت بها فرنسا فى بلاد الشام بعد الحرب العالمية الثانية حين ضربت دمشق بالقنابل عن حقيقة واضحة هى أن

الولاء الذف أولاه الكتاب العرب والمصريون لفرنسا انما كان ولاء مشبوها ومضللا .

ولما هاجمهم الكتاب العرب والوطنيون ادعوا أن هناك تفرقة بين فرنسا السياسية المستعمرة وبين فرنسا الادبية المتمدنة على حد تعبير أحمد حسن الزيات الذى قال أن فرنسا الروحية هى الوطن الفكرى لكل أديب . ومن ذلك ما كان يردده أمثال الياس أبو شبكة ورعوف خورى من أنه ان يكن نابليون فشل فى فتح سوريا فقد تولى هذا الفتح مكانة اعلام الفرنسيين من رجال الأدب والعلم ، وذلك الادعاء العريض بأن لفرنسا دور فى الثقافة العربية الاسلامية .

يقول ساطع الحصرى : قال البعض يجب أن نميز بين فرنسا الادبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة ولكن هل يمكن التمييز بينهما ، أنا لا اقول بذلك أبدا لأن الأدب الفرنسى نفسه لم يلتزم الحياد تجاه السياسة الفرنسية بوجه عام وحيال السياسة الاستعمارية بوجه خاص بل بعكس ذلك فقد انبرى لخدمة تلك السياسة بكل الوسائل الممكنة .

فقد كتب الأدباء الفرنسيون المقالات والخطب والاشعار والقصص والروايات التى تمجد الاستعمار وتزينه فى النفوس ، والاكاديمية الفرنسية اختارت رجالها من بين صناديد الاستعمار ، وقد انتخبت المارشال ليوتى عضوا بها وهو من أكبر رجال الاستعمار وفى خطبته الافتتاحية قال أن الاستعمار مصدر هام للقوة والثروة ومنبع لا ينضب للجيش وساحة تدريب وتكوين للقواد .

ولقد كان سقوط فرنسا بين يدى الألمان فى لحظات قليلة دليلا على انهيارها الداخلى وفسادها الاجتماعى وقد شهد بذلك زعيمها بيتان .

ومع ذلك فقد بكى عليها بعض اتباع النفوذ الغربى وحاولوا الدفاع عن هذا الانهيار . كذلك فقد ثارت مقولة تقول بأن العرب والمسلمين لم يستيقظوا الا بعد أن جاءت الحملة الفرنسية ١٧٩٩ فايقظتهم وهذا محض افتراء فان المسلمين قد استيقظوا قبل ذلك من مصدر داخلى أصيل هو حركة التوحيد التى قادها ١٧٤٠ الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية وحركات أخرى فى اليمن والازهر فى مصر .

والمعروف أن فرنسا هى التى صدرت الى البلاد الاسلامية ذلك القصص الماجن والمكشوف وتلك الدعاوى الباطلة فى الجنس والاباحة .

بل ان الادعاء بانها كانت مواثل الاحرار والوطنين هو ادعاء باطل لأن ذلك لم يدم الا قليلا حتي اتفق الاستعمار البريطانى والفرنسى باطلاق يد فرنسا فى تونس مقابل أطلاق يد بريطانيا فى مصر ، عند ذلك توقفت فرنسا

فى السماح للوطنيين المصريين بالدعاية لقضيتهم وشجب هذا العمل وقد اتضح من ذلك أن الاستعمار واحد فى مصدره .

ولقد كان الاستعمار الفرنسى أقسى ألوان الاستعمار وقد ذاق منه اهلونا فى المغرب وسوريا العذاب الاليم ، كما كان مستشرقوا فرنسا أقسى المستشرقين تعصبا وأعنفهم اتهاما للاسلام .

ومما يذكر المؤرخون أن الفرنسيين فى أبان الحملة الفرنسية قد حاولوا نقل السلطة الى الاقليات وقد نشأت حركة تنادى باستقلال مصر بقيادة المعلم يعقوب وبعض الزعماء الأقباط خرجوا من مصر متجهين الى فرنسا وقه جلاء الحملة وأنهم الفوا ما سموه الوفد المصرى . وانضم اليهم مغامر اسمه (لاسكاريس) وأخذوا يكتبون المذكرات دفاعا عن فكرة استقلال مصر فلا تعود الى الدول العثمانية ومات يعقوب فى عرض البحر ووضعت جثته فى برميل من الكروم (الخمر) حتى لا يتعفن الى أن وصلوا الى مارسيليا ودفنوه .

وأخذ أعضاء الوفد يطرقون أبواب بونابرت وأرسلوا للحكومة الانجليزية ولم يجدوا أى استجابة وتشتتوا فى فرنسا فقد خاف هؤلاء على حياتهم بعد خروج الفرنسيين حيث لا مستقبل لهم فى مصر وفشلت محاولة فرنسا فى تكوين فرقة من الاقباط ممن جندوهم ودربوهم .

● ● ●

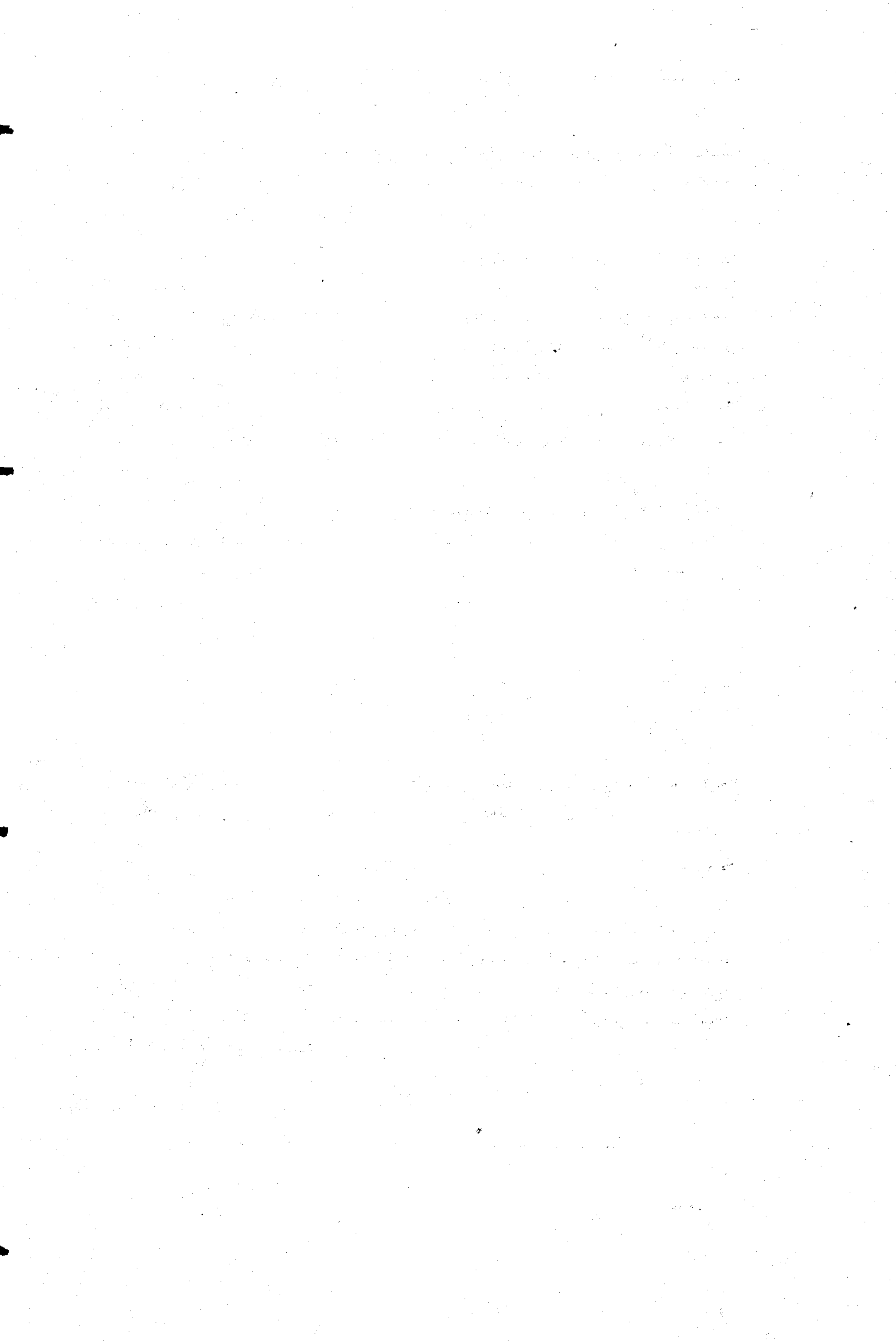
فى مؤتمر لكنو الهندى التبشيرى تلى تقرير القس ويلس وفيه ان التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية .

المؤيد المصرية غرة رجب ١٣٣٠ (عدد ٦٧٠٦) نقلا عن مجلة العالم الاسلامى الفرنسية .

وجاء فى عدد ٦٦٩٦ من الجريدة ترجمة تقرير استورد كرفار :

ان المسلمين يعيشون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينةالنصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ومادامت الشعوب الاسلامية تندرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية سيتولد فيها على غير قصد .

* * *



(٢٠)

قانون نابليــون

كان قانون نابليون من اخطر التحديات التى واجهت البلاد الاسلامية فقد غير تطبيقه كثيرا من مواضعات المجتمع الاسلامى وكانت ولاية القضاء قبل تأسيس المحاكم المختلطة والأهلية خاضعة للشريعة الاسلامية فلما جاء النفوذ الاجنبى عمل على حجب هذه الشريعة وفرض قانون نابليون : القانون الوضعى وكان للوزراء شريف ونوبار وبطرس غالى ولورد دوفرين اثر كبير فى ايجاد المحاكم الأهلية بحجة ايجــاد فارق بين الادارة المصرية والادارة العثمانية ، وقد كان الباب العالى معارضا لهذا الاتجاه .

ويقول الاستاذ محمد عبد اللطيف سعودى بمناسبة مرور خمســين سنة على قانون نابليون (١٩٣٣) أن وجود المحاكم الأهلية قوبل بتذمرات واحتجاجات وصدر بعضها من المفتى الاكبر الشيخ العباسى المهدى وقد انتهت بتركه دار الافتاء ، وكان هذا الاتجاه مفهوما لأن البلاد اتخذت لأول مرة فى حياتها عام ١٨٨٣ (بعد الاحتلال البريطانى بعام واحد) شريعة جديدة تقيم الحدود وتحكم بين المتنازعين وترجع فى احكامها لاراء داللوز وفستان هيللى وغيرهما من فقهاء الفنرسيين والطليان والبلجيكين ، بعد أن كانت لا تعرف غير الشريعة الاسلامية وفقهائها .

وقد فرض اللورد كرومر أن يكون بجوار وزير الحقانية موظف إنجليزى يسمى المستشار القضائى ، يمد الوزير بالنصح ويهيمن على تعيين القضاة، وكان اول مستشــار انجليزى فى وزارة الحقانية مستر سكوت ونتيجة للقحط فى الرجال دخل فى القضاء كثير من الرجال الضعفاء فى القيم والاخلاق .

وقد ظلت المحاكم المختلطة قائمة بجوار المحاكم الأهلية حتى صفيت بعد عام ١٩٣٧ وكانت تجــرى مناقشاتها باللغة الفرنسية وكانت المحــاكم المختلطة قد انشئت عام ١٨٧٦ قبل الاحتلال الانجليزى بسنوات ثم انشئت المحاكم الأهلية بعد الاحتلال على منوالها ، وقد كان لموقف عبد الســلام ذهنى القاضى بالمحاكم المختلطة أثره المدوى حين امتنع عن تلاوة الاحــكام باللغة الفرنسية وتلاها باللغة العربية وقد أوقف عن العمل على أثر ذلك .

(٢١)

لبنان والارساليات

كان ابراهيم باشا فى السنوات التسع التى احتل فيها الشام (١٨٣١ — ١٨٤٠) قد شجع البعثات الدينية والادارية والامريكية على الاقامة فى تلك البلاد وكان لليسوعيين بوجه خاص بحلول ١٨٤٠ كانوا قد وطدوا مركزهم منها من جديد وصار لهم نفوذ عظيم بين الطائفة المارونية فى لبنان (بدأت تابعيتها لكنيسة روما فى أيام الحروب الصليبية) لم تقتصر على الامور الدينية بل تخطاه الى العمل على تمكين السياسة الفرنسية فى بلاد شرق البحر الابيض . أما بريطانيا فقد انتفعت بصداقتها مع رؤساء عشائر الدروز بجنوب لبنان .

وفى عام ١٨٣٩ أصدر فرمان يجعل جميع الأديان فى الدولة العثمانية أمام القانون سواء وقد وجدت فيه الطوائف المسيحية أكبر مشجع لها واستغله رجال الدين ، أما فرنسا فقد عملت جانب المارونيين بصفتها الحامية لطائفتهم وكانت بريطانيا تشجع الدروز . وفى عام ١٨٦٠ قام الدروز بهجوم عام على المارونين وذبحوا منهم نحو ١٤ الف نفس فى بيروت وخمسة آلاف فى دمشق .

واستغل الغرب هذه الاحداث ضد الدولة العثمانية .

وفى عام ١٨٦٤ فتح الحكم الذاتى لسنجق لبنان بحيث يتولاه حاكم مسيحى يتقدم به النصارى وتعينه حكومة الدولة العثمانية وسمح للبعثات العلمية الفرنسية (التبشيرية) بمواصلة اعمالها الثقافية حتى قبل عام ١٩١٤ أكثر من نصف تلاميذ المدارس فى سوريا وفلسطين يتعلمون بمعاهد فرنسية وقد تبين أن فتنة ١٨٦٠ من الموارنة والدروز كانت نتيجة الصراع الدائر فى جبل لبنان بين الانجليز والفرنسيين ، وكان الانجليز وراء الدروز والفرنسيون وراء الموارنة ولم يكن جبل لبنان يعرف هذا النوع من النزاع الطائفى قبل أن تتدخل الاصابع البريطانية والفرنسية التى كانت تتصارع على ميراث الامبراطورية العثمانية وقد كشف هذه الحقيقة تقرير مستر رتشارد وود قنصل انجلترا ووكيلها السياسى فى تونس الى ناظر خارجية حكومية وقد نشرته الحكومة الانجليزية فى الكتاب الأزرق عام ١٨٧٨ (ترجم التقرير محب الدين الخطيب تحت اسم « الاسلام والاصلاح ») .

هذا وترجع علاقات لبنان بفرنسا الى عهد الصليبيين فقد وصل الصليبيون الى لبنان ١٠١٩ م ٤٩٢ هـ منهوكى القوى فلو لم يساعد اللبنانيون اعداء الفرنجة عليهم (المسلمون) لما قامت لهؤلاء الفرنجة قائمة فى الشرق فلم يكتف اللبنانيون بعدم الانحياز الى الاعداء بل مدوا يد المساعدة الى

الصليبيين على ما ذكر مؤرخوهم واخصهم غليوم مطران جور فاللبنانيون هدوا الصليبيين السبيل وتطوعوا فى الجيوش وحاربوا جنبا الى جنب مع الفرنجة وأصحابهم وكان للبنانيين يد فى فتح طرابلس واورشليم الى آخر ما يحمطه التاريخ لابنانيين فى ذلك العهد .

ولما تضاعفت قوات الصليبين فى سوريا لجأت بقيتهم الى لبنـــان فأنزلها أهلوه بينهم على الرحب والسعة وكان التاريخ يعيد نفسه دائما فى ما جرى من ٨٠٠ سنة يتجدد فى هاتين السنين فلو اراد اللبنـــانيون شرا لزادوا موقف الجيش الفرنسى خطرا وفى الاشارة غنى عن الاسهاب وكما أهرق الجدود دمائهم تحت أسوار طرابلس ، هكذا آراق الاحفاد دمهم تحت أسوار راشيا على قمم كرومر .

(يراجع للفصل الرابع من كتاب فى ســبيل لبنـــان المطبــوع فى الاسكندرية ١٩١٩ ـــ من جريدة الراية (يوسف السودا) ١٠ رجب ١٣٤٥)

الماسونية والفنانون

لقد ثبت أن معظم الفنانين البارزين كانوا فى المحافل الماســـونية : حسين رياض ، زكى طليمات ، احمد علام ، كمال الشناوى ، احمد كامل مرسى ، سراج منير ، أنور وجدى . ولقد عملـــوا على تحقيق رســـالة الماســـونية .

* * *

(٢٢)

كرومر : رأس الأفعى

عمل كرومر بعد الاحتلال على خلق طبقة أطلق عليها اسم أصحاب المصالح الحقيقية وصفها محمد لطفى جمعة بأنهم محدثوا الغنى وهم طبقة اجتماعية جديدةقوامها اشخاص لم يكونوا قبل الاحتلال شيئا مذكورا فصاروا بعده ملاكا والفضل فى غناهم راجع الى تقسيم أراضى الدائرة السنية وغيرها . كان الانجليز فكروا فى خلق هذه الطبقة من المظلومين والصعاليك فاهتدوا الى رجلين قديرين يقومان باعداد هذا العمل : هما ويلكوكس وارنست كامل أولهما للعمل الفنى وثانيهما لرأس المال فوزعوا أراضى جيدة بتراب الفلوس وكان ولكوكس يغنى من يشاء بغير حساب على ما فصله فى كتاب القيم (ستون عاما فى الشرق) .

وفى طرفة عين اصبح هذا الفريق من الأعيان يخبون فى القفاطين والجيب من الالاجة والشاهى والجوخ السلطانى ويضعون فى أوساطهم أحزمة السلبند التى أحكم نسجها الحمصانى وصارت تلك الفيالق نعرف باسم أصحاب المصالح الحصيصة اى الذين يملكون الاطيان ويدفعون الضرائب وقد اختير لهم هذا الوصف الذى لايوجد له مثيل فى أوطان العالم ليدللوا به عن أن دعاة الوطنية والاستقلال والجلاء لاتوبة لهم ولا يسمع صوتهم لأنهم لا يملكون الأطيان ولأن الذى ينادون به حلم من احلام ووهم من أوهام العامة .

وكان دأب الانجليز أن الرأى فى كل مكان للرجل الذى وكلنا اليه أمره وكان الاحتلال قد انشأ جيلا من المشايخ الذين يسايرون القابض على زمام الامور ، ويسمونه أهل الحل والعقد .

وقد وصف محمد عبده مجلس النظار سنة ١٩٠٤ بأنه مجلس الصم والبكم والخشب المسندة وكان لكرومر مستشارين فى المالية والداخلية والمعارف والاشغال وفى الحربية وكانت اللغة التركية هى السائدة فىالقصر والخديو نفسه يستعملها فى محادثة رجاله وخدمه فان شذ فالى الفرنسية أو الى العامية ، والحاشية رجال يمتون الى تركيا واليونان بأصولهم والى مصر بنشأتهم والى أوربا ببعض تعليمهم .

وكانت تقارير كرومر قد اوجدت نوعا من الادب الاستعمارى لم يكن معروفا من قبل الا فيما كتبه لورد ماكولى عن الهند ، وغاية هذا الادب تبرير الاغتصاب بحجة الاصلاح وعمل الغاصب على خير المغصوب ولو رغم انفه . وقد نسب كرومر الى نفسه أنه صديق الفلاحين أصحاب الجلاليب الزرقاء ميال الى العدل بين الدهماء .

وفى كتاباته يدس نبذا قصيرة بعيدة المرمى عن ضرورة الاحتلال ووجوب التسليم لبريطانيا فى سائر نواحى الحيـــاة وتخلى المصريين عن الحـــكم لصعوبته وتعقيده وعجزهم عن تناوله ، وان مصر لم تمر عليها فترة من التاريخ وهى حرة بل قضـــت اجيال فى العبـــودية وان انجلتـــرا ارحم المســـتعمرين اى انها اعدل الظالمين واقلهم اجراما فانها لم تحتـــل مصر لاستعمارها بل لخير مصر ونفعها وقيامها بما انتدبتها لها العناية الالهية من واجب القيام على شئون الانسانية الضالة فى بيداء الجهل والفقر والظلم .

وقد تعلم على هذه التقارير لطفى السيد وسعد زغلول وقد وصفت من الوثائق السياسية النادرة .

وقد استعان كرومر بمن لديه من الكتاب المأجورين والشتامين الذين حذقوا افراغ اقذع القدح فى قالب المقال السياسى بكاتب نابغ هو الفريد ملنر الذى اخرج اول كتاب عن مصر فى عهد الاحتلال فى ١٨٩٣ .

وكان فى ذهن كرومر (ايفلن بارنج) فكرة مكونة عن استمرار الحكم الانجليزى فى مصر الى الابد بشرطين :

الاول : أن يقوم باصلاحات مادية يؤدى الى الرخاء واليسر وان يخنق العاطفة الوطنية بطـــريقة التهزئى تارة وطورا بادعاء أن البلاد غير ناضجة للاستقلال والحكم الدستورى وانها الى ان تصبح ناضجة محتاجة الى سند من الانجليز .



تستخدم الشركات الغربية نساء اسيويات لتجربة عقاقير منع الحمل التى تحتوى على نسبة عالية من مادة الاوستروجين ، كما تستعمل شعوب العالم الثالث كحيوانات تجارب لتجربة الأدوية جديدة عليهم قبل تجريبها على الاوربيين .

العرب والدولة العثمانية

كتب الامير شكيب ارسلان اجابة واضحة على التساؤل التى كان مثارا إبان الثورة العربية التى قادها الشريف حسين وهو لماذا لم يشترك بعض زعماء العرب فى هذه الثورة عربية أمثال الأمير شكيب وعبد العزيز جاويش وغيرهم قال : لم يمنعنا من الاشتراك بالثورة العربية سوى اعتقادنا أن هذهالبلاد ستصبح نهبا مقسما بينانجلتراوفرنسا وأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود وهذا التكهن كان عندنا مجزوما به حتى انى كنت اقول قبل الحرب : لو ارتفع الغطاء فما حصل بالفعل شيء غير ما كنا نقول . وكنت اقول لو علمت أن هذه الحركة ستفضى الى استقلال العرب ولا تسقط بها البلاد فى أحضان الاستعمار الغربى لما سبقنى أحد الى رفع لواء الثورة على الاتراك فاما بين الدولة العثمانية والشرق وبين الافرنج فكنت أفضل الدولة العثمانية ولم أزل أعلن على الملأ ولم يكن اعتقادنا أن بلاد صائرة الى ما صارت اليه بعد الحرب عن مجرد حدس وتخمين وأخذ بالقرائن أو ادراك طرف من أطراف الغيب، كلا بل كنا عدا القرائن والارهاصات وقد عرفنا تقسيم فرنسا وانجلترا لسورية وفلسطين ١٩١٢ وأطلعنا بعد ذلك على معلومات راهنة لا تقبل الرد وسأشرح هذه المسائل كلها مع غيرها فى كتاب أنا مباشر تحريره تحت اسم البيان عما شهدته بالعيان ولما شاهدته من الاعيان من أعلان الدستور العثمانى الى الآن . وان هذا التقسيم الذى وقع ١٩١٢ اعترف به المسيو بونكارية فى جواب أجاب به المسيو فكتور بيراز فى مجالس السنات فهو أمر راهن لارجم بالغيب .

هذه المسائل ستعقب لى كتابات عنها مطبوعة قبل الحرب وفى اثناء الحرب وقد أعاد يوم نشر شيء منها منذ سنوات وهو خطاب مفتوح كتبت معها الى أحد الاشراف قائلا ماذا تصنعون : اتقاتلون العرب بالعرب وتسفكون دماء العرب بأيدى العرب لاجل أن تكون سورية لفرنسا والعراق لانجلترا وبعض اليهود تحت حماية هذه فكنا اذا على بينه من أمرنا وكنا نعلم مصير القضية بدليلى العقل والنقل وياليتنا كنا المخطئين واستقلت البلاد وياليت نذرنا كانت وهما وظننا كان اثما ولم تلق علينا السلطة الاستعمارية بكلكلها .

(١٠ ابريل ١٩٢٩ الشورى)

دنلوب

كان دنلوب هو اداة النفـــوذ الاجنبى فى تغيير التعـــليم المصرى من أسلوبه الاسلامى الى الأسلوب العلمانى الذى مازال ســـاريا الى اليوم ولذلك فان أى دراسة لهذا العمل يجب أن تبدأ من هذه النقطة .

يتحدث عن هذا معاصر له هو محمد لطفى جمعة :

عندما حضر دنلوب الى مصر كان عضوا فى البعثة الايقوسية وكان يلبس ثياب القسس الاســـكوتش ثم اندس فى مدرسة رأس التين لعهـــد ناظرها شعبان بك ودرس نظم التعليم الابتدائى والثانوى ، ثم خلق خلافا شكليا بينه وبين ناظر المدرسة مع أنه كان معلم الخط الافرنجى ثم انتقل الى وزارة المعارف بأمر اللورد كرومر ومازال يعلو ويكبر ويستأثر ويســـتولى ويستبد ويتحكم ويخيف ويرهب ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب ويغير ويبـــدل ويولى ويعزل ويثبت ويزعزع حتى أصبح الكل فى الكل وقال مستر ادوارد فانديك أنه ما كان أحد يجسر على مخاطبة ديكتاتور المعارف باسمه سواه فيقول له : مستر دنلوب وكل انسان غيره كان يخـــاطبه بقوله : ســـعادة السكرتير العام.

★ ★ ★

يشير كتاب عبقرية الحضارة العربية : الى اسهام العرب فى ميادين الثقافة والعلوم من القرن السابع حتى القرن السادس عشر مما استفادت به حضارات أخرى وهى ليست حضارة بين حضارتين رومانية وغربية ولكنها حضارة مستقلة .

وان شعر التروبادر انما استمد مباشرة من النماذج العربية مقـــد اقام العرب فى جنوبى فرنسا وبخاصة فى منطقة بروفانس من منتصـــف القرن الثامن واستمرت اقامة عدد منهم الى ما بعد ذلك .

قال جب فى كتاب تراث الاسلام : ان أوربا بأسرها انما تدين لبلاد العرب بنزعتها المجازية الرومانسية .

•

اتاتورك

قال ادوارد هزيو فى مذكراته التى نشرها ١٩٣٤ : أخبرنى اتاتورك انه حين قرر الغاء دور الخلافة قرر أن ينفذ هذه الرغبة قبل الفجر فتمثل هذا العمل المزدوج على أساس انه موجه ضد الخلافة وضد السلطنة . كان فى تصوره العمل الرئيسى الكفيل بتحقيق أرائه فى علمانية مطلقة ومن هنا قام الرئيس التركى بجولات خاصة فى الارياف متصديا لاكليركية رجال الدين المسلمين مانعا اياها من التحدث فى حضوره » .

.. ومنذ ذلك اليوم أصبح محظورا على ائمة المساجد أن يظهروا فى شوارع المدن والقرى بالعمة والجبة والالتزام بارتدائها داخل المسجد فقط ما عدا مفتى الديار التركية الذى اذن له بالظهور باللباس ،

يقولون : أن علمانية الدول لا تلغى اسلام الشعب فى تركيا فثمانون بالمئة من الاتراك مسلمون . والجمعة تكاد تكون شيئا مقدسا وليس فى مدينة من مدن العالم عدد من المساجد توازى ما فى استانبول وليس هناك محفوظات اسلامية ولا سيما المكتوبة بيد رسول الله الى هرقل مثل المحفوظات المجودة فى متحف (توكابى) .

وكان قصر الخلفاء (ضولمه بغجه) قبل أن يتى عبد عبد الحميد (بلدز) ١٨٧٧ والاذان ينساب رخيا من كل المساجد ..

والمسلمة التركية لاتتزوج من غير مسلم التزاما بسورة الممتحنة رغم قانون الزواج المدنى .

ودارت الايام وقد عقد المؤتمر الاسلامى السابع فى استانبول مايو ١٩٧٦ ..

* * *

افتتح وزير معارف هولندا مؤتمر المشرقين فى لندن ١٩٣١ بخطاب صرح فيه أن هولنده لم تذهب الى الشرق لأجل التجارة وانما لنشر الدين المسيحى .

(٢٦)

هزيمـــة ١٩٦٧

يقول ويلفرد كانتول سميث فى كتابه : الاسلام فى التاريخ الحديث أن اليقظة الدينية فى العالم العربى والاسلامى جاءت بعد صدمة هزيمة ١٩٦٧ فقد عادت الجماعات والحركات الاسلامية الى الظهور بقوة منذ ذلك الوقت كرد فعل طبيعى للهزيمة فالتحصن بالدين واللجـــوء اليه لمواجهـــة شرور الهزيمة كان هو الاختيار الواضح عند الشباب ولم تتوقف حركة الشباب عند الأفكار الدفاعية التى قدمها لها العقاد وطه حســـين وأحمد امـــين وهيكل وعمر فروخ ، هذه الاعمال التى اتخذت من الدفاع عن الاســـلام شـــعارا لها والتى قالت أن الاسلام ليس كما يفهمونه بأنه سبب انحطاط المسلمين بل هو دين عظيم يدعو للحضارة والتقدم الانسانى ، نعم لا تريد الحركات الاسلامية أن تتوقف عند حدود الدفاع بل تحاول أن تقيم مجتمعا حديثا على اساس العدل والانسانية معتمدا على القيم الاسلامية والدافع الاساسى لها هو النجاح فى التصدى للهجوم الأجنبى وتخليص المجتمع من عوامل الانحلال والفساد التى سقط منها فالمجتمع الحالى فى تصورها يقوم على مبادىء انتهازية ويتحرك باشخاص فاسدين ولابد لتقويم المجتمع من برنامج للاصلاح يتحول فيه الفكر الاسلامى الى قوة فعالة مثمرة فى مواجهة وعلاج مشاكل العصر الحديث هو التصور هو الوحيد الذى يقف بجدية فى صراع الاقطار فى مواجهة الأخطار التى تطرحها الشيوعية . هذا ما يراه ولفرد كانتول سميث .

***

ظاهرة انخفاض درجة الحرارة فى العالم كله حيث يلاحظ أن هناك هبوطا شاملا يبلغ ست درجات ويعتقد أن هذه الظاهرة تنبىء باقتراب عصر جليدى فحتى عام ١٩٤٥ كانت المناخات ثابتة ثم أخذت فى السنين الأخيرة خاصة تتقلب وتتغير بشكل منقطع النظير .

جاء هذا اثر التلوث الصناعى ودخان المصانع والغاز فضـــلا عن تجارب القنابل الذرية التى توصل الى الجو الاشعاعات المعروفة .

خامســـا : قضـــايا الفكـــر والثقـــافة

٢٧ : ابن يتمية : العروبة والعرب

٢٨ : العروبة وليست السامية

٢٩ : الفتنة اليونانية

٣٠ : لطفى السيد واللغة العربية

٣١ : ازمة الجامعة

ابن يتيمه : العروبة والعربية

يجعل ابن يتيمه معرفة الاسلام متوقفة على معرفة لسان العرب، فلا سبيل الى ضبط الاسلام الا بضبط العربية ، يقول : بل أن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب على كل مسلم فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهمان الا بفهم اللغة العربية ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب . ويكره للرجل أن يتعود النطق بغير العربية معللا ذلك بان اللسان العربى شعار الاسلام وأهله . يقول : واللغات من اعظم شعائر الامم التى يعرفون بها ويحذر من اعتياد الخطاب بغير العربية التى هى لغة القرآن وشعار الاسلام وأهله حتى لا يصير ذلك عادة للمصر ولأهله . ويقول : واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضا فى مشابهة صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق .

أما القرآن فعند ابن يتمية لا يجوز أن يقراه انسان بغير العربية سواء قدر عليها أم لم يقدر . وعنده أن اسم العرب فى الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف (١) من كان لسانهم باللغة العربية (٢) من كانوا من أولاد العرب (٣) من كانت مساكنهم فى أرض العرب . فالعروبة عند ابن تيمه تثبت باللغة وبالنسب وبالوطن فمن تكلم العربية فهو عربى ومن انتسب لأب عربى فهو عربى او الولد يتبع أباه كما فى الشريعة فى الدين والنسب ومن سكن أرض العرب فهو عربى واللغة العربية للاسلام ليست لغة فحسب ، ولكنها عقل وخلق ودين . واعتياد لغة ما يؤثر فى عقل المتحدث بها وفى خلقه وفى دينه وكل لغة لا تنقل الى عارفها والمعتاد للنطق بها ألفاظها وصيغ الكلام بها ، ولكنها تنقل اليه عادات أهلها وأخلاقهم وعقليتهم وطرائق تفكيرهم ودينهم وكل الشعوب غير العربية قبل اختراقت خامات الاسلام فيها سواء فى ذلك الفراعنة وفلسفتهم المؤلهة للبشر أو اليونان وخرافاتها أو فارس وفلسفتها الفاجرة وانحلالها ولوربا وفلسفتها الطاغية أو الهند وفلسفتها الوثنية فالحديث النبوى الصحيح الثابت دائما (اخراج مالك فى الموطأ) : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وصالح الاخلاق انما تعنى اتمام مكارم اخلاق العرب وصالح عاداتهم لا اخلاق غيرهم من الامم التى استوفت اغراضها او بطلب ونسخ ما كان منها صالحا يوما ما .

ويوجب ابن تمية : تعريب الشعوب الاسلامية

(من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)

العروبة وليست السامية

يقول محمد عزه دروزه : تعتمد النظرية السامية فى توحيدها للهجرات المتعاقبة نحو الشرق الاوسط قبل الفتح العربى على أساس :

(١) وحدة المنشأ : هذه الموجات جميعها جاءت من جنوب الجزيرة العربية أى من اليمن وما وراءها فى حين أن موجة الفتح الاسلامى جاءت من شمال الجزيرة .

(٢) وحدة اللغة : اجمع الباحثون على قدم التشابه بين اللغات البابلية والنمانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية والنبطية والاهجات العربية الجنوبية اليمنية والسبئية والحضرمية وهناك نظريات عديدة تختلف فى المنشأ الاول للعرب الساميين منها ما يجعله جزيرة العرب ومنها ما يجعله أرمنية أو اثيوبيا وذلك فى بدأ الخليقة الاولى غير أننا ما نكاد نقترب من العصور التاريخية وما بعدها حتى تكاد تتوحد الاراء وتتركز حول الحقيقتين المذكورتين .

أما وحدة الأمة فيستدل عليها من طريقتهم فى التفكير (النظرة الجزئية فى تأثرهم بالغيبيات) (الايمان بالسحر والخرافة والمعجزة ، مع ميلهم الى البساطة فى التفكير والوجدان فى الدين) مما يؤكد وحدة التفكير والخيال أما وحدة اللغة فهناك خصائص تمر بها اللغات العربية (السامية) او جرها ولنجستون فيما يلى :

(١) تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة ولا يلتفت الى الاصوات .

(٢) أغلب الكلمات السامية يرجع استقامته الى ذى حرفين أو ثلاثة.

(٣) ليس فى الكلمات السامية كلمات مركبة او معنى مركب نتيجة ادماج كلمتين فى واحدة .

ومادام الاتفاق قائما على وحدة الارومة ووحدة اللغة فهذا يعنى وحدة الامة وعلى ذلك وجب أن تسمى الشعوب السامية بالجنس العربى :

— ان النظرية السامية تفرق بين هجرات جنوب الجزيرة العربية وبين شمالها فتسمى الاولى بالسامية والثانية بالعربية ومادام الجميع من موطن واحد فهم من امة واحدة واولى أن نطلق تسمية العرب على جميع هذه الهجرات .

— تفرق النظرية السامية بين تاريخ جزيرة العرب وسكانها وبين

تاريخ الموجات التى انساقت منه فى القديم وتجعل تاريخ كل موجة بمثابة تاريخ امة مستقلة قائمة بذاتها فى حين ان هذه الموجات المتتالية انما صدرت عن امة واحدة هى الامة العربية وعن موطن واحد هو الجزيرة العربية (من جنوبها اولا ومن شمالها ثانيا) .

— اصطلاح الجنس العربى يشمل مفهوم الشعوب السامية ومصر الفرعونية والعرب الصرحاء ويكون نظرة شاملة لتاريخ المنطقة والحضارات المتعاقبة عليها ويدعو الى اعادة تقييم تلك الحضارات بحسب صلات القربى واعادة النظر فى مكانة الجنس العربى فى تاريخ الانسان على أساس فاعليته ومواهبه .

— وحدة العروبة : الفراعنة والهكسوس والكلدان البابليين والأشوريين ، والفينقيين ، الكنعانيين ، الاموريين ، السبئيين ثم العرب .
يقول أحمد كمال باشا : ان أصل اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واحد ، وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة اسقاط بعض الكلمات الكلمات من القلب والابدال .

— حكم يونان والرومان مصر وبلاد الشام الف سنة (٣٣١ ق.م — ٦٤٠ م) وجاء منهم ومن اليويان الألوف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا فى الجزيرة العربية وبقاءها فى وادى النيل أو العكس ثم نتيجة لما يعترى لغتهم وثقافتهم وقد جمع بينهم وبين سكان البلاد دين واحد هو المسيحية قرابة اربعة قرون وترجمت الى اليونانية الكتب الدينية المقدسة وصارت لغة عبادة وطقوس ، لكثير من النصارى منهم ومع ذلك فأنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا على مصر وبلاد الشام طابعهم وصبغتهم بل لقد كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينتقضون عن معاشرتهم ويعيدونهم انجاسا .

— كذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من الف عام (٥٣٨ ق.م — ٦٤٠ ب.م) وكان لمدينتهم وثقافتهم انتشار وأسع ولكنهم يستطيعوا أن يفرضوا عليهم طابعهم وصنعتهم فى حين ان الموجات العربية الصريحة العروبة التى جاءت الى بلاد الشام والعراق فى حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا أخذت تفرض طابعها على البلاد وتمزج بأهلها بسهولة ويسر .

— ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام الى بلاد الشام والعراق ومصر فأخذ التمازج يمتد بينها وبين السكان السابقين ولم يكد تمضى أجيال حتى توطدت السيادة فى هذه البلاد للطابع العربى الصريح وغدا شاملا عاما .

ـ ليس هناك تعليل لهذا غير ظاهرة وحدة الارومة والدم والروح التى كانت تجمع القادمين من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده وبين سكان بلاد مصر والشام الذين يمتون باصولهم إلى جزيرة العرب والجنس العربى .

واذا كان بدأ شيء من المناوأة ضد موجة الفتح ومن بعض سكان مصر والشام والعراق وتمرد على سلطان الاسلام فى أوائل عهده فمرد ذلك الى الاعتبارات الدينية والتحركات الاجنبية ليس من شأنه اضعاف النظرية ولقد كان من جملة المناوئين المتضامنين مع الفرس والرومان فى بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان فى بلاد الشام وبكرين وائل وبنى عجل وتيم اللاه وضبيعة فى العراق .

هذا سر سرعة تمثل السكان فى الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا للفتح العربى وتجاوبها معه .

على ذلك تكون الموجات المتتالية التى صدرت عن جنوب الجزيرة العربية متماثلة فى الجنس واللغة مع الموجات التى صدرت من شمال الجزيرة . فالجزيرة لا يسكنها الا جنس واحد هو الجنس العربى لا فرق بين الشمال والجنوب وبذلك تكون مناطق العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا هى الوطن التاريخى للامة العربية لا ينازعها فيه منازع ولا حق لغير أبنائها بأرضها كما أن وحدة الوطن ووحدة الامة منذ عصور ما قبل التاريخ الى الان لا يؤديان الى وحدة اللغة والتفكير والثقافة بل يفرضان السير فى طريق الوحدة الفكرية والسياسية .

وبذلك يسقط كل ادعاء بالتفريق بين العرب فى مختلف أوطانهم .

لقد ظهرت الأمة عبر حضارات الفراعنة والبابليين والفينيقيين والاشوريين والعرب فكان من ثمار ذلك تعلم الانسان مفهوم الدولة والابجدية وهندسة البناء وتحرير الانسان من الخرافات والاوهام وصله بالروح الكلى الخلاق منبع القيم ومصدر الحياة .

***

الفتنـــة اليونانية

عاشت مصر — وهى مركز الانبعاث العقلى فى العالم الاسلامى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى — ازمة عقلية وروحية خطيرة وكان كرومر مع حلقة معينة يعمل جاهدا على تحطيم باقى المعنويات القديمة في نفـوس المصريين جميعا فحوربت اشد المحاربه بدهاء وذكاء نادرين . وكان رواد البحث فى الحضارة الاسلامية من المستشرقين والمبشرين الاوربيين رواد الزحف الصليبى الثقافى الاكبر يسير جنبا الى جنب مع الزحف الصليبى السياسى بل يسبقه ويمهد له وقد انتهت بحوث هؤلاء الى أن الحضـارة الإسلامية حضارة متقبلة لا منتجة، آخذة لا معطية، مقلدة لا مجتهدة، لم تبدع ولم تخلق وانما نقلت اليها الحضارة اليونانية او التراث اليونانى فأخذت ما أخذت وشوهت ما شوهت : هذه هى الفتنة اليونانية وهذا هو تفسيرها افتتن المسلمون باليونان فى أعين هؤلاء القوم وساروا على هديهم وأخذوا جوهر حضارتهم وفكرهم فاذا وصلوا بالفكر الاوربى المعاصر فلا ضرر ولا ضرار واذا نسوا أو تناسوا مبادءهم الفكرية واصولهم العقدية فقد فعل أجدادهم هذا من قبل واذا فرض عليهم الفكر الاوربى فقد سبق لاسلافهم أن فرضوا على أنفسهم هذا الفكر ومن هنا انتشرت تلك الشبكة الهائلة من مدارس تبشيرية ومعاهد اوربية فى العالم الاســلامى تحطم المعنـويات القديمة . وفى خلال ذلك ظهرت مدرسة طه حسين ومبشريهم على مسرح التفكير المصرى — وطه حسين تلميذ عبقرى لمستشرقى أوربا — غير أنه يمتاز عنهم بمعرفته العميقة بالعربية . نادت مدرسة طه حسين بان العقلية عقله بحر أبيض وأنها يونانية فى حقيقتها وانه اذا كانت الحضارة الاوربية المعاصرة انما هى امتداد للحضارة اليونانية فلا معدى اذن لمصر أن تأخذ بهذه الحضارة الاوربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، بشر رأس هذه المدرسة بهذه الراى وانتشر فى مصر وخارج مصر وحين تكونت الجامعة المصرية الاولى كانت شخصية الاستاذ القوية ونفوذه الواسع أكبر عامل على فرض آرائه على مناهج الجامعة وبدأت دراسة اليونانية واللاتينية فى صفوف كلية الاداب المختلفة ، وخضعه الأحزاب السياسية جمعاء لسيطرة الاستاذ وارائه وكانت الوطنية الاقليميـــة : الوطنيـــة المصرية والوطنيـــة العراقية ، والوطنية الســـورية الخ تتاجاً لاراء الاســـتاذ وتفكيره وكانت (طريقة الحياة) فى البيوت وفى المجامع العامة والخاصة اثرا من أثار دعوة مدرسة طه حسين وكان النقد العلمى والادبى ، وطريقـــة التفكير الحديثة هما الصدى المحتم لكتاباته القوية وسفر كثير من الناس مخدوعين براحة عقلية ان الدعوة الى الاتجاه الى أوربا انما أتت الان من رجل منهم

وقد حجبت شخصية الاستاذ القوية واسلوبه النفاذ شخصيات غيره من كبار المؤلفين والادباء والشعراء الذين تابعوا منهجه وزاملوه فى نضاله العنيف واذا قدر لتاريخ هذه المدرسة أن يكتب جانبه المنهجى فلن يجد كاتب تاريخها غير رأسها ، أما الآخرون فكانوا هملا — كما انه لم يظهر من تلامذته الان من يستطيع أن يحل مكان استاذه أو أن يشغل مكانه الممتاز وظن الناس أن قضى الامر وان أوربا من مستشرقين وغيرهم قد نجحت فى تحطيم الحياة الاسلامية ولكن مدرسة طه حسين ما لبثت أن تلاشت شيئا فشيئا . ان السبب فى هذا هو ظهور مدرسة معارضة قضت على هذه المدرسة القضاء المبرم وأشاعت تصورا روحيا جديدا سيطرت به نهائيا والى الأبد على الروح الفكرية للمصريين وبالتالي على الروح الفكرية للعرب والمسلمين وترنحت المدرسة الاولى تحت تأثير ضرباتها القوية حتى لتكاد أن تلفظ انفاسها الاخيرة ، بل ويبدو أيضا أن استاذ المدرسة الاولى بدأ يتراجع شيئا فشيئا ببراعة نادرة عن جوهر فكرته وان يتوافق مع التيار العام أو الاتى الجارف الذى احدثته المدرسة الثانية .

نشأت هذه المدرسة على يد عالم يختلف عن استاذ المدرسة الاولى اختلافا بينا — سواء فى أسلوبه أو فى مادته — هو مصطفى عبد الرازق أول استاذ للفلسفة الاسلامية فى الشرق ، عرض هذا الاستاذ منهجه فى دراسة التفكير العقلى وادرك ببصيرة نفاذة انه كان للمسلمين منهج خاص وحضارة خاصة أصيلة بهم ، غير انه اعتبر — وقد كان الى حد ما تحت تأثير شخصية استاذ المدرسة الاولى — ان المسلمين قبلو كثيرا من جوانب الفكر أو الحضارة اليونانية فى كثير أو فى بعض من عناصر حضارتهم الاسلامية ، وبالرغم من هذا فقد كان لهذا الاستاذ السبق فى فهم كنه الحضارة الاسلامية الاصيلة والفكر الاسلامى الحقيقى واستطاع أن يضع اصول المدرسة الاسلامية الخالصة : المدرسة التى ارادت أن تكشف كشفا حقيقيا عن عبقرية الحضارة والفكر الاسلامى من مصادره الأصلية قبل وبعد أن يتصل المسلمون وأن يعرفوا التراث اليونانى .

* * *

(٣٠)

لطفى السيد واللغة العربية

يقول محمد فهمى عبد اللطيف : لما انتصرت الارادة الوطنيـة على الاستعمار فى معركة اللغة العربية ويبدو ان الاستعمار أدرك ان السبب فى هزيمته ترجع الى أنه ظهر مكشوفا على حقيقته فى المعركة وعلى ضوء الهزيمة بدأ الاستعمار يدخل المعركة بأسلوب جديد وتحت ستار مصرى يخفى شخصيته فسكت القاضى ولمور وسكت المهندس ويلكوكس ، وراح أحمد لطفى السيد يدعو الى تمصير اللغة العربية ولم يكن المعنى فى تمصير اللغة العربية الا كتابة بالعامية وهى دعوة الاستعمار بجسـمها وروحها ولكن الرجل كان يجمجم ولا يصرح ويحاول أن يلبس دعوته لبوس التسهيل وتعريب لغة الكتابة الى الفهم ولم يكن الغرض من هذه الدعوة المسمومة تخفى على فطنة الكتاب الوطنيين فتصدوا لدعوته ونقضوها على راسه وكتب الرافعى فى هذه الدعوة سلسلة من المقالات فى مجلة البيان تحت عنوان (الرأى العام فى اللغة العربية) ونحن اذا اغتفرنا للمهندس ولكوكس انه كان رجل الاستعمار يدعو بدعوة الاستعمار فبأى شىء تغفر هذه السقطة للطفى السيد الذى خلع عليه اتباعه لقب (استاذ الجيل) وما كان لطفى السيد فى حقيقته الا شخصية متناقضة لا تنبثق من عقيدة ثابتة ، فقد كان الرجل يبجل الديمقراطية ولكنه رضى أن يكون الصعلوك لسياسة اليـد الحديدية التى أعلنت فى يوم من الايام البطش بكل حق ديمقراطى للشعب وكان يبجل الفلسفة وكل جهده فيها أنه ترجم كتاب الاخلاق لارسطو وكتاب الكون والفساد عن اللغة الفرنسـية (١) وكان يدعو الى تمصير اللغـة العربية ورضى أن يكون رئيسا لمجمع اللغة .

* * *

(١) تبين أن هذين الكتابين لم يترجمهما لطفى السيد وانما ترجما له أبان عمله مديرا لدار الكتب المصرية ووضع اسمه عليهما وذلك بشهادة الاستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب فيما بعد .

(٢١)

أزمة الجامعة

ان الجامعة الاهلية التى كانت مقدمة للجامعة المصرية لها تاريخ : هذا التاريخ له طرفان ، طرف فى أيدى الغيورين من المصريين أمثال محمد عبده ومصطفى كامل وكان الهدف هو دفع الثقافة العربية الاسلامية الى الامام ، والطرف الاخر فى يدى النفوذ الاجنبى الذى كان يهدف الى التقاط الخيط من الازهر الشريف وتجميعه وكانت الخطوة الى ذلك هى وزارة المعارف التى احتضنت مناهج الارساليات فى التعليم العلمانى والقضاء على اصول التربية الاسلامية .

والمعروف أن المبشرين قرروا فى مؤتمرهم الذى عقد فى أول هـــذا القرن أن الازهر يعد أهم عائق فى وجه التبشر وبالتالى فى وجه الاستعمار فى مصر والعالم الاسلامى ، ولذلك فلابد من ايجاد مؤسسة علمية ثانية يبثون منها أفكارهم ويصنعون فيها جيلا من المسلمين يؤمن بمطالبهم حتى يقف هذا الجيل أمام الثقافة الاسامية ويشكك فيها وكان ان ولدت الجامعة الامريكية ثم أمكن السيطرة على الجامعة المصرية .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : لقد ظهرت الجامعة الاهلية لتحرير العقلية المصرية من اغلال الجمود ففتحت الابواب كل الابواب للبعثـــات التبشـــيرية والارســـاليات الاجنبية من كل جنس وملة لتتغلغل فى صميم الوجود الفكرى للامة ولسلخ من استطاعت من أبنائها بما تؤصل فيهم من عقدة الشـــعور بالنقص وما تلقى فى روعهم من الشرقيـــة سمة التخلف والانحطاط وان الاتصال بالقديم ظاهرة جمود وتحجر . وتدفق سيل الغزو الفكرى يحتاج الحمى المستباح دون أن تصده ســـدود أو حواجز وكانت الجامعة محاولة لتحرير الشباب من سان مارك والفريد (الجزويت) وفكتوريا والامريكان وما لا يحصى من مدارس الارساليات ثم جرى تحويل الجامعة الأهلية الى جامعة رسمية . وكان لثنائية التعليم التى حددت للموهوبين الطامحين طريقا لا يلقى أبدا مع طريق المدرسة الابتدائية الموصل وحده الى الجامعة والمخصص لأبناء الطبقة القادرة ماديا وبهذا حيل بين الفقراء وبين الجامعة ، وتعلم عدد قليل فى الكتاتيب واجتازوا الطريق بكل عناء وكانت النكسة التى أعقبت ثورة ١٩١٩ قد عزلت قادة الثورة عن الشعب وانحرفت بالسياسة فى حزبية محترفة قد القت ظلالها على الطريق .

وواجهت الجامعة محنة الحزبية ومحنة تغلغل النفوذ الاستعمارى الذى اتخذ من مناطق معينة فيها قاعدة لتدمير معنويات الأمة ومجال غزو

فكرى يضاهى ما اجتاح وجودنا العام من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الاجنبية وأجهزة دعايتها المدربة .

وشغلت الامة بنضالها السياسى عن وجودها الفكرى ، وخلا الجو او بدا أنه خلا لتيارات الغزو الفكرى فازدادت (أزمة فقدان التعاصر) بين أبناء الجيل حدة وتعقيدا . وضج الميدان بدوى الصـــدام بين قديم وجديد ويمين ويسار وشرق وغرب وفى دوامته العنيفة ضلت المقاييس ، واختلطت المفاهيم ، واضطربت القيم فلم تعد على الصعيد الفكرى تميز بين الرجعية والمحافظة أو بين الجمود والاصالة أو بين الاقتباس الواعى والتلقيد المردد للاصــــداء .

ومن عجب أن الامة لم تفقد رشدها فى دوامة الاعصار .

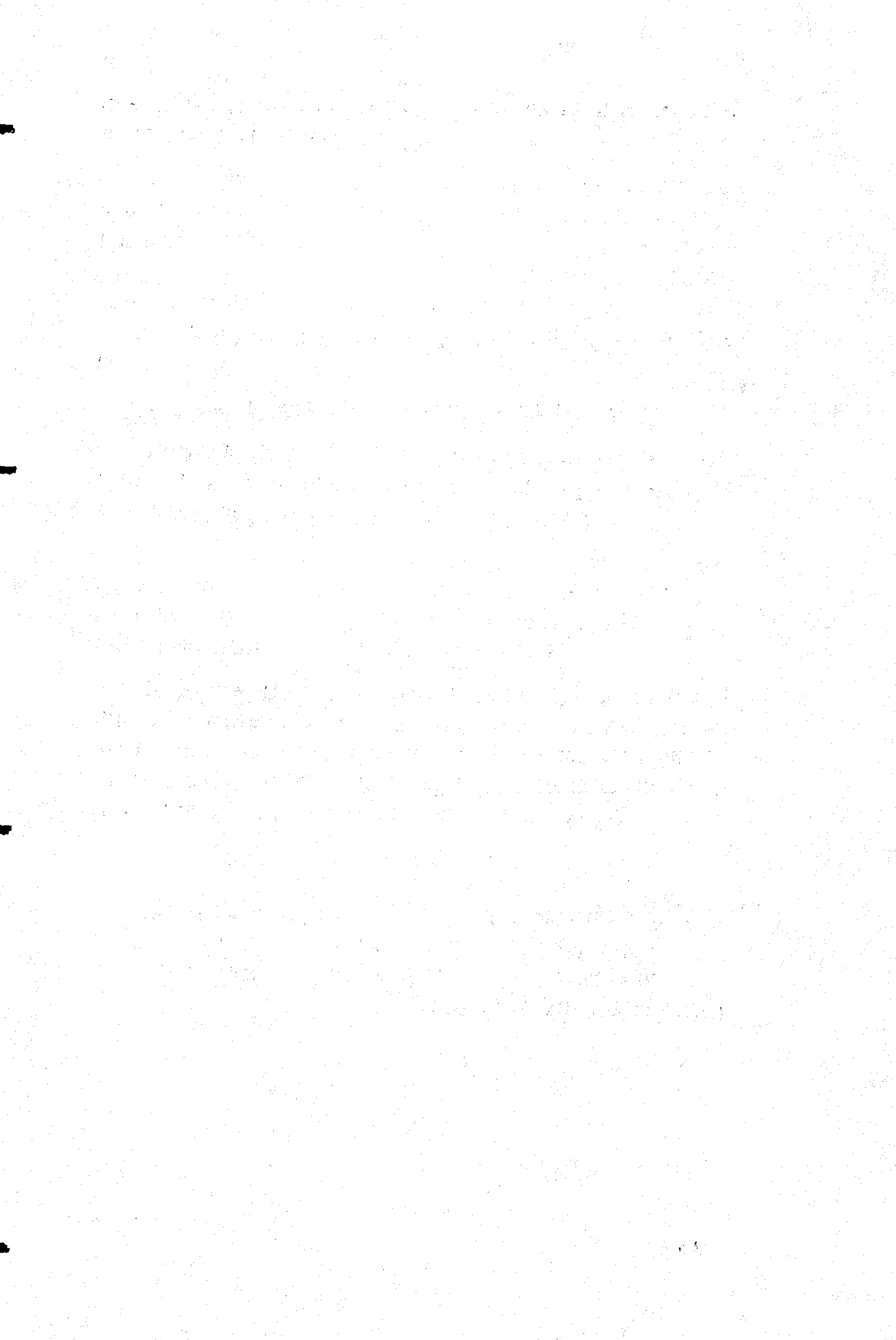
ولا ريب أن كل اثار الانتاج الفكرى للربع الثانى من هذا القرن تحمل أثرا قويا أو ضعيفا من ذلك الصراع ، وتعبر عمدا ودون قصد عن مرحلة القلق الفكرى التى مرت بها الامة فى فترة تحملها للانطلاق .

وقد سجل مدى ما تعرض له وجودنا من زيف وضلال ونفاق ودوار ومن ضغط فادح ورصد بكل دقة ذبذبة الخيوط فى الأيدى المحركة للدمى ، وكشف مجال التصدع الثقافى الذى كان سببا مباشرا فى فقدان التعاصر العقلى والانسجام الفكرى بين أبناء جيل واحد » ا. هـ .

ولست ادرى لماذا لم تفصح الدكتورة بنت الشاطىء عن هذه المؤامرة بأكثر من ذلك وتكشف دور أمثال طه حسين ولطفى سيد وغيرهم . هل هذا الغموض يرجع مثلا الى الدور الذى شارك فيه الشيخ أمين الخولى مع طه حسين فى هذا العمل أم لأسباب أخرى . لقد كشف ذلك بأكثـــر وضوحا أمثال محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهبيتى وغيرهم .

* * *

يقول جورج طنوس : فى نفس الوقت الذى كانت النخبـــة العربية المكافحة تعمل للتحرر من نير الغرب السياسى والعسكرى ، كانت تسعى الى تدخل القيم الغربية فى الحياة العربية مكان القيم الاسلامية للامة .
(يقصد سعد زغلول والمدرسة الفرنسية)



سادسا : الغرب والاسلام

٣٢ ــ أزمة الغرب

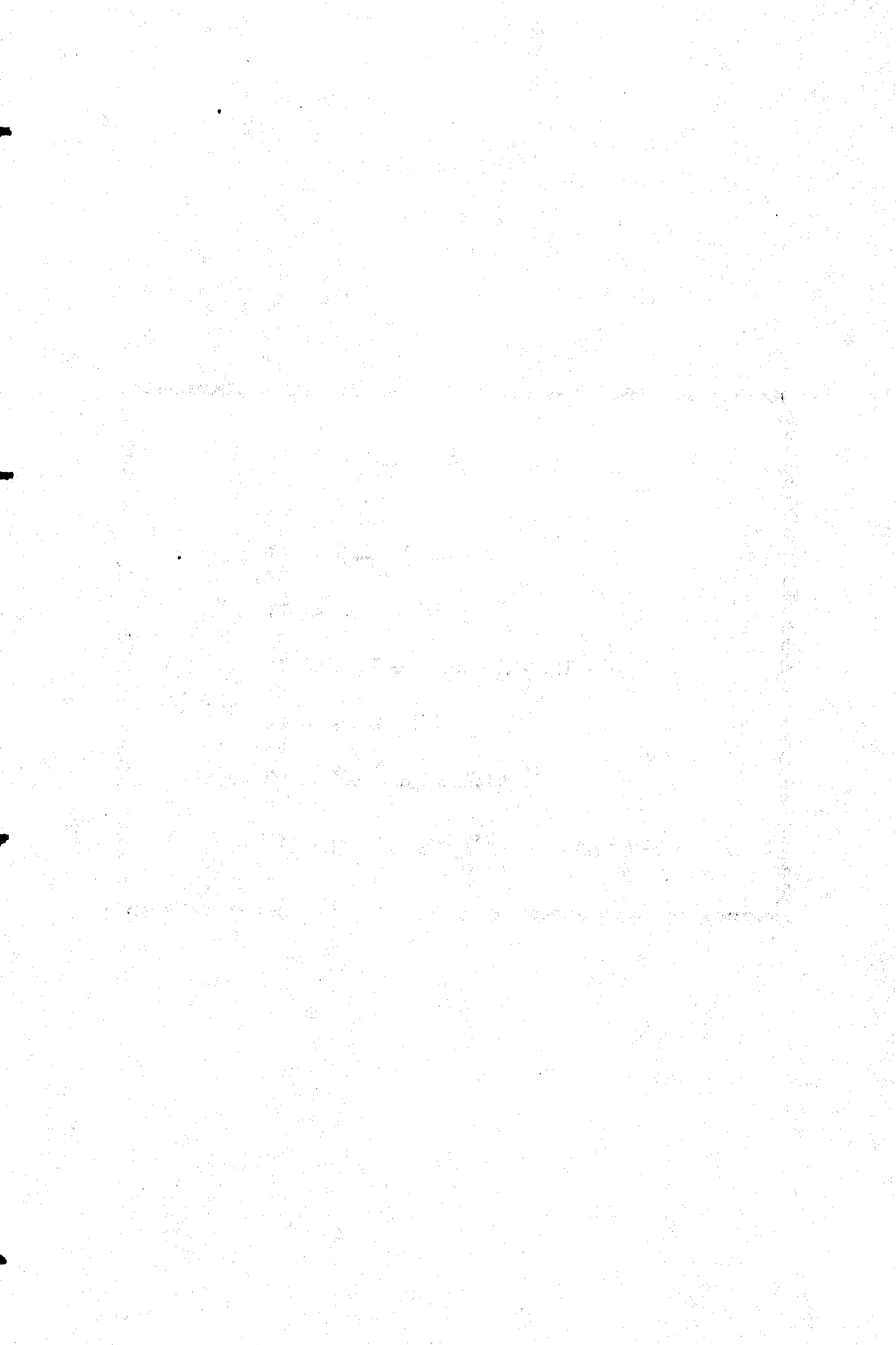
٣٣ ــ سقوط الغرب

٣٤ ــ سقوط المدنية الغربية

٣٥ ــ محاكم التفتيش

٣٦ ــ الكنيسة الكاثوليكية

٣٧ ــ بين اليهودية والمسيحية فى الغرب



ازمــة الغــرب

تكاد تعليمات أعلام الفكر الغربى تجمع على أن العالم على أبواب عالم جديد . "

يقول جوليان هكسلى : أن عصرنا الحالى القلق الذى جاء بعد حربين عالميتين يشهد اليوم انهيارا شاملا للمعتقدات السائدة والمفاهيم الحاليــة الشائعة كما يشهد قناعة متزايدة بأن النظرة المادية الخالصة لا يمــكن أن توفر أسسا صالحة للحياة الانسانية .

ويقول أرنولد توبينى : يبدو أن الخلاص الوحيد للانسان اﻟ عصرنا هو الصفاء الروحى الداخلى : الصفاء الذى لا يمكن تحقيقة بادمان المخدرات أو الاستسلام للتعصب والعنف . ليس الصفاء السلبى الذى يهــرب من مشاكل العالم ، بل هو ذلك الصفاء الايجابى المحب الذى يواجـه آلام الحياة بقلب مفتوح ليعالجها بالمحبة (من كتابه التجارب) .

ويقول ف هاربولد : فى كتاب سماه (الايمان الدينى وانسان القرن العشرين) شىء ما يحدث فى العالم ، لقد حمــل الجنس البشرى عــدة ترحاله وعاد الى المسير ، ان جميع المؤسسات من سياسية واجتماعيــة واقتصادية وجميع أنظمة الفكر من دينية وعلمانية قد وصــلت الى درجة التمازج والانصهار . لقد اهتزت الأسس القديمة وأثبتت الأوضاع القديمة عدم صلاحيتها . ان الخمرة الروحية لا يمكن أن تسعها الدنان العتيقــة وان وضعنا الراهن ليومىء باننا على وشــــك المرور بقفزة من تلك القفزات التطورية الهائلة التى تمر بحياة الانسان العقلية والروحية وهناك كتابات كثيرة تتحدث من كشف زيف بنية الحضارة الأوربية بين اعلان للحرية والاخاء والمساواة فى بلدانها وبين تطبيق للاســتعباد والتمييز والكراهيــة فى المستعمرات وبلدان العالم الثالث الفقير عموما .

وقالوا : ان أمريكا التى زعموها عالما جديدا وهى تحمل بذور اثــم العالم القديم من تمييز عنصرى ومطامع مادية وسيطرة للالة وانحــراف وراء العنف والتسلط .

ويقول أحد الباحثين : انه قد فشــلت دعاوى برتراندرسل ، وارنولد

توينبى ، ودى شاردان وجوليان هكسلى فى المناداة بعالم موحد وان هناك تطورات مختلفة يرافقها احساس قوى فى قلب الحضارة الغربية مؤداه ان هذه الحضارة تعانى خللا أساسيا فى قيمها وضميرها .

وانه لابد من التطلع الى عهد جديد قوامه الايمان والتعاون الانسانى الشامل وهناك ظاهرة دخول شعوب العالم الثالث الى مسرح الفعل العالمى متطلعة الى التكنولوجيا الغربية محتفظة فى نفس الوقت بتراثاتها الروحية العريقة من اسلامية ومسيحية .

لقد تركت الحرب العالمية الأولى ذكريات لا تنسى من الخرائب والضحايا وظلت النفوس الكظيمة تجتر آلامها وأحقادها وتستعد لثاراتها حتى اندلعت الحرب الثانية ، وأعادت الى الأذهان فظائع الأولى ولكن بشكل أشنع وأبشع وأشد مساسا بحياة الجنس البشرى كله وخرجت المجتمعات الكبرى الى أوربا مجهدة مضعضعة منهوكة القوى وقد فقدت نفوذها الخارجى وأضاعت أمنها وسلامها .

وسرت الحمى الى الأعماق وأصبحت مرضا نفسيا وروحيا وازمة وجود وحياة بعد أن كانت أعراض احتلال سياسى واجتماعى وآية ذلك ما نراه من غليان وتشاؤم ورفض فى بريطانيا وفرنسا والمانيا وهى الأمم الثلاث التى قامت على أكتافها الحضارة الأوربية الحديثة .

وبريطانيا ضعفت بسرعة امبراطوريتها طوعا او كرها . وما نراه اليوم من قوافل شباب الهيبين تسعى فى رحلات الضياع واللامبالاة والبحث عن الجديد بين قارات العالم . القوافل التى تنتظر من جديد وجه يسوع وبوذا ونبى جيران احترقت فى المأساة .

ويقول بول تيليك فى كتابه (هز الأسس والدعائم) فى بداية حضارتنا الغربية أخترنا العقل بديلا وحيدا عن التقاليد العنيفة والاعتقادات الموروثة. وباتخاذ هذا القرار استنفذت الروح ، مصدر طاقة الحياة وحيويتها . كبتنا قوة الروح الحبيسة . لقد مر أسار العقل وتعقدنا الاتزان . لقد قررت حضارتنا أن تبنى لذاتها مجتمعا علمانيا ، ازال سلطان الكهانة المتحكمة باسم الدين .

هذا القرار حرمنا من أعمق ما تمنحه الدين ، الشعور اللامتناهى للحياة ، وامتلاك سر الوجود وجوهره ، الاحساس بالقوة الهائلة للمواقف النابعة من اليقين المطلق : الآن فى نهاية العصر العلمانى نشعر بالاقتراب من الهاوية للافتقار الى ذلك الايمان المنقذ المخلص .

(٣٣)

سقوط الغـــرب

ان الحضارة الغربية فى كلا معسكريهـا الراسمالى والشـيوعى تهوى الى القاع وتنكشف كل يوم عناصر الفساد والانهيار والهزيمة .

كتاب روح الحضارات بقلم أوسيان دوبليس يقـول ان المجتمـع السوفياتى ليس بداية وانما هو نهاية اما الولايات المتحدة فانها ذات مجتمع جد مائع ، لا ينبثق فيه تصنيف اليأس الا على أساس الدخل المادى وليس لهم فيه محرك سوى الرغبة فى الربح ولا يشتمل على ارستقراطية صحيحة ولا على أسره متينة متماسكة ، والطلاق فيها مجرى الألعاب الرياضيـة تمازجه على نحو ما صوره من البغاء اذ تبحث المرأة عن اقتناص أكبر كمية من كل زوج قبل أن تتركه . كذلك الشأن فى بريطانيا التى أصبحت خارج الحلبة ، وهو هو شأن فرنسا ولا أمل بكندا فهى ترجو الخـير على يـد الصين والهند ، الأولى أفضت نهائيا الى الفساد نتيجة احتكاكها بالعـالم الغربى لن تفيق من نومها الا بعد أن تصاب بما أصيب به الغرب من ضربات. ونتساءل : هل لنـا أن نترقب انبعاث الاسـلام . يبـدو على كل حـال أن انبعاث الاسلام عاجز عن تجاوز المستوى السياسى ففى مستطاع الملة الاسلامية أن تستعيد استقلالها ومن ثمة وحدتها بيد أنها لن توفق أبدا الى فتح الغرب لا فى الواقع ولا فى الروح على الأخص ..

ومن ناحية أخرى يدفع الغرب رجل مثل « محمد صديق » المسـلم الألمانى لأن يقول :

ان الحضارة الغربية لا تضع حلا لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الانسانية فقد تحطمت الأسرة كما جمـدت صلاة المودة بين الأفراد ، ولذا فان شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات انسانية أن نعرض اعراضا كاملا عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية .

ان هناك مسلمين فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن اعجابهم بالحضارة الغربية بل ويحاكونها محاكاة عمياء فعلى هؤلاء أن يتذكروا ما قاله (برتراند راسل) الفيلسوف الانجليزى بأن الناس فى الغرب غير قادرين علي تطوير الجانب الانساني من الحياة بالكمية نفسها التي تتقدم بها الناحية

المادية وأن كل خطوة الى الامام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو بناء الانسان فعلينا ان نكون دائما على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة . ان علينا أن نأخذ منها ما ينسجم واسلامنا ونلقى عن كواهلنا عفنها وفسادها .

وهذا أمر ممكن وميسور حتى نؤمن بالاسلام عن بينة وهدى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

ويقول : لقد كان الاسلام بالنسبة لى كعملية استكشاف لفطرتى ، لقد اكتشفت أن الاسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة الوجوه مع فطرتى البشرية (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

* * *

قضى على حركة محمد على وتحطيم الاسطول المصرى فى نفارين ونجح التدخل الذى انتهى بمعاهدة لندن ١٨٤٠ م .

وفى (معاهدة لندن ١٨٤٠) تتعهد الدول الكبرى الى جانب ذلك بالدفاع عن وحدة أراضى الدولة العثمانية . وذلك حتى يحين حين تقسيمها .

* * *

(٣٤)

ســقوط المدنيــة الغربيــة

تكاد آراء المنصفين من الباحثين الغربيين أن تجمع على أن المدنيــة الغربية قصرت فى المهمة التى تزعم أنها القيت على عاتقها فى الأجيــال الآخرة ، اعنى المهمة التى ترمى الى نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الأرض وتؤدى بها الى الاتحاد ويمكن أن يعبر الانســان عن هــذه المهمة المظيمة عن وسيلتين لا غير ، وهى وسيلة حب الذات ووسيلة حب الغير وقد وقع اختيار الغرب على الوسيلة الأولى : وسيلة الأنانية وحب الذات وكان اختياره لها جريمة ، وكان ذلك ســبب ضياعه واضــمحلال نفوذه لأن الوسيلة التى لجأ اليها سيئة . ان الأنانية تقضى على الخــير وتلتهم كل بر ، لقد أراد الغرب أن يوحد العالم تحت سلطانه ومصــلحته والعالم لا يساس بالعدل والحب والاخاء ورد الحقوق الى أهلها ولكــن الغرب لجأ الى القوة الغاشمة ولم يرع عن مصلحته وحدها ، لقد اعتمــد الغرب على القوة وحدها وعبث بالشرائع » .

وتشير الأبحاث فى هذا المجال الى أن عقيلة الرجل الأبيض مســممة تماما بالتعصب العنصرى ، وانه لا يزال يشعر فى قرارة نفسه بالتفــوق العنصرى ، وأن أعمال التفرقة العيصرية هى جزء من برنامج الاســتعمار الذى يأبى حتى الآن ان يتنازل عن مراكزه الا مقهورا أمام كفاح الشعوب وقد ظل نداء المساواة والاخاء قرونا طويلة يقرع أســماع أوربا والرجل المسيحى الابيض يعيش بنفس عقليته الوثنية وتفكيره العنصرى وكانت الكنيسة فى أوربا هى التى تحمى الحق المقدس للملوك والاشراف فتقــر بذلك التفرقة العنصرية وتعترف بشرعية السبى والاستعمار واغلاق السجون والمطبق على العبيد والمستضعفين (سامى داود) .

والواقع أن الغرب يغالى فى نظرية الرجل الأبيض تاج الخليقة ، وهم عندما يكتبون تاريخهم يبدأونه بشعب أبيض هو شــعب اليونان ثم ينقلون زعامة البشر الى أجناس بيضاء من رومان وطليان وجرمان ، فاذا ظهر شعب ملون وارتفع الى مستواهم نظروا اليه على انه سينهار يوما لان أصحابه ليسوا من الجنس الأبيض ، ولكن اليابان كذبت نظريتهم .

(٣٥)

محاكم التفتيش

أهلك تورا كمادا الدومنيكى الاسبانى ستة آلاف بالنار واهلكت الامبراطورة ثيودورا وحدها نحو مائة الف من المانويين واهلك الكاثوليك من البروتستانت فى مذبحة سانت بارتلمى مئة الف يوميا أيضا ، أما ديوان التحقيق فى اسبانيا فقتل وحده نحو مائة الف كما يقول رنباخ فى كتابه تاريخ الأديان فى حرب الكاثوليك على البروتستانت المرضين عن طلب الاصلاح منهم من أحرقوا أحياء ومن أعدموا شنقا .

وحكمت محاكم التفتيش فى ثمانية عشر عاما على عشرة آلاف ومائتين شخصا وهم أحياء ، كما حكم على ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية .

***

دور بريطانيا
فى اسقاط الخلافة الاسلامية

أعترف دوجلاس هيوم وزير خارجية انجلترا فى حديث أجراه الدكتور نجم عبد الكريم ونشرته جريدة القبس الكويتية سنة ١٩٨١ أن بريطانيا كان لها الدور الفعال فى اسقاط دولة الخلافة الاسلامية العثمانية بمساعدة الشريف حسين ولولا مساعدة بريطانيا لما سقطت الخلافة .

كما أعترف هيوم بأن تأييد الانجليز والغربيين من النصارى عموما لدولة اليهود ينبع من عقيدتهم حيث ذكر أن فى الانجيل اشارة صريحة بوجوب عودة اليهود الى وطنهم اسرائيل .

(٣٦)

الكنيسة الكاثوليكية

بدأت ثورة التغيير تجتاح الكنيسة الكاثوليكية فى مشـارق الأرض حتى مغربها وراحت دفوفها تقرع ، وبيارقها تنتشر : متى يحق للرهبان أن يتروجوا . حتى البابا لويس السادس اجاز للكردينال سليمان أن يناقش موضوع زواج الرهبان للمرة الأولى وأن يدعو الكنيسة الكاثوليكية الى مجاراة البروتستانت فى طقوسها وأن ينادى بزواج الرهبان بعد سيامتهم .

وقد طرح الموضوع البطريرك مار بولس المعوشي على صفحات كتابه (الكهنوت فى الشرق) دعا الى الأخذ بفكرة الشماسة المتزوجين ثم الكهنة المتزوجين فان ذلك يحل جزءا كبيرا من المعضلة الرسولية التى تشكو من حدتها فى المناطق النائية فى العالم الكاثوليكى ولم يتقرر شىء الا أن البابا ارتاىء فى ظروف مختلفة اباحة الزواج لرهبان وراهبات ممن يصادفون مشاكل معينة ، وهنـاك صيحات تطالب بتحديث الكنيسـة واعتمادها المنهج البروتستانتى وعلت أصوات كثيرة بزواج الراهب وبدأت هجمة الراهبات الأمريكيات على خلع ردائهن الدينى وترك الدير وبلغ عدد الراهبات الأمريكيات اللائى هجرن الدير وقالت الصحف أن الرقم يمثل كارثة . فمن أصل ١٨٠ ألف راهبة هناك ٢٦٠٠ تخلين عن ردائهن لا من أجل نزوة أو حياة نزقة وانما مدفوعات خلف حياة مسيحية أكثر تطورا وحركة . وكانت البواعث التى حملت بعض الفتيات على اعتناق الرهبانية كثيرة ومنوعة فمن أصل سبعين راهبة تم استجوابهن عن أسباب تركهن الدير كانت الأجوبة واحدة ومتشابهة وكلها تقول أن خدمة الله لا تفرض العزوبية فرضا وأن الراهبة الحرة ستغدو بفضل الطبيعة أكثر ملائمة لرئاسة جماعية . ان هجرة الدين ليست نزوة وانما هى رغبة صادقة فى التقاء الرب خارج الدير » كذا .

هذا مانشرته الصـحف بمفهوم أهل الدين ولكنه يستطيع أن يعطى مؤشرات على مدى الايمان بالدين نفسه بين أهل العصر .

وقد أشارت مجلة شيترن : الى كتاب أصدره ثمانية من علماء اللاهوت من بينهم امراه (جامعة اكسفورد) أنكروا فيه العقيدة السائدة بربوبية المسيح عليه السلام وأكدوا أنه لايعدو أن يكون عبدا بشرا أوحى اليه من الله وقد قوبل كتابهم بتلهف بالغ حتى أحدث هـزة كبيرة . ويعد من اهم محاولات التقويم فى تاريخ النصرانية الحديثة متابعة للرهبان الذين آمنوا

بانجيل برنابا الذى نطق صراحة بعبودية المسيح عليه السلام وبشر برسول من بعده اسمه أحمد .

وهناك علامات اخرى خطيرة على طريق المسيحية : تلك هى الافراءات التى تقوم بها بعض رهبان الكنائس لاستقدام الشباب باقامة حفلات راقصة لهم فى الكنيسة .

***

(٢)

نشرت مجلة المقتطف اكتوبر ١٩٠٥ هذه المجالة : (٢)

« بماذا تجيب علماء الديانة المسيحية على اقوال وليم اوكسلى فى كتابه Egypt and the wonders of the land of the phores

وهو أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون باوسيرس كاعتقادنا نحن الان بالمسيح تقريبا وبأنه ولد بالروح وكان مع والده ووالدته الها واخيرا بثلاثة اقانيم وأنه بعد ماقتل وقطع جسمه عاش وقد تمادى المؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هى الا نوع مما كان يعتقد به القدماء ووضع على نسق أحدث وأكبر تهذيبا واستشهد اثباتا لاقواله بصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا فى اقصى الوجود بأسوان وطبع تلك الكتابات فى كتابه وعلق عليها بشروحها .

واجاب المقتطف (دكتور صروف) فقال : فى كتابات المصريين القدماء عن (أوسيرس) أشياء كثيرة بعضها يشبه ماجاء فى تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء فى تاريخ أى انسان كان ومن المحتمل ان بعض من تنصروا من المصريين الاقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم فى الديانة المسيحية او فى تعاليم الديانة المسيحية ولكن ذلك لايدل على أن الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لان المخالفات والمناقضات بينهما كثيرة جدا

***

(٣٧)

بين اليهود والمسيحية فى الغرب

اثار الدكتور حلمى مرزوق قضية ذلك الصراع الخفى بين اليهودية والمسيحية فى الغرب اليوم والتقط الخيط من بروكولات بال ١٩٠٥ حيث يشير البروتوكول ٢٤ الى التآمر على شعوب العالم كله والسيطرة على الجوييم باسم ملك داود المزعوم التى استمر الى يوم القيامة . وأشار الى أن هذه النهضة المناقضة للسامية فى أوربا حيث مازال الرجل الأوربى يحتقر الصهيونية ويعاديها وكانت أبشع صورها القريبة على يد هتلر ، والهتلريون محمولون على الوجدان الأوربى وثقلهم محمول على هذه الحضارة ولاشك كما يقول ارتولد نوبيتى ، والمسيحيون داخلون فى زمرة الجوييم الذين تستهدفهم الصهيونية .

يقول جون سكوت : فى كتابه الحكومة السرية فى بريطانيا : وليس هناك الا مخرج مظلم من هذا التناحر الحار أو البارد الظاهر أو الخفى بين الصهيونية والمسيحية ، هذا المخرج سوف يتقرر فى ليل طويل مظلم ملىء باليأس والقيوط .

وتقول انه بالرغم من كل المحاولات التى يقوم بها اليهود العالمية لاحتواء المسيحية وبالرغم من انها حققت نتائج خطيرة فيها تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح وربط العهد القديم بالعهد الجديد على الرغم من التناقض الشديد والواضح بينهما والاعتراف بالمحافل الماسونية وبالرغم من كل المذاهب والايديولوجيات المادية الحديثة كالفرودية والماركسية وغيرها انما تستهدف مفهوم المسيحية نفسه فان الفكر المسيحى مازال قادرا على المواجهة .

يقول نميرلى : أن فكر هذا العصر كان ينظر بعين النقد والعداء لدعاوى الكنائس والديانات القديمة .

ويشير الدكتور حلمى مرزوق الى أن أزمة المسيحية قد استحكمت على أيدى الغلاة من أصحاب المذاهب والنظريات : (أولا) الدارونيون القائلون بالتطور Eaolution

(ثانيا) الفرويديون ودعواهم بتعطيل الدوافع النفسية والسلوك الانسانى .

(ثالثا) المقائديون بأيدلوجيتهم فى تفسير التطور أو السلوك الاجتماعى يقول ناثان ميكلم : أن المسيحيين قد يكونوا افلاطويين او توميسين أو كانين ولكنهم لن يكونوا أبدا ماديين أو اتباع أوجست كونت . وهناك ذلك العداء المستحكم فى علاقاته قول شعارات الثورة الفرنسية ـ اليهودية المصدر ـ لشنقو آخر ملك بامعاء آخر قسيس .

ويقول : أن أخوف ما يخافه الفلاسفة ومؤرخو الحضارة فى أوربا اليوم هو ذلك القصاص القومى والحضارى وقد بدأت تدور فيه الدائرة على الحضارة البرجوازية طبقا لقانون التحدى الحضارى ، وادل وقائع هذا الصراع ما هو دائر بين هذه الحضارة وبين الحركات القومية ثم مابينهما وبين الحضارة الاشتراكية الطاغية فى هذا العصر. يقول أرنولد توينى : لقد ظل الغرب اجمالا منذ فشل الهجوم العثمانى على فيينا ١٦٨٣ حتى هزيمة المانيا فى الحرب العالمية بين ٣٩ ـ ٤٥ يحظى بالتفوق والقوة على تقسيم أنحاء العالم الى درجة جعلت الدول الأوربية الكبرى لاتحسب أساسا حسابا لأى دولة خارج دائرتها . ألا أن احتكار الغرب لمظاهر التفوق انقضى أجله عام ١٩٤٥ اذ ظهر الى الوجود منذ ذلك التاريخ وللمرة الأولى منذ ١٦٨٣! تصادم فى السياسات الدولية كان أحد الطرفين فيه دولة عظمى ذات ملامح غريبة عن مجتمع الغرب القديم وكان قيام هذه الدولة ويعنى بها الاتحاد السوفيتى كاحدى الدولتين العالميتين المتنافستين الباقيتين مؤديا مرة أخرى الى قيام صراع ثقافى انضم الى حلبة السياسة ويلاحظ كذلك أن الروس يقودهم الى ميدان الصراع ضد التأثير الغربى قد قدموا نموذجا احتذاه الصهيون بالفعل بعد واحد وثلاثين عاما ويحتمل كثيرا أن يحتذيه اليابانيون والهنود وغيرهم » .

ونقول أن الفكرة الماركسية هى لا شك ثمرة الصهيونية وأن اليهودية العالمية كانت وراء النفوذ الأجنبى غربى وماركسى على السواء . هذا الذى بدأ بتقرير رفعه ساسة العصر الى السير كامبل بنرمان رئيس وزراء بريطانيا فى مطلع هذا القرن يفضى بكمون الخطر المرتقب على عامة الاستعمار الأوربى فى مواطن التقاء الشرق بالغرب حيث الجبهة العربية التى يلتقى شعوبها عنـد جامعـة اللغة والتـاريخ والوجدان . ولاسـبيل الى الابقاء على الامبراطوريات الاستعمارية التى تمتد عبر هذه المناطق الا بتمزيق هذا المارد الجبـار .

هذا الخطر الاسلامى حاولوا القضاء عليه بايجاد مجموعة عازلة فى هذه المنطقة بين الشرق والغرب : هذه هى الصهيونية التى حاولت السيطرة على فلسطين والتى تدعى لنفسها حقا من النيل الى الفرات وما تزال فلسطين فى نظر الصهيونية هى الركيزة فى عملهم فى الوثوب الى العالم كله وامتلاك ناصية الجوييم ، ليكون العالم كله فى خدمة شعب الله المختار .

سابعا : المــؤامرة على الاســـلام

(٤٣)

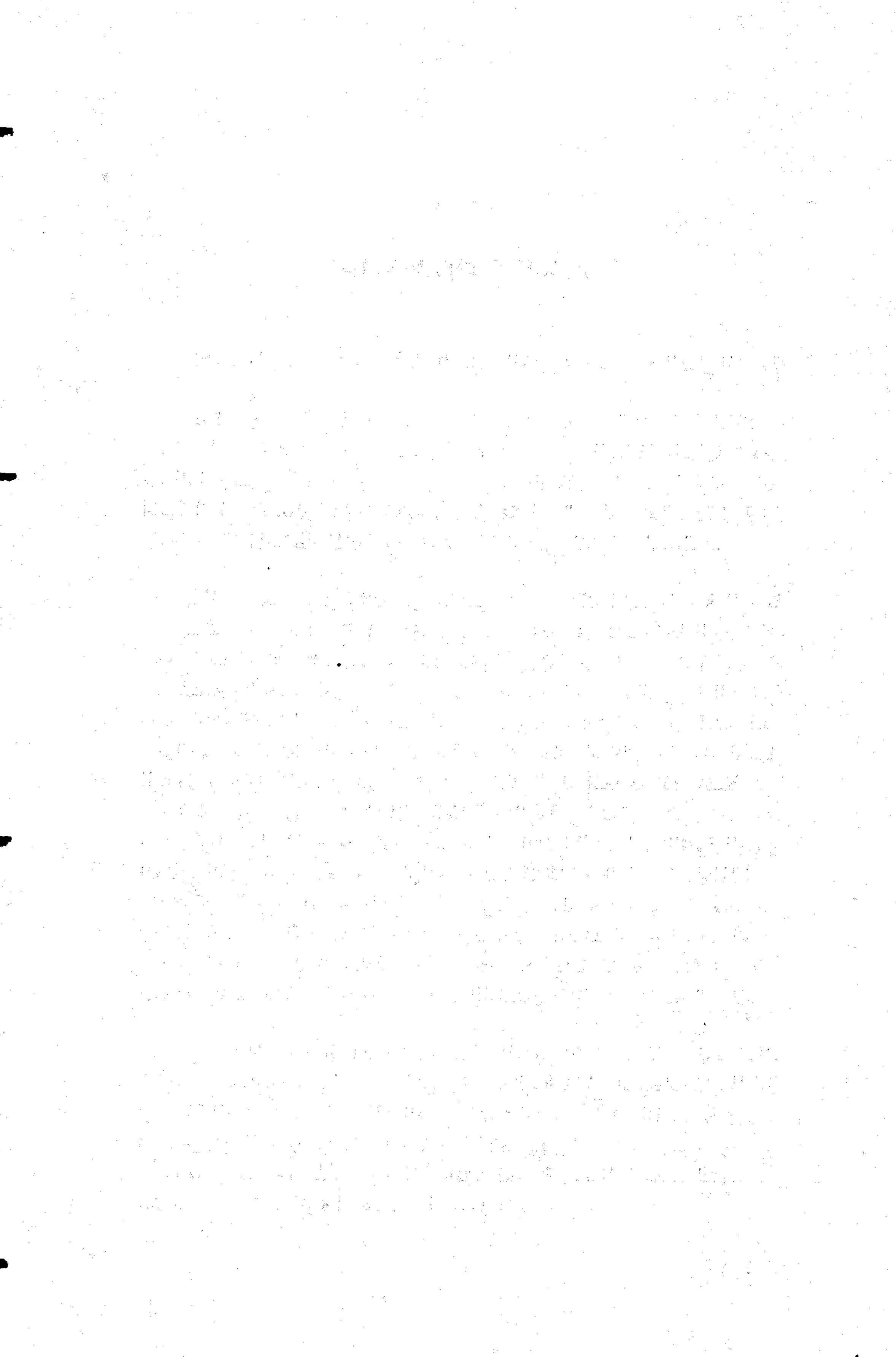
مؤامرة على اقتصاد المسلمين

كشف ولتر رانتو فيما أسماه (العامل الخفى فى سياسة الدول الغربية)

فقال ان العالم المتمدن بأسره يخضع فى حياته الاقتصادية لطائفة من المولين كادت فى بعض الدول أن تستولى على السلطة باكملها ، فهى فى الواقع تسن القوانين وهى تقرر الحرب والسلام . ان سيطرة كهذه لهى أسوأ أنواع السيطرة فانها خالية من كل فكرة عالية أو نزعة سامية ولا دافع لها الا المصلحة المادية ولا غرض الا احتياز الثروة والسلطة .

والذى يعجز ولتر رانتو عن الكشف عنه هو تلك الامبراطورية الربوية التى صنعها اليهود فى العالم الغربى والتى امتدت فى نفوذها الى مختلف أنحاء العالم والتى تؤثر بقوتها الاقتصادية والمالية فى كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية وهى التى توقد الحروب العالمية والحروب الصغيرة والثورات والانقلابات بهدف المحافظة على نفوذها وقوتها ، وهى أيضا التى تتحرك من وراء تلك الصيحات العالية عن الايفجار السكانى وارتفاع أسعار البترول وتحاول اليوم أن تصد بكل قوتها ذلك التيار الجديد الذى يشكل قوة عربية اسلامية عن طريق امتلاك الطاقة والثروة والتفوق البشرى بهدف استمرار اخضاع المسلمين والعرب عن أهل (القارة الوسطى) للنفوذ الربوى العالمى الذى يسيطر عليه. والواقع أن كلا النظامين الرأسمالى والماركسى الاشتراكى الآن قد أصبح على حافة الهاوية من ناحية الافلاس والعجز عن تحقيق هدف الحياة الاجتماعية الكريمة للمجتمعات وقد أصبح العالم الغربى الآن يتطلع الى نظام اقتصادى جديد جرت عدة اجتماعات لدراسته فى الأمم المتحدة وتقدم بعض المخلصين الى هؤلاء الباحثين بالنظر فى المنهج الاسلامى.

وفى اطار هذه الظاهرة شبه كارلو الوزير الفرنسى بلاد الغرب ببلاد خربه مدمرة أقيمت بين أنقاضها أبنية فخمة عظيمة تناطح السحاب فان المتأمل فى حالة الدول الأوربية يجد أن الفقر والضيق قد عم سواء الناس وجمهورهم فى حين أن المولين وأرباب المصانع والمتاجر قد زادوا ثروة وقوة فوسعوا شركاتهم وسيطروا على جميع المرافق الحيوية وبسطوا سعادتهم على الشعوب : هؤلاء الرجال هم سادة أوربا .



(٤٤)

محاولة توقيف نهضة الاســـلام

كشفت الدراسات المحايدة عن فساد الخطط التى حاول النفوذ الأجنبى غرسها فى البلاد الاسلامية ومنها :

١ ــ اتخاذ النظام الغربى نموذجا للمبادرات الاصلاحية فى تركيـــا وايران ومصر وان هذه التجربة كانت فاشلة وان الذين اتخذوا النظام الغربى نموذجا لها نسوا الأسس التى تقوم عليها ركائز هذا التقدم ليست موجودة وان الظواهر لظهور تغيير اجتماعى لم يتوفر فى مجتمعاتهم .

٢ ــ خطأ مبادرة السلطان محمود الثانى ١٨٣٩ الذى كانت تستهدف أن تقاوم أوربا بسلاح أوربى (من غير تربية اسلامية صحيحة) .

٣ ــ خطأ خطة التسامح التى اختطتها الدولة العثمانية مع العناصر المسيحية فى التوسع فى المدارس والامتيازات فانه عن طريق هذه الخطـــة أمكن تجميع القوى التى ضربت تركيا .

أشار الى هذا باول شمت فى كتابه (الاسلام قوة الغد العالمية) وهو الباحث الذى أشار منذ خمسين سنة الى ان اسس القوة النامية فى العالم الاسلامى هى :

١ ــ الوضع الاستراتيجى للعالم الاسلامى .

٢ ــ الزيادة المضطردة فى عدد السكان .

٣ ــ ما توصل اليه المسلمون فى ثروة فى المواد الخارجة فى باطن الارض مما يكفى لقيام حضارة تضارع حضارة أوربا .

ويلل المؤلف على الاهتمام بالنمو السكانى فى العالم الاسلامى وهذه القوة النامية التى ستحدث هزة فى ميزان القوى من الشرق والغرب .

وهو يشير الى الدور المرتقب الذى سيلعبه العالم الاسلامى ازاء هذه

القوة المادية والعددية ، بالاضافة الى التفكك الذى تعانيه أوربا فقد تفضت الحرب العالمية على الافكار الانسانية ودفنتها فى ساحة القتال ويقول :

سيعيد التاريخ نفسه مبتدأ من الشرق ، عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام ، وستظهر هذه القوة التى تتمثل فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك المسلمون كيفية استخدامها والاستفادة منها . ان انتفاضة العالم الاسلامى صوت نذير لأوربا وهتاف يجوب آفاقها يدعو الى التجمع والتساند الأوربى لمواجهة هذا العملاق الذى بدا يصحو وينفض النوم عن جفنيه وقد أشار باول شمتيز الى الدعوة القومية الاسلامية النامية ووحدة المصير الاسلامى وبروز الاسلام كعامل رئيسى فى تجمع المسلمين لمواجهة الغرب المستعمر ، والعودة الى القرآن كمصدر اساسى لتنظيم حياة الفرد والأمة واتحاد الأجراءات اللازم ضد المبشرين لأنهم طلائع الاستعمار الغربى .

* * *

أشار ولفرد كانتول سميث الى أن أحقاد الصهيونية والصليبية كانت من وراء (اتاتورك) أكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبدالحميد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصليبية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية وفظائعها لتعمل لهدمها من قواعدها .

فقد كتبت أقلام صهيونية وصليبية مئات الكتب تشيد ببطولته الخارقة ليكون قدوة للعالم الاسلامى تحتذى فى كل مكان .

(جبرتى العصر)

* * *

(٤٥)

مؤامرة التمزيق القومى

بدأت حركة التمزق الاقليمى والقومى فى تركيا العثمانية عن طريق الدعاة أمثال جاك ألب واغاييف الذين دعوا الى احياء القومية الطورانية وقد تحركت فى داخل العالم الاسلامى نوازع وافدة فى البلاد الاسلامية غير غربية وذلك بهدف تمزيق الوحدة الاسلامية الفكرية الأساسية التى قامت عليها الوحدة الاسلامية والجامعة الاسلامية والخلافة الأسلامية .

وبدا أهل الحكم والسلطان فى كل من البلاد الشرقية يعملون على احياء روح جديدة فى الأمة بانتزاع نفسيتها الاسلامية وروحها التى شكلها القرآن خلال أربعة عشر قرنا .

وحققها كمال فى تركيا ، أمان الله فى افغانستان ، رضا خان فى ايران وترددت عبارات جديدة : الفرس منحدرون من الأصل الآرى ، والترك منحدرون من الأصل المغولى ، وذلك بهدف المباعدة عن أصول الثقافة الاسلامية ، واعلان شأن القوميات القديمة السابقة للاسلام ونشأت فى هذا الخضم دعوات متعددة متقاربة ، الرابطة الشرقية ، الوحدة العربية ، الفرعونية ، الفينيقية ، البابلية ، الأشورية .. الخ .

وفى ايران احيا محمد رضا خان تراث كورش وربط ايران بامبراطورية الطاووس قبل ٢٥٠٠ سنة واحيا الأتراك تراث جنكيزخان وطوران والذئب الأغبر ، وفى مصر جرت الدعوة الى الفرعونية وتراث اخناتون ونسوا أن الفرعونية ليست جنسا من أجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم .

وقد استغل النفوذ الأجنبى التناقض بين العناصر فى الوطن الواحد وحاول أن يتخذ منه اداة للوقيعة وتمزيق وحدة الجماعة الاسلامية .

ولقد حاولت الأوطان الاسلامية مواجهة الاستعمار بأسلوب الوطنيات ثم القوميات لتأكيد وجودها كأمة له كيان ولكن الاستعمار استطاع أن يعمق هذه العملية المرحلية ليجعلها قضية أساسية ويقضى على آثار الوحدة القائمة على الفكر والعقيدة والثقافة بايجاد مفاهيم مستمدة من التاريخ قديم تحاول أن تصور نفسها وكأنها عوامل مستقلة أو مغايرة كاحياء الفرعونية والفينيقية

والبابلية والأشورية مع انها جميعا خيوط من نسيج واحد ، ولقد استغل المارشال ليوتى فى المغرب التناقض القديم بين العنصرين العربى والبربرى، واستغل اللورد كرومر فى مصر التناقض القديم بين الفرعونية والاسلام ، كذلك استغل النفوذ الأجنبى الالتباس الذى تركته مفاهيم التعزيب والغزو الثقافى بين فكرة العروبة والاسلام وبين الدين والعلم .

ولقد كانت ظاهرة (الملائكية) مصدر الزوابع السياسية التى اجتاحت القارة الوسطى (بلاد الاسلام) وتمثلت فى الحركة التى قام بها مصطفى كامل فى تركيا ، والشاه فى ايران ، وتمثلت فى تعطيل الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعى ، وقال مالك بن نبى انها لا زالت تحمل فى طياتها محهولا خطرا وسوف يجليه التاريخ . وقد اتخذ النفوذ الغربى من دعاة الاقليمية الضيقة والوطنيات المنفصلة من الاسلام وسيلة الى توجيه التايون والتعليم واللغة وجهة تفصل بين الاسلام وبين المجتمع وقد فرض قانونا مشتقا من القانون الفرنسى ونظاما فى التعليم مشتقا من التعليم العلمانى الغربى واستغلت العامية .

ولقد كانت العلمانية (فصل السياسة عن الدين) بدعة متعارضة مع مفهوم الاسلام الجامع ، بداها اتاتورك وكان وراء ذلك جهد من الاستعمار الذى غزى هذه الأكذوبة وعمل على اشاعتها وكانت الخلافة فى نظره حجر عثرة يجب التخلص منها ولا يمكن التخلص منهــا الا بالتخلص من العقيــدة الاسلامية نفسها باقتلاعها من نفوس أصحابها ومع ذلك فان هذه المحاولة لم تستطع أن تحقق نتائج بعيدة المدى فقد عاد الشعب التركى المسلم سريعا الى التماس طريق الاسلام بينما أخذت البلاد العربية تعيد الاسلام مصــدر التشريع .

● ● ●

قال المؤرخ الامريكى فيكتور روبنصون :

كانت أوربا فى ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبــة تضيئها المصابيح الهامة ، وكانت أوربا قذرة بينما شيدت قرطبة الف حمام وكانت أوربا غارقة فى الوحل بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع وكانت سقوف القصور فى أوربا مملوءة بثقوب المداخن بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة .

وكان رهبان أوربا يلحنون فى تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع فى ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة .

(٤٦)

الحرب ضد الاسلام

تحدث أحد المؤرخين عن الطرق التى سلكتها الحرب ضد الاسلام وهى ثلاث طرق :

الطريق الأول : محاولة اخراج القرآن عن حقيقته كرسالة الهية وقانون ربانى، والقول بأنه عمل أدبى من ابداع البشر حتى يكتب جولدز يهر المستشرق عن القرآن فيقول : ان اهم ما يشمله الكتاب المعروف باسم القرآن والذى هو أيضا أثر من آثار الأدب العالى ويقول عن الاسلام : اذا اعتبرنا الدين الاسلامى مسئولا عن العيوب الأخلاقية ومسئولا عن الركود العقلى الا انه منتشر بين شعوب واجناس مختلفة وقد خفف وطأة همجيتها بدل أن يقويها . ويقول عن الرسول أن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلى الخاص وبحكم الظروف التى احاطت به الى تجاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد فى الحقيقة والى ان يعترف بأنه يفسخ بأمر الله ماسبق أن اوحاه له الله

وكل هذا زيف باطل لم يقنع احدا وقد فشل هذا الأسلوب وتبين لهم ذلك وغلب على هذا يقين هو أن الكتاب الكريم منزل من عند الله تبارك وتعالى

وهنا بدأت التجربة الثانية :

على قلب امى لا يكتب ولا يقرأ

قالوا : مادمنا نستطيع ان ننتقص من الاسلام باعتباره أدبا عظيما فماذا لو اضفنا الأدب الى الدين واعتبرناه دينا وهكذا اضيفت خلافات الصوفية وادابهم واشعارهم الى الاسلام واعتبرت جزءا منه رغبة فى زيادة تناقض المسلمين بدلا من اتحادهم وتوسيع خلافهم بدلا من تماسكهم وشجعوا كل الفرق الغالبة وكل القبائل والنحل التى تؤدى الى انفجار فى داخل جسم الاسلام المترامى الديار والاقطار ولم ينجح هذه المحاولة .

وطرح الطريق الثالث : وهو طريق لامانع لديه من وجود الاسلام ولكن كخلفية بعيدة أو كدور جميل أو نقش اثرى على حائط الذكريات المهم ان لاتعود الاسلام الى حكم الدول وتوجيه مصائرها ، والمهم الا يعود الى حياته الأولى حين كان يواجه الحياة اليومية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين.

(٤٧)

لايسـقط الاسلام امام الغرب

علامات تكشف عن دور عالم الاسلام فى المستقبل القريب والبعيد تنجلى واضحة من وراء عبارات المستشرقين وكتاب الغرب فيقول « سنوك هروجنه » لا أعتقد أن الاسلام يسقط أمام الغرب لأ ن المسلم محتاط اشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الأجنبى . وما من دين أستطاع أن يوحى الى المتدين حق الفهم الااذاأدرك انهأسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم ، ان العربى لايفهم الاسلام حق الفهم الا اذا أدرك انه أسلوب حياة تصبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا وليس مجرد افكار وعقائد يناقشها بتفكيره وسيبقى الاسلام قابلا للتطور حتى فى ظل الدولة الحديثة ، فقد عرفت قدرة المسلمين على التوفيق بين العلم الحديث واستمساكهم بالقواعد التى رسمها الاسلام وقد ثبت أن كل اصلاح يفرض على المسلمين فرضا لابد له من أن ينهار عاجلا أو آجلا ، وأن الاسلام قد أحدث رقيا عظيما جدا فقد أطلق العقل من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وأن تحريره للصور فى المساجد قد خلص الفكر الاسلامى من وثنية القرون الأولى واضطر العالم الى أن يرجع الى نفســـه وأن يبحث عن خالقه فى صميمه .

ويتسائل أوجين يونج فى كتابه (يقظة الاسلام والغرب) :

هل القوة الاجتماعية فى الاسلام هى التى تكون أوربا أو دولها المظمى ؟ ربما كان ذلك لأن تعاليم الاسلام حرة فهو لا يقول بالطبقات ولا بالامتيازات ولا يدعو الى التسلط على نحو ما تدعو الكنائس النصرانية وليس فى مطاويه شىء من الرياء السياسى الذى تنقاد له بعض حكومات أن شعار المسلمين الجميل هو تقريب القلوب والأرواح وهذه خطوة انتقال الى الاسلام العام وهذا مايراد ولا شك القضاء عليه .

● ● ●



(٤٨)

مراصد الاستعمار

يقول (مالك بن نبى) فى كشف مخططات النفوذ الأجنبى فى مواجهة حركة اليقظة الاسلامية أنه عندما تظهر فكرة مجردة فان مراصد الاستعمار ترصدها قبل أن يدركها الشعب الذى يريد صاحبها أن ينشرها فيه ، فيبدأ الاستعمار بتوجيه مدفعيته أليها وبما أنه لا قدرة له لمجابهة الفكرة المجردة صراحة والقضاء عليها فانه يوجه قذائفه نحو الكاتب ليصيب فكرته . ثم يحاول الاستعمار تجزئة الفكرة ، أحيانا يجرى عليها نوعا من الضرب باتهام عدد من الأفكار الثانوية اليها لاضعاف الفكرة الأصيلة على العقول .

ويحاول الاستعمار تجسيد الأفكار المجردة حتى ينصب نقده على الشخص وحتى تصبح العلاقة عاطفية لاعقلية ، أو ايجاد بديل سريع لكل فكرة شريفة وتحويل الرأى عن الأولى بالثانية ، أو شن غارة على الفكرة وصاحبها واتهام صاحبها من جهات ذات نفوذ أو تحويل الفكرة الرئيسية المجردة الى فكرة سياسية ، أو الاسراع فى طبخ الدعوات بسرعة لاخراج مولود ضعيف ليسهل قتله وهناك طريقة الابعاد بالقتل اذا لم يكن بالاغراء أو التهديد .

ويقول : أن الذين قادوا الشعوب الى التوارث الكبرى فى بلادنا لم يكونوا من السياسيين المحترفين الذين يسرون فى ركب الاستعمار علنا بل رجال محترمون مدفوعون على منابر الزعامة وكراسى الحكم وضعوا فى أوطانهم موضع الأبطال وبنيت لهم الأضرحة الفخمة .

● ● ●

وفشلت هذه المحاولة ايضا ولابد أن مصانع الاستشراق والتغريب والتنشير والغزو الثقافى منهمكة فى اعداد خطط جديدة .

ولكن الظاهرة الحقيقية التى لم تعد تخفى على كل ذى لب ، أن الجماهير المسلمة اصبحت قادرة على كشف زيف الاطروحات الجديدة العلمانية والقومية والديمقراطية والاشتراكية ومواجهة التحديات التى تطرح عليها ولم تعد تفاجىء ابدا فقد تشكلت لها خلفية واعية وفهم عميق لابعاد المخططات والمؤامرات . ان تمجيد الماضى الذى تقوم به قوى التعريب قد فهم على أنه وسيلة لصرف العالم الاسلامى عن واقعه وقضاياه وعن مواجهة التحديات .

● ● ●

قال أحمد شفيق باشا (مذكراتى ج ١) :

طلب جمال الدين الى (الخديو توفيق) تغيير حاشيته من رجال السراى وكانوا جميعا غير مصريين . احست هذه الحاشية الخطر على نفسها وعلى الخديوى خاف تنصلا انجلترا وفرنسا ان يمس نفوذهما فأوعزا صدره على صديقه خصيصا وانه يظن أنه صاحب الفضل فى توليه بذهابه الى ممثلى الدول طالب خلع والده (اسماعيل).

* * *

(٤٩)

فهم مضـــــل

خرج مسئول فرنسي فى وزارة الخارجية سنة ١٩٥٢ قال :

ليست الشيوعية خطرا على اوربا فيما يبدو لى فهى حلقة لاحقة لحلقات سابقة واذا كان هناك خطر فهو خطر سياسى عسكرى فقط ، ولكنه ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكرى والانسانى للزوال والفناء. ان الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامى ، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربى فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضـــــارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دوق حاجة الى (الاستغراب) أى دون حاجة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة فى الشـــخصية الحضارية الغربية » .

هذا الفهم الغربى للاسلام فهم مضلل ، وهو مايوجيه خصوم الاسلام لتاليب قوى الغرب على المسلمين فما كان الاسلام وحضارته الا مثلا عاليا للاخاء البشرى والرحمة والتسامه والخلق الرفيع ، وتدل على ذلك معاملاتهم للغرب وللعالم كله خلال ثلاثة عشر قرنا ، وهم حين يعملون الان للحفاظ على ذاتيهم ولامتلاك ارادتهم لا يريدون شرا بأحد ، ولا يطمعون فى حصول على ما فى أيدى الغير وسيظلون مثلا عاليا للعطاء للبشرية وللحضارة كما كانوا من قبل .

ولكن هكذا تؤلب على المسلمين بعض القوى الغربية كالصـــــهيونية والشيوعية ومن هذا الفهم الخاطىء ، يحاول الغرب عن طريق التغريب والغزو الفكرى العمل على التشكيك فى مفاهيم الاسلام وخلق جو من الاحتواء والاذابة والصهر للفكر الاسلامى فى بوتقة الامية العالية ، وما اغناهم عن هذا كله لو انهم فهموا الاسلام فهما صحيحا .

● ● ●

ثامنـــا : المؤامـــرة الصـــــهيونية

٥٠ ـ مؤامرة الصهيونية

٥١ ـ مؤامرة الدونمـــة

٥٢ ـ الأيدلوجية التلمودية

٥٣ ـ وثيقة تبرئة اليهـــود

٥٤ ـ عناق الصـــهيونية والماركســـية

٥ ـ تاريخ الماســـــونية

٥٦ ـ بناء هيكل ســـليمان

٥٧ ـ التوراة مصـــدر الاستراتيجية

٥٨ ـ ملاحظات على العهد القديم

٥٩ ـ مملكة الخـــزر

٦٠ ـ هل هو عصر المحـــاق الاندلسى الجديد

(٥٠)

مؤامرة الصهيونية

ان تصريحات زعماء الصهيونية واسرائيل تكشف عن خطة بعيدة المدى يحاولون رسمها ، لا تقف عند حد الانتشار من النيل الى الفرات ، وانما هى ترمى الى طعن الحضارة الاسلامية والوجود الاسلامى كله .

يقول بن جوريون ، ان كبت المسلمين وتصفيتهم شرط ضرورى للتفاهم والتعامل مع العرب لأن عقلياتهم المتعصبة (أى تمسكهم بالحق ومقارعتهم للباطل بما يفرضه الاسلام) تشكل اكبر عقبة فى طريق السلام .

ويقول رابين : ان مشكلة الشعب اليهودى هى أن الدين الاسلامى ما زال فى دور العدوان والتوسع (أى الحيوية والانتشار والكفاح والفاعلية) وليس مستعدا لمواجهة الحلول (أى انه عقبة فى طريق الذل والخضوع والاستسلام لليهود) وان وقتا طويلا سيمضى قبل أن يترك الاسلام سيفه أى قبل أن نطبق عليه وعلى اعناق دعاية هذه خطر مؤامرات الكيد الدولى الصهيونى الصليبى الشيوعى حيث يقوم الاعلام اليهودى والمسئولون اليهود وعلى راسهم مناحم بيجين سفاح دير ياسن بحملة صراخ على الاسلام زاعمن انها امبريالية عربية جديدة وخطر على العالم .

● ● ●

خطأ التفسير الدينى للتاريخ الذى قدمه ارنولد توينبى لأنه يقوم على استعلاء الحضارة الغربية بالمسيحية ويفسر الأحداث وسير الأجيال فى ضوء هذه التبعة فتقف من الاسلام موقفا ظالما حين يرى أن المجتمع الاسلامى هو حصيلة اندماج مجتمعين متمايزين فى الاصل هو الايرانى والعربى ولو انه قال أن الاسلام صهر كل من آمن به فى مجتمع جديد قام على أساس الاسلام . هذا المفهوم الذى انكر العناصر والدماء والتفاخر بها .

وان النظرة الجديدة الى التفرقة بين الدين والعنصر انما هى نظرة جديدة لم يعرفها المسلمون والعرب فى حضارتهم ومنطلقهم التاريخى ، وانما هى من نتاج الصراع الغربى الحديث فى التفرقة بين الأديان والأجناس .

(٥١)

مؤامرة الدونمة

تكشفت مؤامرة الدونمة منذ وقت بعيد . والدونمة هم ستمائة عائلة يهودية هاجرت من أسبانيا الى تركيا وادعت دخولها الاسلام منذ عام ١٦٨٣ خفية مع بقائها على اليهودية فى السر ، وما تزال تلقن هذا السر زراريها وتطبعهم بهذا الطابع وتحجب هذا السر ، هؤلاء الدونمة دعاهم (بن زفى) : طائفة مسلمة ــ يوهدية ، لا تزال منذ زعمت الاسلام تعيش فى تركيا بوجه مسلم وهذا ما مكنها من التدخل فى شئون تركيا الاقتصادية والسياسية والتربوية والتوجيهية الكبرى ، منها الوزراء والصدور العظام والنواب والمدرسين بالجامعات ومنها الشيوخ الذين يصعدون المنابر ويعقدون حلقات دراسة الفقه والحديث والتفسير والنصوص وهم لا يتزوجون الا فيما بينهم ولا يأخذوا من عاداتا الآخرين الا ظاهر تحت شعار : ينبغى أن نعمى عيونهم ونحافظ على الاسم المزدوج) وقد هاجر عدد منهم الى فلسطين ولا يزال بها وقد ظهر هؤلاء بعد عام ١٩١٨ اذ احتل الحلفاء عاصمة الخلافة (اسلامبول) وعندئذ أخذ الدونمة يتقدمون لقادة الحلفاء معلنين انهم ليسوا أتراكا ولا مسلمين ، واسسوا حزب تركيا الفتاة ليدفعوا الحزب لتاسيس العربية الفتاة تنفيذا للمخطط اليهودى الذى يرى شطر السلطة التركية الى قومية عربية وقومية تركية كمدخل لابد منه تعبيده لتسلكه اسرائيل تحقيقا لمخططاتها المعلومة ولتنتطح القوميتان وتهدمان برجا يعجزان عن اعادة بنائه .

يقول اسحق بن زفى (رئيس اسرائيل السابق) فى كتابه الدونمة (الصادر ١٩٥٧) عن أتاتورك انه قائد الثورة الثقافية التى اجتاحت تركيا واثمرت استبدال الحروف اللاتينية بالعربية .

ويعدد الباحثون اقطاب الدونمة من امثال : جمال السفاح ، وجاويد ، وقراصو ، وخالدة اديب وكان صاحب المنار يعلم أن الثورة على السلطان عبد الحميد لا تعنى الا تنفيذ خطط الدونمة ولذا أخذ يكتشف ما تنطوى عليهم نفسياتهم ويحذر من تنفيذ مؤامراتهم (المنار ٢٩ آب ــ ١٩١٦) .

(٥٢)

الأيدلوجيـــة التلمودية

الأيدلوجية التلمودية : هى فكرة وفلسفة ومنهج حياة معارض تمام المعارضة للاسلام والفكر الربانى . أبرز وجوه المعارضة قيامه على الربا والأباحية وانكار البعث وهو ما يضاد مفهوم الاسلام فى الانفاق والايمان بالبعث واخلاقية الحياة والمسئولية الفردية . ولقد صـــنع اليهود نهجـــا خاصا هم سادته وعملوا من طريق الفلسفات والأيدلوجيات على أن يجعلوه منهجا عالميا وحاولوا ان يدخلوا فيـــه الغـــرب كله ثم البشرية بعـــد ذلك جميعـــــــا .

وقد جمعت هذه الأيدلوجية كل ما حمله الفكر البشرى القديم من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للاخلاق وانكار للجزاء والحساب فى سبيل اشادة امبراطورية الربا وعبادة الذهب والتكالب على الحياة . وبذلك ســـيطر اليهود على الفكر البشرى وعمدوا الى احتواء الفكر الغربى كله داخله ، ولم يعد الان فى العالم من مواجهة لمنهجهم الباطل غير منهج القرآن الذى تبناه الاسلام والذى هو منهج التوحيد الخالص والايمان بالبعث والمسئولية الأخلاقية والالتزام الفردى .

وطابع التلمودية واضح فى مفاهيم علوم النفس والاجتماع والأخلاق والأنثروبولوجيـــا وعلم مقارنات الأديان . ولقـــد خـــرج الغرب من مفهوم المسيحية الى مفهوم اليهودية حيث سيطرت العلوم الاجتمـــاعية التى هى ثمرة الفكر التلمودى .

● ● ●

(٥٣)

وثيقة تبرئة اليهـود

ان مخطط تبرئة اليهود من محاولة قتل السيد المسيح لها جذور قديمة ممتـدة ..

وما من حدث من الأحداث العالمية الكبرى فى العصر الحديث الا ومن وراءه اليهودية العالمية فالدول الأربع الكبرى فى مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى كانت اليهودية العالمية هى التى تكتب نصوص الاتفاقيـات وتدبج صكوك الانتداب وترسم خريطة العالم الجديد وتسيطر على رؤساء الدول وكان معظم القائمين على مؤتمر الصلح من خبراء وأساتذة قانون وتراجمة وامناء يهود من اقرام اليهـودية العالمية والهـدف هو تصـفية العالم الاسلامى وافريقيا .

الأربعة الكبار : نيلسون امريكا ، لويد جورج بريطانيا ، كلمنصـو فرنسا ، اورلندو ايطاليا .

لويد جورج صهيونى اكبر من الصهيونيين وكان وزير خارجية بلفور صاحب الوعد المشئوم وسكرتيره اليهودى ساسون . أما كميمسو فهـو عمل بيه روتشلد وسكرتيره مندل روتشلد .

اما الدكتور نيلسون فكان يحيط به ثلاثة من دهاقنة اليهود على راسهم القاضى الأمريكى اليهودى برنديرى وكان الأبرة المغناطيسـية فى دماغ الدكتور ولسون واسلوبه يختلف عن اسـلوب وايزمان اليهودى الروسى المرافق الاخر : مترجم يهودى : منتو وكيش (يهودى) .

وفى اواخر اكتوبر ١٩١٩ عين الفيلد مارشال اللنبى مندوبا ساميا على مصر مع بقائه على القيادة العسكرية فى فلسطين وسوريا ولبنان . وبدأت انذارات غورو (فرنسا) تتدفق على الملك فيصل فى سوريا وزحفت فرنسـا بجيوشها لاحتـلال سوريا تنفيـذا لمعاهدة سيكس بيكو ، وفى

معركة ميساون تحطم الجيش العربى . أما الشريف حسين فقد خدعه البريطانيون وأعليوا أن ما معه من وعود مكتوبة معهم هى هباء . وبدأت اللعبة فى العـراق فراح عملاء الانجليز يعملـون على تعيين برسى كوك معتمد بريطانيـا فى الخليج رئيسـا للدولة العراقية المرتقبـة . غير ان العلامة محمد تقى الدين الشـيرازى قال كلمته المدوية : ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار للامارة على السلطة على المسلم غير المسلم . وفصلت فلسطين والاردن عن أمها سوريا وقطعت سوريا الى حكومات : حلب . جبل الدروز . دمشق . العلويين . لبنان .

وبدأت الأنشطة التى أمدتها الفاتيكان ومختلف الكنائس الأوربيـة والأفريقيـة بالتعاون والترابط الوثيق مع الاسـتعمار الغربى فى دعـم ومساندة اليهودية العالمية لانتـزاع فلسـطين من العرب والاسلام وزحفت طلائع الارساليات والمبشرين الذين يتمسـحون فى ثياب الكهنوت وعلى هيئة أطباء ومدرسين وعلماء ومواطن .

هذه المؤامرة الماكرة على البـلاد العربية وخاصـة فلسـطين استمرت بعد انحسار الحروب الصليبية قبل نحو الف عام وهى تسير فى شتى الصور المموهة التى تأخذ أشكالا متعددة حتى لا تثير الشـبهات ثم جاءت خطوة الدعوة الى حل اليهود من ذنب التدبير لصلب المسيح وهذه بدأت ١٨١٩ حتى عام ١٩٦٥ حين نفذتهـا البابوية فقد كان النصـارى يحملون عداء شديدا لليهود لاعتقادهم بأن اليهود هم الذين طلبوا من الحاكم الرومانى التخلص من السيد المسيح وكان يعتبرون جميع اليهود فى جميع العصور شركاء فى الجرم .

قال ليفى بارسونير : اننا اذا استطعنا أن نحمل البرونسيات على أن يجعلوا فى القدس نواة من اليهود تتقبل المسيح فان جميع يهود العالم سيتبعون خطاها حالا .

ولقد كان المفسرون المسيحيون الأول متأثرين باليهـودية وفى مقدمتهم (زويمر) صاحب فكرة المنشور (لماذا لا تعود الى القبلة القديمة) .

يقول ستيفن نايل : ولد يسـوع يهوديا لم يخط وراء حدود فلسـطين لغته الأرامية ، كان يستطيع أن يقرأ التـوراه باللغة العبريـة وتدرجت الخطوات فكانت حماية روسيا للارثوذكس ، وفرنسـا للكاثوليك والمانيا للبروتستانت .

وفى أثناء الاعداء للمجتمع المسكونى الثانى فوض البابا يوحنا الثالث والعشرن الكردنيال بيا بوضع مرسوم يتعلق باليهود وكان الكردنيال بيا يهوديا متنصرا ، ولما كان البابا يوحنا (٢٣) قاصدا رسوليا فى تركيا ١٩٣٥ اطلع على حال اليهود الذين هربوا من ألمانيا هتلر ، وفى اكتوبر ١٩٦١ جاء وفد من يهود أمريكا . قال يوحنا لليهود : أنا يوسف أخوكم ، أن ثم فرقا بين الذى لا يؤمن بالعهد القديم وبين الذى يؤمن بالعهد الجديد أنه الشريعة الهادية العليا ولكن هذا الفرق لا ينقص من الأخوة القائمة على أصلنا الواحد .

ومن ثم بدأ حذف العبارات الجارحة لليهود من العظات المسيحية عام ١٩٦٢ ووضع بيان المرسوم خاص بتبرئة اليهود من دم المسيح ثم صرف النظر عنه الى ١٩٦٥ .

ومن نصوص الوثيقة : تقر الكنيسة أن جذورها تذهب بعيدا فى أرض اسرائيل القديمة وتقر كذلك بسرور أن جذورها ترقى الى الاسباط والأنبياء وخصوصا الى ذلك اليوم الذى دعى فيه ابراهيم ليخرج من بيت أبيه الوثنى وليسير فى طريق الايمان والى الساعة التى اختار الله فيها موسى ليخرج بنى اسرائيل من أرض العبودية ويصل بهم الى أرض الميعاد .

(وثيقة تبرئة اليهود لها بقايا)

● ● ●

ان ان التماس مفهوم الاسلام فى الثقافة والفكر بغير النظرة المطروحة الآن فى المجتمع الاسلامى والمستمدة من المفاهيم الغربية وخاصة فى مجال الاقتصاد والأدب والسياسة وفى العبارات المستعملة والأساليب وطريقة الحوار نفسه وبالنسبة أيضا للاعلام الذين يعطى لهم التبرير بينما هم فى حكم الاسلام منحرفون أو خونة .

ولقد اشار رشيد رضا الى مؤامرات الدونمة التى تجسدت فى (الاتحاد والترقى) وحزب الشعب الذى استغله أتاتورك وحذر من أبواقهم الذين خلعوا على أتاتورك رحلة البطولة متجاهلين ما أنطوت عليه العصبة الاتحادية التى زجت تركيا بحرب لا ناقة لهم وقتها ولا جمل والذين فتحوا للدونمة طريق الوصول الى فلسطين تحقيقا للوعود التى اعطتها انجلترا لدرزائيلى رئيس وزرائها اليهودى منذ عام ١٨٩٨ . وقد افتتح أتاتورك حفيد مزراحى البرلمان التركى عام ١٩٢٣ بقوله :

نحن الأن فى القرن العشرين ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون . وصفق الدونمة ورددوا مع شاعرهم (فاروق ناقة) سلمنا البلاد لأيدى أتاتورك الأمينة وتركنا الكعبة للعرب .

● ● ●

كانت جائحة التتار مصدر التحدى فى العمل على تلخيص التراث خوفا عليه من الضياع بعد أن تعددت محاولات اتلافه وامحائه ، حين عمل المغول على اغراق الكتب فى نهر دجلة وانما الف السيوطى ما الف ليحافظ على التراث من الضياع حيث عمد الى نسخ كتبه المؤلفة من المراجع المطولة وقدمها بنفسها أو فى شكل ملخصات متفرقة الأهداف والمواضيع ، ويقول المؤرخون أنه نسخ ما رواه ولم يعط جديدا من الجانب النظرى كمنظر أو مفكر أو مبدع وانه ترك خلفية تاريخية مفرغة حينما اكتفى باعادة ما كان قد أطال منه غيره النظر وبسطوا له الأمهات والمطولات وكان المغول قد دخلوا بغداد ١٢٥٨ قبل ولادة السيوطى بنحو قرنين ولد ٨٤٩ (١٤٢٩) وانهزموا على يد ماليك مصر ١٢٦٠ .

* * *

(٤٦)

عنـاق الصهيونية والماركسية

كشف الدكتور ابراهيم الشريقى عن العلاقات بين الحركة الصهيونية والحركة الاشتراكية الماركسية خلال الحربين العالميتين فأشار الى ضحايا الحرب العالمية الأولى فى الغرب بلغت سبعة ملايين بينما بلغ ضحايا الحرب العالمية الثانية خمسة وعشرون مليونا وقد اشارت الوثائق الدولية الى العلاقة بين الحركة الصهيونية وثورة روسيا البلشفية الحمراء فى روسيا ودور الصهيونية فى جر امريكا الى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ليحصلوا من الحلفاء على وعد بانشاء وطن قومى فى فلسطين وكانت حصيلة ذلك وعد بلفور عام ١٩١٧ وكان لوجود ستة ملايين ونصف مليون يهودى فى أمريكا اثرهم فى ترجيح كفة الانتخابات لرئاسة الجمهورية الامريكية .

وكذلك دور الاتحاد السوفيتى فى تكوين اسرائيل وقيامها على انقاض شعب شرد من دياره ، فقد كان زعماء الثورة الشيوعية فى روسيا من اليهود الاشتراكيين ، بالاضافة الى الاتفاق السرى بين لينين زعيم الحركة الشيوعية فى روسيا وحاييم ويزمن زعيم الحركة الصهيونية الذى ينص على قيام دولة يهودية اشتراكية فى الشرق تكون قاعدة لنشر الفلسفة الماركسية فى اقطاره .

واشير الى انه عقد فى مدينة زيورخ اجتماع حضره لينين ووايزمن عام ١٩١٩ فى منزل الصناعى اليهودى شوبن حيث اتفقا على تنفيذ مخطط لتقويض العنصرية فى روسيا وقيام دولة اشتراكية ماركسية على انقاضها كما اتفقا على مخطط آخر يرتبط بالمخطط الذى وضعه زعماء الصهيونية فى فيينا عاصمة النمسا عام ١٩٠٨ بهدف فتح أبواب الشرق لليهود ليستقروا فى فلسطين وينشئوا دولة لهم .

ولقد تكشف أيضا من الوثائق ما يدل على ان الشيوعية هاجمت الأديان

وخاصة الدين الاسلامى وغضت الطرف عما اطلقت عليه اسم : الخرافات اليهودية وقد برر (لينين) ذلك بقوله : ان حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما المأثور : ان الدين افيون الشعوب ولقد كان رأى الماركسيين على الدوام فى انواع المؤسسات الدينية انه صدى للرجعية والبرجوازية ، وانه لا هدف للاديان الا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتحذير وتبرير تصرفات الملوك التى يتخذها الراسماليون نحو الطبقات الكادحة . أما الخرافات اليهودية وان كانت لا تختلف عن باقى الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على حيويتهم حتى ينالوا حقهم واليهود اذا نبذوا دينهم حينئذ يتهيون فى الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون اسرائيليتهم ، والمحافظة اسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى اسرائيل غير الدين ومحافظة الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقهم .

وقد نشر ستالين فى جريدة كوم مولسكايا برافدا فى ١٦ ابريل عام ١٩٤٤ مقالا قال فيه : ان دولة السوفييت الشيوعية لا يمكنها موقفا محايدا تجاه الدين فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة فى حين أن الدين يناهض المادة . الدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا يتحدان واحداهما يقضى على الأخر فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبدا فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض » .

ولقد كان لينين أعرف الناس باليوهد كشعب مختار لأنه منهم ولذلك فقد أصدر عدة قرارات كان أهمها التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين .

ولقد كانت ايدلوجية اليهودية الصهيونية الشيوعية ترسم الحل الأمثل لمشكلة اليهود وهو يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس .

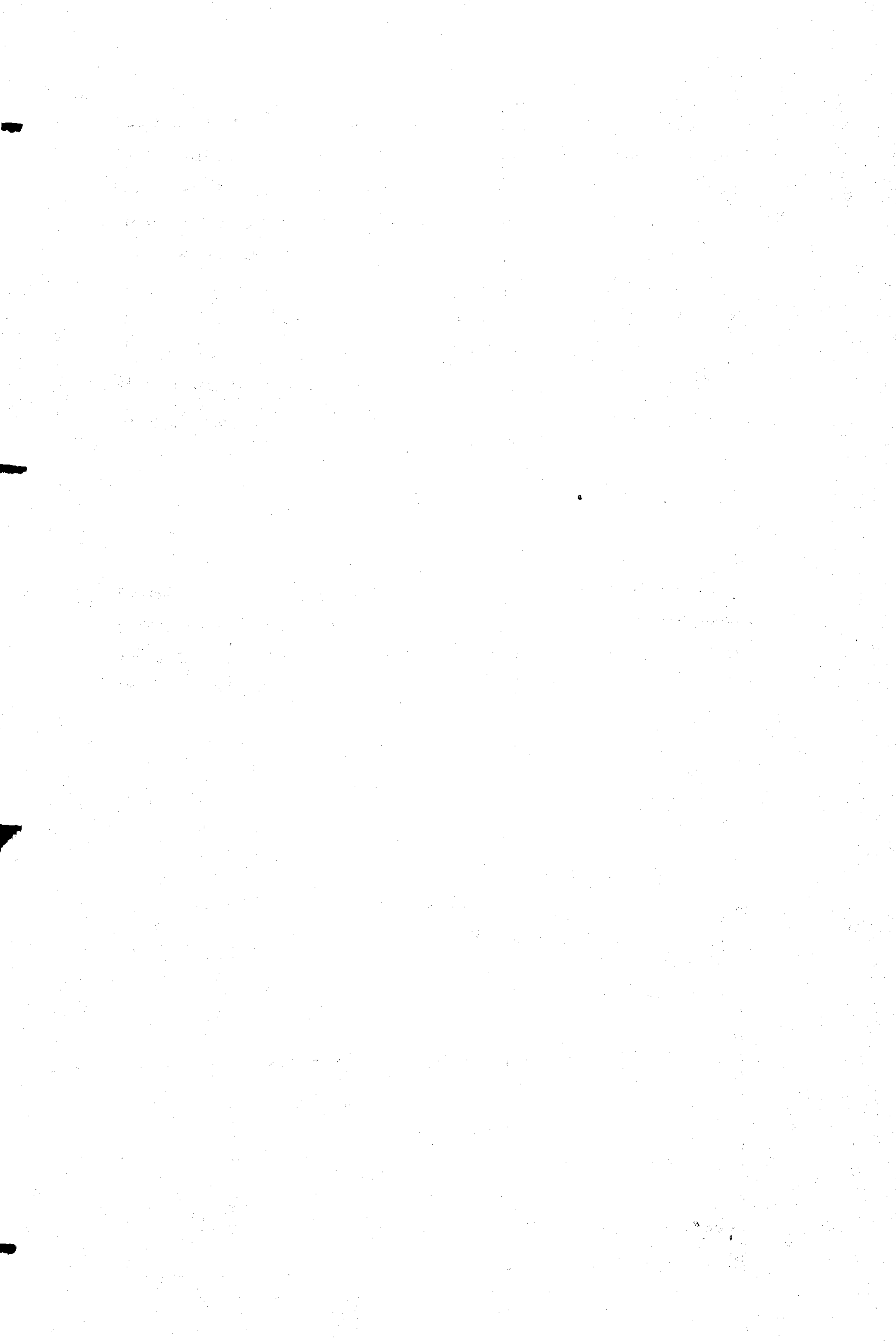
ويرى كاى مردخاى (كارل ماركس) كما يجب أن يسمى نفسه : ان المشكلة اليهودية لا تحل نهائيا الا بالتحول الاشتراكى للعالم بأسره واذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار وبما أن التقدمية الثورية فكرا وحرية وهدفا تعمل لاخضاع المجتمع البشرى كله الى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل

الحركات الماركسية فى العالم فهو يرى أن اليهود هم أصلح البشر لاحتلال القيادة الطليعية . ولقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الاشتراكى وان مؤسس الحركة الصهيونية ليولى عمله مخادعة العالم خاصة الولايات المتحدة بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وبالتالى تمكن من افراز عطفه على اقامة الوطن القومى اليهودى ، ثم الالتفات للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة ماركسية وصهيونية على العالم كله وبذلك يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية وما هذا الخلاف بين الاتحاد السوفيتى قاعدة العمل الماركسى والصهيونية سوى التكتيك المرحلى الذى تتطلبه هذه السيطرة اليهودية فى الوقت الراهن .

* * *

الدعوة الى العالمية أو الانسانية : تحاول الدول الاستعمارية أن تجعلها اتجاها مضاداً للوطنية والقومية ، ويتخذ من العالمية وسيلة للدعوى بوجوب تنازل الأمم عن قومياتها أو عدم التمسك بها أو عدم التعصب لها ويتذرعون لذلك بأن الاحساس بالقومية يؤدى الى التعصب والتعصب ضعاف العقول ونكسر به حدة المقاومة بين الشعوب .

* * *



(٤٧)

تاريخ الماســـونية

سئل اليهودى : راكتشف : ما هى الماسونية ؟

فأجاب : الماسونيين الاحرار هم أولئك الذين يبنون المملكة اليهودية وفى نشرة يهودية صدرت ١٨٦١ : ان روح الماســـونية الأوربية هى روح اليهودية فى معتقداتها الأساسية لها نفس المثل واللغة وفى الأغلب نفس التنظيم والامال التى تنير طريق اسرائيل وتدعمه ، ومكان تتويجها هو سبب العبادة البديعة حيث تكون القدس رمزا وقلبا منتصرا .

وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٠٩ نشرت جريدة المانيا بقلم المليونير اليهودى : والترراثو قال: هناك ٣٠٠ رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الأخرين يتحكمون فى مصير أوربا . انهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضـــون عنها .

ويقول جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ الماسونية العام ــ ص ١٩٥) كانت الماسونية مصدراً لكثير من التعاليم التى أصبحت من اقوى دعائم التمدن الغربى القديم والحديث ويشير جرجى زيدان الى التحاق فولتير بالماسونية (ص ١٤٩) فيقول :

فى عام ١٧٧٨ انضم الفيلسوف الأشهر فولتير الى الماسونية وكانت امتحاناته مقصورة على بعض مسائل أدبية مع اغفال الامتحانات الأخرى ثم نقل الى الشرق الأعظم وكان من اهم اعضائه .

ويقول احد المؤرخين ان جماعة الاتحاد والترقى التى انشاها عـــام ١٨٩١ فى باريس أحمد رضا تلميذ الفيلســـوف (أوجست كونت) ثم نقلهـــا بعد خمسة عشر عاما الى داخل الامبراطورية عام ١٩٠٦ فى مدينة سالونيك حيث يوجد (٥٠ الف يهودى) كانوا جمعا أعضاء فى المحافل الماسونية .

(٢)

لورنس والثورة العربية على الترك

يقول لورنس فى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) :

اننى أكثر ما اكون خضرا أن الدم الانجليزى لم يسفك فى المعارك الثلاثة التى خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى فى نظرى موت انجليزى واحد ، لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى أن مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا القليل الثمن فى الشرق ، ولاعتقادى أننا كسبنا الحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار .

ويقول : ليست الجيوش البريطانية الزاحفة على فلسطين وسوريا والعراق الا طليعة الغزو الأوربى لطريق البترول .

وصفه ويحل فى كتابه المطبوع ١٩٣٧ بأنه محارب صليبى

ووصف لويد جورج فتوح فلسطين بأنها الحرب الصليبية الأخيرة وقال اللورد اللنبى فى خطبة سياسية فى لونابارك بمصر الجديدة : ان فتوح بيت المقدس تعد حربا صليبية أخرى .

وفى مذكرة لوزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ أول سبتمبر ١٩١٦ .

ان اعلان الثورة العربية فى الحجاز هو فى مصلحة الحلفاء من عدة وجوه فاما من الوجهة السياسية فان اتساع نطاقها حتى تشمل شعوب فلسطين وسوريا وأرمينية الصغرى وتحرير هذه الشعوب النير التركى يهيىء لفرنسا أسباب التدخل فى شؤون هذه المقاطعات كما يشغل من الوجهة العسكرية الجيش التركى . أما من الوجهة الأدبية فانها تعود الجانب الأكبر من رعاياها المسلمين الى أعتبار الترك كمعتدين على الأماكن المقدسة فيزداد تعلقهم بفرنسا لأنها تكافح الترك وحلفائهم وتزيدهم أخلاصا لها . بناء على هذه الاعتبارات قد يكون من المفيد العمل على تنمية الثورة وصبغها بصبغة اسلامية .

(٣)

السيطرة على العالم الاسلامى

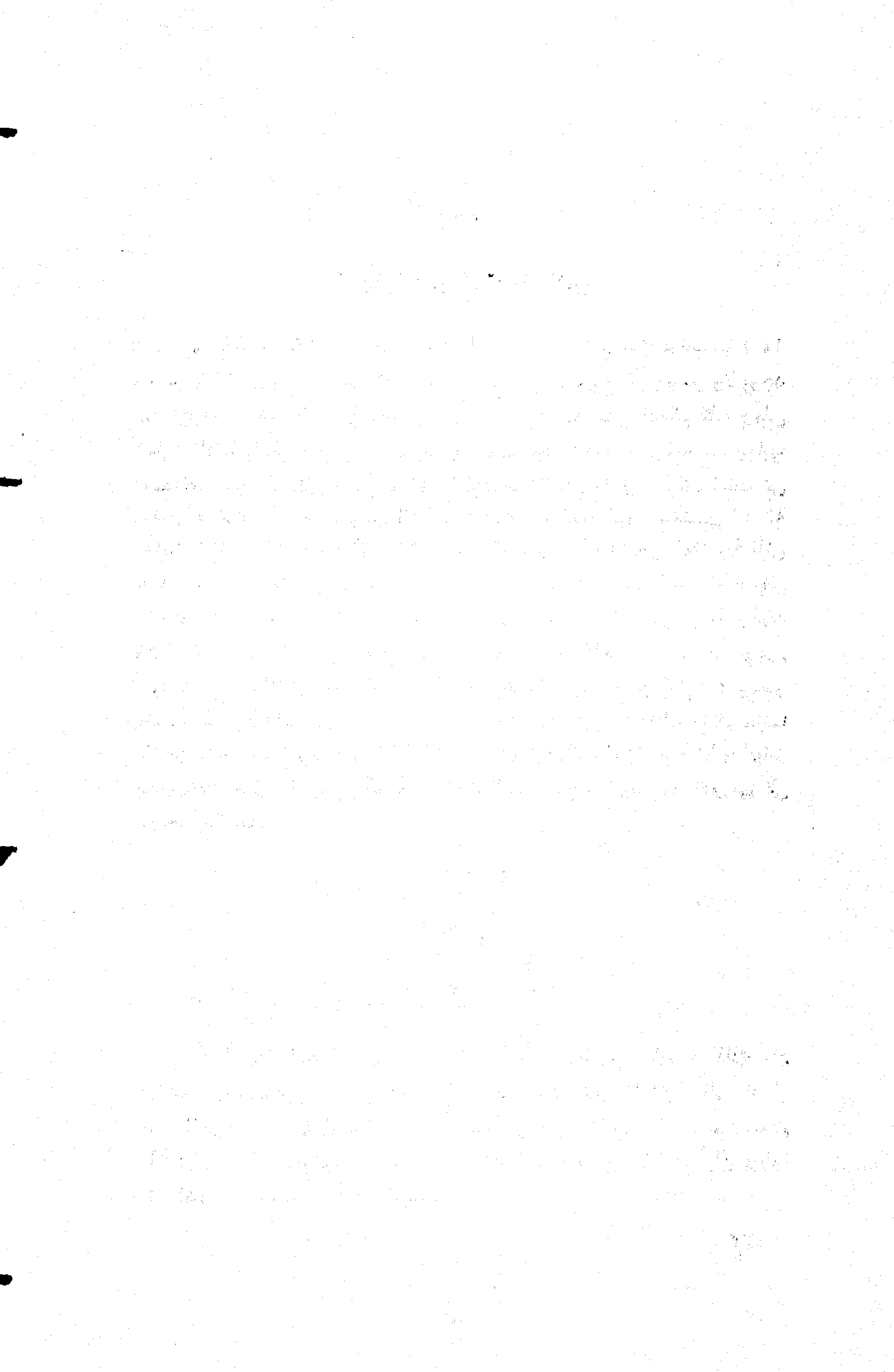
فى خطاب الكاتب الألمانى ليبنتز الى لويس الرابع ملك فرنســا (١٥ مارس ١٦٧٢) أريد ان اتحدث اليكم يا مولاى فى مشروع غزو مصر ولا يوجد بين أجزاء الأرض بلد غير مصر يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى تجارة الدنيا بأسرها وهى تستطيع ان تلعب هذا الدور بسهولة استيعابها لعدد كبير من السكان وبسبب خضرة أرضها المنعدم المثال ، ولقد كانت فى ماضى الأيام مهدا للعلوم ومحرابا لنعمة الله ، ولكنها اليوم معقــل للديانة المحمدية التى تغدر بنا ولأى داع تخسر المسيحية تلك الأرض المقدسة التى تصل آسيا بافريقيا والتى جعلت منها الطبيعة حاجزا بين البحر الأبيــض والبحر الأحمر ومدخلا لبلاد الشرق بأجمعها ومستودعا لكنوز أوربا والهند واذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الامبراطورية العثمانية الا أن الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوربا ، ومصر تكتنفها صحراوات فسيحة فلا يمكن اغاثتها بالجيوش ، ولذلك فانكم حينما تغزون مصر ستقضون على الامبراطورية التركية القضاء المبرم وطالب ليبنتز بحفر قناة تصل ما بيض الأبيض والأحمر لفتح طريق التوســع الأوربى فى افريقيا وآسيا .

* * *

(٤)

قرر المؤتمر الاستعمارى فى برلين ١٩١٠ :

ان ارتقاء الاسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطــر عظيم ، لذلك فان المؤتمر الاستعمارى ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة ، والمؤتمر الاستعمارى يشــير على الذين فى أيديهم زمــام المستعمرات ان يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن يزيلوا العراقيل عن طريق انتشار التبشير .



(٤٨)

بناء هيــكل سليمان

بدأ الاسرائيليون بعد هزيمة ١٩٦٧ الحفر خلف الحائط من جهة الحرم الشريف وفتحوا أنفاقا تحت المسجد الأقصى ومسجد الصخرة .

واعلن الاسرائيليون عن عثورهم على نقود معدنية .

اشترك فى أعمال الحفر ١٢٠ عاملا وجهاز من الفنين ارسل أفنسائها من جوف الأرض عشرة آلاف متر مكعب من التراب .

ورد فى بيان ١٩٦٨/٦/٧ فى صحيفة جيروااليزن بوست

بدأ اليهود فى الاعتداء على حائط المبكى نفسه تل تجاوزه الى داخل الحرم الشريف بزعم أنهم يقومون بحفريات أثرية لاكتشاف أساس هيكلهم الذى دمره الامبراطور الرومانى تيتس عام ٧٠ قبل الميلاد .

يردد زعماء اليهود ان هيكل سليمان سيعاد بناؤه على نفس موقع الصخرة المشرفة فى المسجد الأقصى .

ونشرت مجلة تايم الأمريكية رسما لمشروعهم .

وقد وقع أحراق المسجد الأقصى فى ٢١ اغسطس عام ١٩٦٩ .

كان توقيتا يعرفه كل يهودى وهو يوم احتفالهم بتدمير هيكل سليمان الذى جرى عام ٧٠ من الميلاد .

وهناك اجماع من المؤرخين على أن بنى اسرائيل لم يتركوا فى تاريخهم القديم تراثا حضاريا ولا مدينة زاهرة وانما كان مجتمعهم مجتمعا قبليـا أو مشيخة دينية .

وان النبى سليمان بنى الهيكل على جبل مورنا من جبال أورشليم .

وقدر ما استعمل فى بنائه من الذهب والفضة بألف مليون جنيه حسب النقد الحالى . جاء سليمان بالخشب من ارز لبنان الذى رفع عنه كرها واستخدم ١٤٥ ألف عامل وتم بناؤه فى سبع سنين .

وقد تهدم تماما عندما استولى بختنصر ملك الكلدان على أورشليم عام ٥٨٦ قبل الميلاد واحرقت التوراة ولم يبق لها اثر ونفى بنو اسرائيل الى بابل حيث عاشوا فى الاسر خمسين عاما فلما عادوا بعد استيلاء الفرس عليها قال عزرا أنه عثر على نسخة التوراة المفقودة وقيل أنها توراة جديدة.

ثم شرعوا فى بناء هيكل جديد فى أورشليم عام ٤٤٤ ق . م هدمه بدوره الامبراطور الرومانى تيتوس عام ٧٠ من الميلاد عندما أحرقت أورشليم بسبب ثورة اليهود على حكم الرومان فلما ثاروا مرة أخرى فى عهد الامبراطور اوريانوس عام ١٣٥ م دمرت أورشليم تماما وازيل الهيكل من اساسه وحرثت أرض المدينة حرثا وأقيم مكان هيكل سليمان معبد وثنى باسم جوبيتر رب الأرباب عند الرومان .

ولما اعتنق الرومان المسيحية فى عهد قسطنطين فى القرن الرابع لم يكن لهيكل سليمان أى أثر وفى سنة ٦٣٦ فتح المسلمون فلسطين فأصبحت عربية لحما ودما أى عادت اليها عروبتها فقد كانت عربية منذ فجر التاريخ .

الاسرائيليون يقيمون الآن فى القدس الجديدة نموذجا لهيكل سليمان طوله ٣٦ مترا وعرضه ١٢ مترا وارتفاعه ١٨ . ولكنهم مع ذلك يزعمون أن الجدار الغربى للمسجد هو آخر ما بقى من هيكل سليمان القديم ويسمونه حائط المبكى وهى تسمية سياسية لم تكن معروفة قبل وعد بلفور ودخول الانجليز القدس عام ١٩١٧ وانما يسميه المسلمون حائط البراق نسبة الى البراق الشريف .

★ ★ ★

التوراة مصدر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية :

قال المقاتل الاسلامى غازى الربايعة :

بذل العسكريون الاسرائيليون غاية جهدهم لاخراج ما اسموه بالتاريخ العسكرى اليهودى ، وراحوا بين معارك العبرانيين فى الماضى السحيق وبين الحروب الاسرائيلية العدوانية فى الزمن الحديث ليقنعوا انفسهم قبل غيرهم بأنهم أصحاب مهمة الهية وان ما يقومون به فى هذا العصر ان هو الا امتداد للماضى بكل آلامه وآماله وان الحرب حتمية تاريخية لا محيد عنها لانجاز الرسالة اليهودية .

١ ــ عقد المقارنات بين فرسان داود وسليمان :

تقوم على أن الحق اليهودى هو فى الاستيلاء على أرض الميعاد حتى تؤمن الجنود بشرعية خوض الحرب العدوانية عن قناعة ورضى نفس ويتوفر لهم حوافز ممارسة القتال الضارى العنيف اطاعة لوصايا رب الجنود وتنفيذا للوعد الالهى .

٢ ــ ترشيح تعاليم الديانة اليهودية التى تحض على القتال وتحث على تعدد الموارد والاعداد للحرب وذلك لاعداد الشخصية العسكرية المقاتلة المتمتعة بصفات المباداة والتعرض والمشحونة بالهجوم والرغبة فى القتال .

٣ ــ تنظر اسرائيل على تاريخها فى القرن العشرين على أنه امتداد لتاريخ داود وموسى وشاؤول وان استراتيجية المقاومات والغزوات التى جرت على ارض فلسطين قبل مئات السنين لا تقل أهمية وقيمة عن وقائع التاريخ العسكرى الحديث .

٤ ــ أن الديانة اليهودية تمثل اطارا عاما للنظرية الصهيونية فالتوراة مصدر العقيدة اليهودية منها تنبعث فكرة الخلاص والعودة .

٥ ــ عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة الدينية اليهودية الى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخى مزعوم مستندة الى وعد الهى .

٦ ــ وتزعم الصهيونية انه مثلما حفظ الدين اليهودى الشعب من الاندثار والضياع عبر قرون طويلة فان باستطاعته ليس جمع شمل هذا الشعب من جديد فوق أرض الميعاد بل وباستطاعة الدين اليهودى أن يشكل العروة الوثقى التى تربط بين تراث الماضى السحيق وتطلعات الحاضر وامنيات المستقبل .

٧ ــ يستمد الفكر العسكرى الاسرائيلى جذوره من الصهيونية فاستخدام القتل والقوة والارهاب والعنف هو أساس هذه العقيدة فقد جاء فى التوراة :

* اذا لم تطردوا سكان الأرض من أماكنهم يكون الذين يستبقون منهم أشواكا فى اعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها .

* حين تقترب من مدينة لكى تحاربها فاعرض عليها الصلح فان اجابتك وفتحت لك فكل الشعوب تكون لك للتسخير وتستعين بك واذا لم تساعدك وعملت معك حربا فلتحاصرها واذا دفعها الرب اليك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمها لنفسك .

٨ ــ وهكذا يرسم اليهود سياستهم فى البطش والعنف من التوراة وليس تدميرهم لاريحا فى قديم الزمان وقضائهم على جميع سكانها وحتى البهائم ــ ودير ياسين فى الحديث الا شواهد على البربرية التى يستمدونها من التوراة .

٩ ــ وتذخر التوراة بالايات التى تمضى على هذا السلوك فهى تأمر باستعمال اقصى درجات العنف مع العدو ، وتسوق الكثير من الأساليب الوحشية التى انبعثت فى الماضى كأمثلة تحتذى .

معارك جدعون ضد المدينانيين فى التوراة يدرسها التاريخ العسكرى الاسرائيلى الحديث .

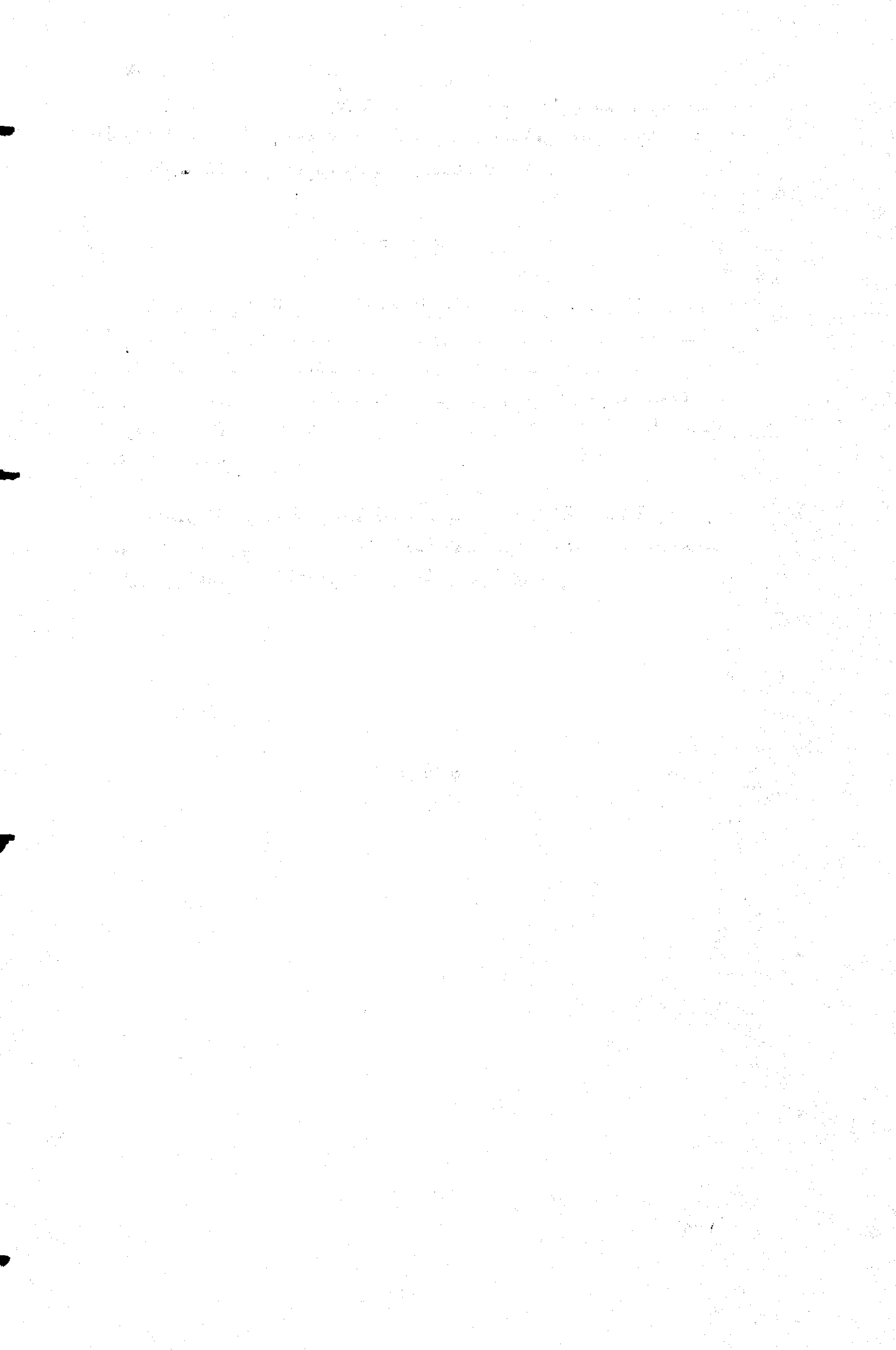
١٠ ـ كتب ديان عام ١٩٦٧ مقالا عن روح المحارب ساق فيه قصة المبارزة الشهيرة التى وقعت بين داود وجالوت ليظهر بعض أوجه الشبه الذى كان سائدا بين العرب واسرائيل صيف ١٩٦٧ .

★ ★ ★

اشارت صحيفة التايمز اللندنية الى ان مجموعة من المخطوطات العربية القيمة يعود تاريخها الى ما قبل ١٢٠٠ سنة موجودة حاليا فى سرداب أحد البنوك بمقاطعة ليكنشتاين الواقعة بين النمسا وسويسرا . وهى اكبر مجموعة مخطوطات كتبت على ورق البردى وانها سوف تزود التاريخ الاسلامى بتفاصيل تتعلق بالفترة التى تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتضم المجموعة الفين مخطوطة منها ٤٠٠ باللغة العربية والباقى باليونانية والفينيقية وغيرها منها واحدة تحمل قرار أحد الخلفاء بتنصيب عامل على احدى الولايات فى القرن الثامن الميلادى .

* * *



(٥٠)

ملاحظات على العهد القديم

أورد أحد الباحثين هذه الملاحظات :

أولا : لا يورد العهد القديم ذكرا لهود وصالح عليهما السلام وهما نبيان يسبقان ابراهيم عليه السلام تاريخيا وهما التاليان لنوح عليه السلام مباشرة ، لا يوجد فى العهد القديم ما يشير الى وجودهما أو نسبهما .

ثانيا : نص العهد القديم على ابراهيم عليه السلام عبرانى (سفر التكوين) وقد أشار القرآن الى أن ابراهيم ليس يهوديا ولا نصرانيا ومن المؤكد أن ابراهيم ولوطا عليهما السلام عربيان .

ثالثا : أبناء يعقوب أثنى عشر منهم يوسف ولاوى — وموسى بن عمران من سبط لاوى ومريم من سبط لاوى وزكريا من سبط لاوى .

وقد استجاب للسيد المسيح أغلب بنى اسرائيل الا سبط يهوذا .. قال المسيح : يا اورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة هوذا بيتكم يترك لكم خرابا .

وقد تعرض بنو اسرائيل للشتات مرتين احدهما قبل رسالة المسيح والأخرى بعده على أرجح الأقوال .

رابعا : بدأ اليهود فى القرن العشرين يشيعون أنهم هم وحدهم بنو اسرائيل وشايعهم فى ذلك النصارى الأميون يذكرون لهم من جمل العهد القديم ما يشير الى اختيارهم ويذكرونهم بما اسموه أرض الميعاد فاعانوهم حتى استوطنوا فى فلسطين ثم فى ١٩٤٩ نشأت الجنسية الاسرائيلية ونشأت تسمية (الاسرائيليين) لتعبر عن مواطنى هذا البلد .

أما بنى اسرائيل فالمقصود بهم نسل يعقوب عليهم السلام .

والسؤال هو : هل الاسرائيليون هم بنو اسرائيل ؟ :

الاسرائيليون يهود فيهم من هم من بنى اسرائيل ومنهم أجناس أخرى .

(٥١)

مملــكة الخــــزر

فى المنطقة الصغيرة المحيطة بمدينة (قازان) حيث كان يقوم ملك التتر القديم ، نشأت دولة (خزريا) ودامت من القرن السابع الميلادى الى القرن العاشر وظل هذا الاسم علما على بقايا مملكة الخزر فى شبه جزيرة القرم الى القرن الثالث عشر وكان ملكها يسمى الخاقان ، واحدهما بولاق الذى اعتنق اليهودية عام ٦٢٠ م أو ٧٤٠ م بعد أن كان قومه من الوثنيين الذين يعبدون عضو التذكير باعتباره رمز الاله الخصيب . ازدهرت مملكة خزريا فى ظل الديانة اليهودية بفضل تجارتها الواسعة على ضفاف بحر قزوين (بحر الخزر) ودخلت فى معارك حربية مع الدولة العربية الاسلامية الناشئة فى عهد يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم حول منطقة القوقاز التى تشـــمل جرجان (جورجيا حاليا وارمينيا) وقد ردهم مروان عنها الى ضفاف الفولجا .

ومن خزريا انحدر يهود روسيا وبولندا وشرق أوربا عامة رهى اول دولة تقوم على أساس واحدة من العقائد السماوية ، أما الدولة الثانية فكانت دولة التتار فى قازان وقد اعتنق ملوكها الاسلام وامتد ملكها الى أواســـط أوربا قبل أن يقضى عليهم أمير موسكو (ايفان الرهيب) فى نهاية القـــرن الخامس عشر وبداية السادس عشر ، لينشىء امبراطورية روسيا المقدسة التى تسودها العقيدة المسيحية والتى أصبحت تعرف بعد الثورة البلشفية ١٩١٧ باسم الاتحاد السوفيتى . أراد خاقانات الخزر تجنب الدولة العباسية فى بغداد والدولة المسيحية فى بيزنطة باختيارهم اليهودية ولو اختـــاروا الاسلام أو المسيحية لكان عليهم الخضوع لواحدة من هاتين . والذى قضى على دولة خزريا هم أمراء كييف الفرغانيون (فرغانة) .

يبدأ مولد الدولة الروسية السلافية ٨٥٥ م استولى أحد الأمراء على قلعة سارا كل الخزرية عامل الخزر بعد ذلك انسحبت دولة الخزر الى شبه جزيرة القرم ودامت فيها ٥٠ عاما .

وليس هناك أى صلة عرفية بين خرريا اليهودية وبين العبرانيين فى فلسطين من دولة خزريا انحدر ٩٢٪ من يهود العالم وكانت أمريكا المهجر الأكبر للخزر بعد أن شرع قياصرة روسيا فى اضطهادهم واجبارهم على اعتناق المسيحية .

★ ★ ★

(٢)

(علاقة البابوية بالصهيونية)

قال القاصد الرسولى (الأب مركولى) من قبل البابا (تيوس التاسع) قال : لقد حدثت تغيرات شتى فى الوقت الحاضر بين اليهود والحكومة الانجليزية وكان من شأن هذه التغيرات أن لعبت السياسة الدولية بمسألة الشعب اليهودى من جديد وبالتالى بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة والبابا ينظر بعين الرضا والارتياح الى مشروعات الصهيونية فى فلسطين وهو يراها مصدر بركلت للسلام العالمى .

ويعتقد البابا بيوس التاسع أنه يحق للصهيونيين أن يحملوا كافة الكنائس الدينية على الاهتمام بأمانيهم على أنى أوكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهى أكبر كنيسة فى العالم تؤيد الصهيونية وامانيها ولم تحسن الصهيونية الاختيار بارتباطها مع بريطانيا وكان الأفضل أن تبحث عن دولة أكثر تدينا .

من كتاب اليهودى العالمى (هنرى فورد) لخصه الدكور على مظهر (الفتح ٣١٣ عام ١٩٢٩) .
من وراء اتاتورك أكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصهيونية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية ومطالبها اعدادا لهدمها من قواعدها .

وقد كتبت عن اتاتورك اقلام صهيونية وأشادت بقوته الخارقة ليكون قدوة لزعماء العالم الاسلامى ولقد كان المثل الأعلى لعبد الناصر .

وقال القاضى ارمسترونج فى كتابه (الخونة) ١٩٤٧ :

ان فكرة قيام عصبة الأمم والامم الاتحدة ويتبعها امبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى

فى بازل عام ١٨٩٧ ، ولقد أعلن الصهيونيون المجتمعون فى هـذا المؤتمر هدفهم الذى يرمى الى اخضاع شعوب المسيحية فى العالم وتأسيس امبراطورية صهيونية يرأسها ملك ، يكون امبراطورا على العالم كله .

* * *

(٣)

هل هو عصر المحاق الاندلسى الجديد

الحكومة العالمية السرية لليهود فى بروكسل والتى يراسها ناحوم جولدمان تحرك دول العالم على رمعة الشطرنج الكبرى ، دون أن تدرى الشعوب ، فرؤساء الحكومات فى عالمنا المعاصر الذى تحكمه أجهزة الاستخبارات العالمية ، ليسوا سوى دمى الشطرنج فوق الرقعة يحركها ناحوم جولدمان وزبانية من وراء الستار فى قلب مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا حيث المقر الأوربى للحكومة الخفية .

وقسمت الحكومة الخفية العالم الى شطرين شيوعى وغير شيوعى وتملك بيدها مفتاح التصادم اذا لزم الأمر ، ومفتاح التحالف والود عند اللزوم وقد مزقت العالم غير الشيوعى الى تكتلات أوربية وكيانات اسلامية وشطرت العالم الشيوعى الى صين وروسيا حيث حارب نصارى أوربا كل منهما الاخر وحيث حارب مسلمو الشرق كل منهما الاخر وقاتل الاميون بعضهم بعضا حيث طوقت الأفعى اليهودية ، العالمية والتقت براسها فى القدس ١٩٦٧ محققة السيادة لهدفها التاريخى للدولة اليهودية فى فلسطين

ويعد كسنجر محقق معجزات توحيد العالم الماسونى وتفتيت بقايا العالم الاسلامى الذى مارس دورا كبيرا فى تعيينه المستشار اليهودى للرئيس الامريكى السابق (روستو) وهو يهودى كذلك من اليهود الذى حرصت الحكومة السرية العالمية على وضعهم فى مكان الاشراف على المخابرات المركزية والمباحث الفيدرالية الامريكية وهما جهازان لهما دور خطير فى تشكيل المناخ السياسى للعالم .

كان العالم أمة واحدة منذ قريب ، وفى مستهل القرن الحالى تحت راية خليفة المسلمين العثمانى الذى حرك اليهود أوربا النصرانية لمواصلة حرب دار الاسلام منذ اقتلاع شجرة الاسلام من الاندلس فحاربت بريطانيا وفرنسا روسيا هذه الدار وفشلوا فى حربها فتحركت الحكومة الخفية

لتصنع من قبيلة الدونمة اليهودية أسرة مسلمة تهيئها بالمال والنساء لامتلاك الأمة فى القسطنطينية وحركت العرب لطعن خليفة المسلمين وحربه وحركت نصارى شرق أوربا للتمرد على سلطان دولة الخلافة وقاد التمرد زعماء .

أسفرت الحركة على خليفة المسلمين عن وقوع العـرب والعجم فى قبضة الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى الذى تحـرك ليلقى بثقله فى نطاق الهجمة الغربية اليهودية النصرانية الأوربية على خلافة المسلمين فسقطت الخلافة وتمزق الجناح الفارسى الى افغانستان وايـران والعراق وبخارى وطشقند وما فـوق البحر الأسـود وحول بحـر قزوين وقبرص .

وقام تكتل أوربى فى مواجهة الفسيفساء الممزقة :

اليونسكو ، حلف وارسو ، حلف الاطلنطى ، السوق الأوربية المشتركة ، وحدة عقائدية ، اتحاد مجلس الكنائس العالمى (ويضم كل أوربا) جهـاز التبشير . أنها أوربا الماسونية صنيعة اليهود وقد وجهها اليهود فى هذه الأيام كى تنطلق فى اتجاه ما تحاصره الافعى اليودية اليوم وتنفث فيه سمومها : العالم الاسلامى ، وقد مارس كيسنجر لعبته فى احداث التقارب الصـينى الأمريكى المعاصر وقبول الصين فى الأمم المتحدة .

اما روسيا فيحكمها اليهود حكما مباشرا (سوسلوف ، كوسـجين ، زاجونسكى) ، وأمريكا التى يحكم مخابراتها اليهودى كيسنجر حكما مباشرا فالروس الذراع الأيمن لليهـود وما يتدرج تحتهم من الدول الشـيوعية والأمريكان وما يتدرج تحتهم الذراع البشرى للحكومة السرية العالمية لليهود .

قال العتيقى وزير المالية والنفط الكويتى : لقد عدت من أوربا وأمريكا وأنا أكثر أيمانا بأن أوضاع العالم العربى سوف تتغير الى ما لا نتمناه ، ما لم تسعى القيادات العربية الى اعادة النظر فى أوضاعها بجدية وتجرد ، على أن يكون هناك تعاون عربى اسلامى بالمعنى الحقيقى .

فهل نعمل على اقامة الحركة الاسلامية العالمية فى مواجهة الحـركة الصهيونية العالمية .

ان صحفنا هى التى تشيد بالالحاد والفسق فينا واذاعتنا كل تحويل تحول عنصرنا البشرى الى عنصر ماسونى .

عبد الرحمن أبو الخير

تاســـــما :

المســـلمون والاســــــتعمار الغــربى

الارساليات التبشيرية

(١)

من كتاب للمستر ماكاب اصدرته شركة هالدمان وبوليوس للنشر

في ولاية تكساس الامريكية عام ١٩٣٢

ان جمعيات التبشير البروتستانية فى الولايات المتحدة وبريطانيا تجمع من التبرعات خمسون مليون ريال فى العام للدعوة المباشرة أو غير المباشرة الى التبشير ، فاذا أضيف الى ذلك ما يجمع من المانيا وهولندا وغيرها ، فان البعثات السنوية تبلغ مائة مليون ريال تقول ان هذا ما ينفق سنويا منذ عشرين سنة على التبشير فكان هذا العمل قد كلف الدول الغربية في هذه الفترة الاخيرة الفى مليون ريال او اربعمائة مليون جنيه . هذا فى عشرين سنة وبغير نظر الى ما انفق منذ القرن السابع عشر .

واذا كانت الهيئات الدينية المنظمة قد كسبت نحو ستة ملايين الوثنيين فى القرن الماضى ، فان الانتشار العظيم الذى فاز به الاسلام لم يكن الا بالاقتناع لا بالهدايا والمنح والمال فالاسلام يعيش فى افريقيا ويقلب كل مبشر .

وقال ان مما ساعد المبشرين فى الهند هو ادماجها فى الامبراطورية البريطانية وفى وسع المبشرين أن يعملوا ما يشاءون يساعدهم على ذلك أن الحكام الوطنين لم يفكروا قط فى تعليم الجماهير فانشا الانجليز الى سنة ١٨٧١ من المدارس والكليات ٢٥١٤٧ منها ٧٢ فى المائة للمبشرين . وبلغت تكاليف التعليم فى ذلك العام ١٥ مليون ريال دفعت الحكومة الثلث وجمعيات التبشير الثلثين ، ومن قامت حركة التبشير بتحويله لم يتحول الا اسما فقط لأن كثيرين ميهم يعودون الى اديانهم الأولى .

وفى الصين كان التبشير مباحا ما دام المبشرون لا يتدخلون فى السياسة ولكنهم اساءوا استعمال هذه الحرية وكثر الفساد بسبب امتيازات الاجانب وقد استيقظ الصين الآن ولم تعد بعثات التبشير أن يعمل فى وسط يكره الاجانب والمبشرين .

ثم يقول : ان الحماسة فى سبيل التبشير ليس لها سند من المنطق لأنها صناعية متكلفة ، وقد قال السير لوجارد فى كتابه (افريقيا الاستوائية الانجليزية) ان الافريقى الذى يعلمه المبشرون لا يعول عليه .

وقال مستر ماكاب ان التبشير كان فى كل حال يريد الاستعمار ودعوته ورسوله وان المبشرين بذروا التباغض بين الشعوب .

* * *

(٢)

كان ابراهيم اول من سمح للارساليات والبعثات الأجنبية بالعمل فى الشام وسمح لطائفة الجزويت الفرنسية بالعودة الى البلاد ١٨٣١ فبادرت الى انشاء المدارس وظلت تواصل جهودها حتى تم لها انشاء جامعة سنت جوزيف فى بيروت عام ١٨٧٥ وانشأت المطبعة عام ١٨٣٤ وبحلول عام ١٨٦٠ بلغ عدد مدارسها ثلاثة وثلاثين مدرسة يؤمها الف تلميذ وفى ١٨٦٦ انشأت الكلية السورية البروتستانية التى تسمت فيما بعد باسم الجامعة الامريكية ببيروت .

وقد اهتم الامريكان باحياء اللغة العربية فى وجه اللغة التركية فلما سقطت الدولة العثمانية تحولت برامج الدراسة الى الانجليزية ، عملت الارساليات على ما اسمته التحرر من الظلم العثمانى فانشئت عام ١٨٨٠ جمعية سرية تضم ٢٢ اسسها شاب مسيحى دعا فيها الى القومية العربية وكانت التربية الأوربية التى يرددونها الطلاب بمدارس البعثات الفرنسية قد اجتذبت عدد من العرب المسيحيين وقلة من المسلمين المتفرنجين المتحررين من تقاليدهم الثقافية .

* * *

(٣)

من الشروط التي اشترطت على العراق لكى يلتحق بعصبة الأمم عام ١٩٣٠ أن يتكفل بحماية البعثات التبشيرية في الشرق .

* * *

(٤)

معاهدة لتـران

عقدت معاهدة لتران بين الفاتيكان والدولة الايطالية فى ١٠ فبراير عام ١٩٢٩ وتقرر بمقتضاها ان تدفع الحكومة الايطالية ٧٥٠ مليون ليـرة ايطالية كتعويض عن حقوقها المالية التى توقفت منذ ١٨٧١ عندما وقع الخلاف بينهما وكذلك على ربح قدره ٥ فى المائة لقرض اسمى قدره ثلاثة مليارات ليرة تصدره الحكومة الايطالية .

صرح الكردينال جسبارى كبير البطارقة ان الفاتيكان تعتزم أن تستخدم القسم الاكبر من هذا المال فى تقوية نفوذ الكنيسـة المعنوى وبث الدعـوة الكاثوليكية وتقوية البعثات التبشيرية فى المشرق وافريقيا .

* * *

(٥)

تقرير القس زويمر عام ١٩٢٧

* ان هدم الاسلام فى نفوس المسلمين له اهمية كبرى فى شيء واحد هو مثول الفكر الغربى كصديق دولى وان أول ما يجب عمله للقضاء على الاسلام هو ايجاد القوميات .

* ان الغرض من التبشير قتل الاسلام لاستبعاد المسلمين .

* ان الغاية التى نرمى اليها هى اخراج المسلم من الاسـلام فقط ليكون اما ملحدا أو مضطربا فى دينه وعندها لا يكون مسلما أى لا يكون له عقيدة بدين .

* يجب ان يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من بين صفوفهم لأن الشجرة يجب ان يقطعها احد اعضائها .

(٦)

من تقرير اللجنة الثالثة لمؤتمر التبشير فى ادنبرج عام ١٩١٠

اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطان العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التى أسسها الاوربيون كان لها تأثير على المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها .

وقال كلمنصو (الزعيم الفرنسى) : ان راية الثورة الفرنسية تحقق الآن لمساعدة المبشرين الذين اشتهروا بالقتل والنهب .

(٧)

كانت الارساليات التبشيرية ومعاهدها التى اقامتها فى (مصر — استانبول — بيروت) عاملا من العوامل الهامة فى تركيز نفوذ الاستعمار وقد ظهرت وثائق كثيرة تكشف عن الدور الذى لعبته الجامعة الأمريكية فى بيروت فى خدمة الاستعمار الثقافى والمصالح الامريكية فى المنطقة . ومنها كتاب السيناتور هربرت همفرى تحت عنوان «الشرق الأوسط وأوربا الجنوبية» يقول فيه : ان احد الاسباب الرئيسية للتخفيف من متاعبنا فى الشرق الأوسط انه منذ نحو مائة عام وخريجو هذه الجامعة منتشرون فى العالم العربى وكثيرون منهم فى مراكز هامة .

وتقــول مجلة وول ستريت (١٩٧٣) ان المســاعدات الحكومية الى الجامعة الامريكية فى بيروت بلغت ١٠٧ مليون دولار خلال العشرين ســنة الاخيرة وان اهمية هذه الجامعة تقاس بحجم خدماتها الى صناعة النفط فى هذه المنطقة .

وقال ينحمين فيلبى : فى محاضرة له بالجامعة الأمريكية فى بــيروت (١٩٥٧/١٠/٢٠) المحقق أن هذه المؤسسات (الجامعة الأمريكية فى بيروت والقاهرة واستانبول) قد لعبت الدور الرئيسى فى تنمية الفكر الشخصى لدى طلابها الذين تمكنوا من قيادة الحركة القومية ومن المهم ايضا ان نعرف أن النفوذ التربوى الوحيد الذى تعرض له الطلاب العرب فى القرن الماضى كان النفوذ الغربى وتوجد سبع جامعات امريكية فى الشرق) بخلاف المدارس والبعثات الدينية) اعتمادها ١٥ مليونا من الدولارات .
واشارت وثيقة هامة الى أن اكثر من ٦٠٠ زعيم سياسى فى العالم اختارهم البرفسور هنرى كيسنجر لزيارة جامعة هارفارد حين كانوا شبانا بالتعاون مع المخابرات الأمريكية من اجل تسليط الضوء يمكنهم ونهبئتهم للمشاركة فى حكم بلادهم منهم جيسكار ديستان الرئيس الفرنسى الحالى وايجال الــون وبعض العرب ممن تولوا مسئوليات رسمية ضخمة او مسئوليات اعلامية .

ويقول نبيه امين فارس : لقد حاولت اوربا عن طريق الكلمة ما عجز اجدادها الصليبيون عن طريق السيف . تنشد اخضاع العالم كله للمسيح ، الوصــية التى ســجلها اول المبشرين : اذهبــوا وتلمذوا جميــع الأمــم وعمدوهم باسب الاب والابن والروح القدس علموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به ـــ متى ٢٨ ـــ هذا من كلام بولس وليس من كلام السيد المسيح الذى قال انه جاء لخراف بنى اسرائيل الضالة وحدهم .

وتقول جريدة التايمز ١٩٧٩/١/٢٢ ما يلى :

ان الجهود التبشيرية المسيحية لم تحقق فشلا ذريعا فى أى مكان كما حققت فى مواجة الاسلام . أما فى الصعيد السياسى فغالبا ما اتخذ الامريكان الايديلوجية القومية العلمانية وكانت القومية من هذا الطراز خلفا للاستعمار فى أكثر الاقطار الاسلامية ولكنها تبدو الآن فى انهيار لقد خفت ومضتها نتيجة توليها السلطة وبعجزها عن تحقيق الفوائد المادية التى بدأ أن الاستقلال يعد بها ، وفشلت لانها ضحية تناقض داخلى فهى تدعى بمحاربة النفوذ الغربى الذى جاءت هى نفسها ناتجا له ، واذا كان لهوية الأمة الاسلامية أن تتأكــد فمن المؤكد أنها لن تقتنع بدولة قومية علمانية اذ يجب اعادة النظام الاسلامى الذى يحكم بالقانون الالهى .

(٥٤)

احتلال موانى الاسلام

ما ان تحررت البرتغال من الحكم بالاندلس وكونت مملكتها الصغيرة على شاطىء الاطلنطى وبايحاء من هنرى الملاح (١٣٩٤ — ١٤٦٠) حتى أخذ ملاحوها يستكشفون الشاطىء الافريقى من المحيط الاطلنطى مولين وجوههم نحو الجنوب .

لا شك ان جل مآرب هنرى كانت متواصلة عمل الصليبيين بمحاولة الالتفاف حول ديار الاسلام وحصرها من الوجهين الحربية والتجارية مع انتزاع تجارة الذهب وغيره من حاصلات افريقيا الغربية من يد المسلمين . ثم الاتصال مما وراء الصحراء الكبرى جنوبا بنجاشى اثيوبيا (دير سترجون) والاشتراك معه فى مهاجمة المسلمين من الجنوب ، وقد يكون قد قصد أيضا فى أواخر عهده الى استيلاء البرتغال على تجارة الهند التى كانت اكبر مورد لثراء العالم الاسلامى .

واصل التقدم خلفاء هنرى حتى رأس الرجاء الصالح ١٤٨٨ بعد عشر سنين من ذلك سار فاسكودى جاما ازاء شاطىء افريقيا الشرقى حتى بلغ مدنه الاسلامية ، هناك استصحب مع احد الهنود المسلمين العالمين بسلوك البحر فوصل به الى جنوبى الهند (أحمد بن ماجد) ثم تتالت بعد ذلك الحملات التجارية البرتغالية على مراكز المسلمين بمدينة (قالبقوط) .

وكانت السفن البرتغالية المعدة لسلوك المحيطات والمزودة بمهرة الملاحين كانت فوق طاقة السفن الاسلامية وملاحيها .

وتحولت معظم التجارة الى رأس الرجاء بعد أن كان الى البحر المتوسط .

أما القائد البحرى البوكبرك فقد بلغ به الأمر أن فكر فى تحويل مجرى

اعالى النيل الى البحر الاحمر ، استولى البرتغال قبل ١٥١٥ سقط وهرمز والبحرين .

وورث الانجليز والفرنسيون البرتغال مع اعتناق نفس المفاهيم الاستعمارية وتوسيعها . وفى ١٥٩١ قامت ثلاث سفن انجلبزية فى رحلة الى الشرق الاقصى عن طريق الراس وقتئذ ان كانت قوة البرتغال آخذة فى الهبوط . فى خلال ذلك كان الهولنديون قد انتزعوا استقلالهم من اسبانيا ١٥٨١ وأخذوا يعدون العدة لخوض غمار المشروعات التجارية وعام ١٥٩١ قاموا ببعض حملات تجارية ناجحة الى جزر الهند الشرقية .

وعمد الاستعمار الى استغلال الخلاف بين فارس وتركيا ووقفت انجلترا مع فارس واوفد الشاه عباس الأكبر (١٥٨٧ — ١٦٢٩) إلى العواصم الأوربية سفراءه للبحث عن حليف لفارس ضد العثمانيين ولايجاد علائق تجارية معها .

* * *

يقول محمد كرد على : ا ن مصر ذكرت فى القرآن فى اربعة وعشرين موضعا منها ما هو صريح اللفظ ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير ولم يقع مثل ذلك لمصر من الامصار وقد عثر المتاخرون فى اللغة المصرية القديمة على الوف من الألفاظ العربية .

* * *

(٥٥)

افريقيا والعالم الاسلامى

أولا : ان علاقة العرب المسلمين مع افريقيا علاقة قديمة منذ انتشر الاسلام فيها من أوائل التاريخ الاسلامى ، لكن الاستعمار الغربى فصل افريقيا وقطعها عن العالم العربى بوضع حواجز اصطناعية ومؤامرات لتعميم العقول والاقطار بايراد النزعات القومية واثارة الكراهية ضد العرب والدعاية الكاذبة ضد الاسلام وبتقلص الاستعمار عن القارة الخضراء وقد بدأت الحياة تعود الى طبيعتها وبدأ الاسلام يلعب دوره فيها رغم استمرار مكائد التبشير المسيحى ومؤامرات الاستعمار .

ثانيا : ان هناك مجموعات مسيحية تسيطر على معظم عناصر الثروة فى افريقيا بما فى ذلك بعض الدول المسلمة ، ولقد كان للتدبير الفرنسى اثر كبير فى جعل المجموعات المسيحية تسيطر على ١٣ قطرا من بين ٢٣ قطرا مسلما تشكل الأغلبية بالنسبة لدويلات القارة الافريقية . .

وفى الماضى كان يحكم القارة البريطانيون والفرنسيون والعلوم يحكمها مبشرون مسيحيون ومجندون من المرتزقة . .

والسنغال نسبة المسلمين فيه ٩٥٪ ولكن الادارة والاقتصاد والسياسة فى يد حفنة قليلة من المسيحية ، وفى نيجيريا سلطة أقلية مسيحية هى قبيلة الايبو على اغلبية مسلمة من قبيلتى الهوسا والفولانى .

ثالثا : قول دوفور دولايكويدى : فى كتابة الاسلام والبعثات الكاثوليكية فى افريقيا :

إن التجارب قد حققت لنا ان المسلمين الذين فى ممتلكاتها فى افريقيا لا يصيرون ابدا رعايا مخلصين لفرنسا ان لم يصيروا مسيحيين فعلى هذا قد تضافرت شهادات القسوس المبشرين والاشخاص العالمين الذين عرفوا الاسلام حق المعرفة .

رابعا : فى أرتيريا والحبشة يكون المسلمون الاغلبية ولكن ليس فى أيديهم من الامر شىء ، ويواجهون ضغطا متزايدا من المبشرين المسيحيين ويشجعهم على ذلك المستشارون الاسرائيليون فى المملكة الحبشية ، بغية زعزعة الثقة فى نفوسهم واضعاف روح الاسلام لدى ناشئتهم واعظم ميدان نجح فيه أعداء الاسلام هو ميدان الملاجىء والدور التى تتولى تنشئة اطفال المسلمين من الايتام .

خامسا : هناك حقيقة واضحة هى ان الاستعمار يعمل فى البلاد الافريقية على تحويل المسلمين الى المسيحية عن طريق التعليم فلا يدخل الجامعة الا من كان نصرانيا ويعلم الدين المسيحى فى مختلف مراحل التعليم ، ورئيس الدولة مسيحى من عائلة مسلمة ، وقد استخدم الانجليز : القاديانية والاحمدية الى غينيا وبها (٤٥ مليون مسلم) لكى يزيلوا من نفوس الناس مفهوم « الجهاد » وقالوا : نحن صنعنا القاديانية لهذا الغرض وفى أوغندا كان يوجد ١٤٠٠ قسيس ومبشر هم الذين اخرجهم عيدى امين .

قال تشرشل فى كتابه حرب النهر : لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم القرآن على نحو من الضعف صرفهم عنه ولذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعوته الى الغاء الجهاد .

سادسا : لأنهم يخشون انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء لهذا رسم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الأحمر الى المحيط الاطلسى حيث يبتدىء بارتيريا (الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان واوغندا وتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا الى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين : نيجيريا وبيافرا وقد فشل المخطط الاستعمارى وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء أخطر علينا من الف قنبلة ذرية » .

سابعا : قامت الطرق الصوفية فى أفريقيا بدور كبير من مقاومة الاستعمار عندما تزال بافريقيا فى القرن التاسع عشر فى جهات نيجيريا ، وتذكر جهود عثمان وانفيديو من كبار المصلحين المسلمين وقاوم الاحتلال الأوربى فى جهات السودان الفرنسى وشمال افريقيا والمغرب وتونس

والجزائر وليبيا ، وقد قامت الحركة الوطنية على أيدى الجماعات الدينية الاسلامية وكلها متأثرة بالدعوة الوهابية التى وصلت الى الهند وكان لها تأثير كبير فى مقاومة الاستعمار البريطانى .

ثامنا : كتب العالم الالمانى : بونكر فراسة فى ثلاثة مجلدات قال عنها الدكتور محمد صبرى السربونى قالت عنها دوائر المعارف أنها توجب نتيجة عظيمة وهى اكتشاف نهر الأوله أحد روافد الكونجو الأعلى، ونعترف نحن العرب بأنها خير دراسة لبلاد أعالى الكونجو ، الذى يؤلف الان الجزء الشمالى من الكونجو وكانت وقت رحلة بونكر ١٨٧٥ — ٧٦ تابعة لمديرية خط الاستواء وجزء من السودان الجنوبى ثم استولى عليها البلجيك كما استولوا على نصف بحيرة البرت نيانزا التى كانت تخفق عليها راية العربة المصرية السودانية ولكن بونجر لم يكتشف نهر الاولة كما زعموا انما اكتشف أنه من روافد نهر الكونجو حيث كان كبار العرب أمثال على كوبو وعبد الله يعيشون على ضفاف هذا النهر ، وكان للضابط المصرى حواشى منتصر محطة هناك باسم على الاوله . وكان كبار تجار العاج من مصريين وسودانيين (كالشيخ احمد العقاد وغطاس وعن العمد والزبير) قد أوغلوا فى بلاد نيام نيام ومونبوتو وغيرها من مناطق أعالى الكونجو وانشأوا فيها محطات نظامية كانت مراكز تجارة ومدينة وبفضل أولئك التجار كانت اللغة العربية أخذة فى الانتشار فى أواسط أفريقية وراء خط الاستواء فى إتجاه نهر الكونجو .

وكان الزنوج وكبار سلاطينهم يتكلمون العربية ويلبسون اللباس العربى والطربوش وكان هذا شأن العرب الوافدين من زنجبار فى أوغندة وشرق الكونجو حيث اسسوا هناك دولة كبيرة ومدينة مزدهرة فى النصف الاخير من القرن ١٩ فكانت أواسط افريقيا كلها يعمرها عرب السودان ومصر من الشمال وغرب زنجبار من الشرق مما دفع انجلترا وبلجيكا والمانيا إلى التامر على الاستيلاء على مصر واشغال الثورة فى السودان ومحاربة عرب أوغندا والكونجو حربا ضارية وما كان بومكو وأمثاله فى الواقع الا عملاء للاستعمار وجواسيس لاستطلاع احوال البلاد التى تغلغل منها النفوذ الغربى تمهيدا لتطويقها وعمروها بالسيف والمكيدة .

تاسعا : فى ١٩٢٢ ظهر كتاب فى ثلاثة مجلدات لعالم لغوى من علماء جامعة هارفارد اسمه ليوونير عنوانه (افريقية وكشف أمريكا) : اثبت مؤلفه فيه وجود كلمات عربية فى لغات هنود أمريكا ، عندما درس لغة هنود أمريكا

كما دونها المرسلون اليسوعيين ، فى عهد القائد الاسبانى الذى فتح المكسيك ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التى يستدل بها على الشعوب التى اتصلت باولئك الهنود وجد فيها كثيرا من الكلما ت الانجليزية والاسبانية والفرنسية والانجليزية ، واقدم من هذه كلها كلمات عربية ترجع اقدم هذه الكلمات الى عام ١٢٩٠ الى قرنين قبل وصول كولومبس الى امريكا .

فى ابريل ١٩٦١ — اثبت عالم النبات الصينى ؛ أن الملاحين العرب قد عبروا الاطلنطى قبل كولمبس بثلاثة قرون ، اعلن هنرى نظريته فى المؤتمر الحادى والسبعين بعد المائة للجمعية الشرقية الامريكية بعد أن قضى زهاء ثمانية اعوام يتتبع انتشار السلع الزراعية والنباتية وانواع الحيوان .

استند هنرى الى وثائق مخطوطة فى الصين يرجع عهدها الى القرن الثانى عشر والثالث عشر وقد ورد فيها اسم مدينة (مولان بى) على الساحل الشمالى لامريكا الجنوبية .

وقد اثبتت الوثائق أن العرب الذين قاموا قبل عام ١١٠ م من الطرف الغربى للعالم الاسلامى من ميناء الدار البيضاء ، على وجه التحديد ورسوا فى عدة مواضع على ساحل الامريكى .

عاشرا : فيما بين سنتى ١٨٦٠ الى ١٨٧٠ هاجر الى أمريكا ثلاثة ملايين من الافريقيين ثم تبعهم ١١ مليونا فيما بين سنتى ١٨٧٠ — ١٩٠٠ ثم تبعهم ٩ ملايين بعد الحرب الأولى ، وكان عدد سكان الولايات المتحدة ٣١ مليونا يبلغ عدد السكان عام ١٩٢٦ — ١١٢ مليونا وعدد الزنوج ١٢ مليونا .

يقول الدكتور مدثر عبد الرحيم : شاركت اطراف ثلاثة فى تلك العمليات المخزية : الرأسمالية الأوربية الناشئة التى كانت تعد السفن لغزو الشواطىء الافريقية الغربية من اجل اختطاف الألوف من أهلها أو ابتياعهم ثم حملتهم عبر الاطلنطى للعمل — والموت ايضا — فى مزارع القطن والسكر فى جزر الهند الغربية والى الولايات المتحدة وقد كانت هذه بدورها تصدر السكر والقطن الى أوربا الغربية مغذية بذلك رأسماليتها الناشئة . هذه التجارة الشنيعة لم تؤد لهدم حياة الملايين من الزنوج الافريقيين وانزال اقسى ضروب العذاب بهم ويذويهم فحسب ، وانما أدت كذلك الى تغذية روح الهنجهية العنصرية عند الاوربيين واقرانهم الامريكيين كما ادت الى انزال الزنوج من اسفل منزلة

من منازل السلم العنصرى الذى صاغته عقليـــة المستعمرين الاوربيين اذ تصوروا انهم فى قمة الهرم وخلاصـــة العالمية ثم رتبوا الأمم والشـــعوب دونهم مراتب جعلوا ادناها الزنوج الافريقيين وليس هذا فحسب ، بل ذهب الشطط ببعض العنصريين الاوربيين الى حد زعموا فيه ان الزنوج ليســـوا بشرا البتة وقالوا : ان الزنجى ليس له روح فهو اذن على أحسن الفروض وحشى ، كما قال الحاكم العالم للسودان فى مؤتمر ١٩٠٥ .

* * *

لم تكن الفتوح العربية حركة توسعية ولا حرب صيلبية ضد المسحية وانما كانت رسالة تمدنية لا تهدف الى اى لون من الوان الادماج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجههم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام ١١٩٩ على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر أن يحميه ضد البابا مقابل جزية سنوية واعتناق الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعب ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لأن اريحيته ابت عليه استغلال الضـــائقة السياسية التى كان الانجليز يتحبطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٥٦)

روح التعصب الغربى ضد الاسلام

كلما تنامت علامات اليقظة فى العالم الاسلامى فى طريقه الى امتلاك ارادته فان هنـــاك محاولة صهيونية خطـــيرة تحاول أن تثير روح التعصب وابتعاث خيوط من التاريخ لاثارة الغرب ودفعه الى التشكيك للحيلولة دون تمكين المسلمين من تحقيق ارادتهم ، واقامة مجتمعهم الاسلامى الاصيل ، ومن هنا تجرى المحاولات المتصلة لتسليط مخططات التغريب والغزو الثقــافى على المسلمين ، للحيلولة دون تمكينهم من الحركة الصحيحة ، وحرمانهم من امتلاك مقدرات العلوم والتكنولوجيا ، وتبدو روح الحقد والكراهية واضحة فى كتاباتهم التى حين تتعرض لتاريخ الأمة الاسلامية ترسم صوراً مسمومة طافحة بالانتقاص .

على ذلك النحو الذى نراه فى كتاب « الطريق الى السويس » أرسكين تشايلدز أو كتابات جلوب ولورنس وفيلبيى ، أو ما كتبه القس وليام جراهام عضو البعثة التبشيرية الانجليزية البروتستانية اذ قال سنة ١٨٥٤ : لو لم يتمكن هذا الشعب من تحطيم الاغلال الفكرية والبدنية التى تكبله فسينطلق من شعوب الشرق المتبلدة قوة دافعة هائلة تستطيع من طريق العلم والأدب والثقافة أن تمهد الطريق الى مستقبل مشرق .

ويعلق الغربيون اهمية كبيرة لتلك المدرسة التى تأثرت بالافكار الغربية ويرون أنها عاملا هاما يحول دون تمكين العالم الاسلام من استرداد قوته ، وهم يعلمون أن هذه المدرسة قد فشلت فشلا ذريعا ، وان مفاهيمها سقطت، وان مدرسة الاصالة قد تشكلت على انقاضها ، وان كل النظريات الوافدة التى قدمتها مدرسة الاستشراق والتبشير والتغريب ســـواء حول الثـــورة الفرنسية أو عظمة الرجل الأبيض ، أو غيرها من نظريات قد تحطمت وأن مفهوم القومية الغربى الوافد لم يتمكن من تحقيق أى هدف لأنه لم يلبث أن تبين معارضته لمفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام ، وأن الشخصية التى

صاغوها عن طريق مفهوم الديمقراطية أو الليبرالية ، أو الاقليمية قد حققت فشلا ذريعا ، كذلك فان القانون الغربى الذى فرض على العالم الاسلامى بديلا للشريعة قد تكشفت عيوبه وعوراته وعاد المسلمون من جديد يلتمسون مفاهيمهم الأصلية .

يقول الدكتور ابراهيم سلامة : لقد اشترع الغرب نظرية سياسية مازال يطبقها فى منطقتنا منذ حركة محمد على الكبير الذى ما كادت أساطيله تهدد الاستانة حتى أسرعت دول الغرب التى كانت تشجعه وعقدت مؤتمر برلين عام ١٨٤٥ حيث وضعت نظرية (توازن القوى فى الشرق الأوسط) أى عدم السماح أو عدم تشجيع قيام أى قوة ذاتية متفردة فى الشرق الأوسط مهما تكن الظروف والنتائج . وهكذا يمكن فهم وتفسير حالات العداء التى اظهرها الغرب الأوروبى والشرق الروسى لليقظة العربية الاسلامية منذ نيف ومائة سنة ، ومن هنا يمكن فهم وتفسير تسارع الدول الكبرى فى نهاية الاربعينات الى تشجيع قيام اسرائيل وامدادها .

ان لقاء القمة بين برجينيف ونيكسون لا تخرج فيما يتعلق بالمسألة الشرقية عن أسلافه مؤتمر برلين عام ١٨٤٠ وفرساى ١٩١٩ ويالية ١٩٤٥ من حيث استمرار وتأكيد سياسة توازن القوى أى ضرورة بقاء اسرائيل .

ويصدق فى هذا ما قاله بعض الباحثين من أن رواسب الحروب الصليبية لا تزال حية فى اذهان الدول الأوربية برغم مرور زهاء ثمانية قرون على هزيمة الصليبيين .

ان أسلحة حلف الاطلنطى كانت تتدفق على فرنسا فى حربها مع الجزائر وعلى هولندا فى حربها مع اندونيسيا وقبل حلف الاطلنطى كانت الاسلحة تتدفق على ايطاليا فى حربها مع ليبيا وعلى أسبانيا فى حربها مع الريف المغربى ثم على اسرائيل فى حربها مع العرب .

وهكذا فان الصليبية الدولية تجند كل القوى ضد الاسلام ولا سيما الشيوعية مادام الهدف هو توجيه ضربة للاسلام .

ومن ذلك إن البابا المسيحى أصدر تعليماته الى الطلاب المسيحيين

بالانضمام الى التكتلات الشيوعية داخل الجامعات . ولقد كان الفاتيكان ممثل المسيحية خلال حرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب وقف مؤيدا لاسرائيل ومتهما العرب بالبربرية وتجاهل ما فعله اليهود بالغرب فى اللد والرملة ودير ياسين والمعروف أن الشيوعية والصليبية كانتا وراء قيام اسرائيل .

وتقول كتابات، كثيرة : أن الغرب المسيحى قد زرع كيانا صهيونيا يهوديا بهدف التخلص من شروره وبهدف وضعه ككلب حراسة فى هذه المنطقة لحراسة الاماكن المقدسة سواء اكانت أديرة المارون التى يزورها زعماء المارون أم كنيسة القيامة وغيرها من المقدسات المسيحية التى لن يجد الصليبيون الجدد حرجا من زيارتها .

ومن مؤامرات انجلترا أنها وانها كانت تعادى الاتراك العثمانيون بحثت عن خصوم شرقيون لهم فلم تجد الا الدولة الصفوية فى فارس التى كان بينها وبين العثمانيين حروب اكتست بلباس الدين لأن الصفويين شيعة امامية والعثمانيون سنة لذلك ترددت السفراء بين الصفويين والانجليز واستعان بهم الصفويون فى تنظيم جيوشهم ، من ذلك أن كنيسة الحمراء تقرع نواقيسها أربعا وعشرين ساعة قرعا متداركا فى ثانى يناير من كل عام ابتهاجا بجلاء المسلمين عن الاندلس الـ ١٠ يناير عام ١٤٩٢ وهى من الساعات الفاصلة فى مجال التاريخ حيث بدأت ضربات المدافع من ابراج الحمراء داعية ملك الأسبان فريدنياند الى تسلم زمام الحكم الحمراء غرناطة بعد أن غادرها الملك أبو عبد الله وهي ما يطلق عليها « زفرة العربى » .

* * *

(٥٧)

الحرب الصليبية التاسعة

يرى الاستاذ محمد الفرحانى ان الحرب الصليبية الاوربية التاسعة بدأت مع مطلع القرن السابع عشر حينما جاء الهولنديون كتجار الى اندونيسيا وما لبثوا ان ظلوا فيها مستعبدين أهلها ومستنزفين ثرواتها حتى تم اجلاؤهم عنها عام ١٩٤٩ بعد سنوات مريرة من الكفاح والجهاد .

وفى القرن الثامن عشر تمكن الانجليز بالوسيلة نفسها من احتلال الهند ومن ثم التوصل عام ١١٥٧ الى خلع آخر اباطرتها المغول المسلمين .

وفى ذلك الوقت نفسه استولت روسيا على (ازوف) و(شبه جزيرة القرم) من املاك الدولة العثمانية ثم على (بيسيريبا) فى القرن التاسع عشر الذى احتل فيه الانجليز جنوب الجزيرة العربية وساحلها الشرقى ثم مصر والسودان كما احتل الفرنسيون شمالى افريقيا وبعض أواسطها . وفى مطلع القرن العشرين استولت روسيا على الولايات العثمانية المسلمة : ازربيجان وتركمانستان ، وأوزبكستان ، وقيرغزستان ، وقازاخشتان وادغستان ، وما لبث الانجليز أن احتلوا فلسطين وشرق الاردن والعراق بينما احتل الفرنسيون سوريا ساحلها وداخلها واخيرا لا اخرا توج الاستعمار الصليبى الحاقد مؤامراته ضد الاسلام والمسلمين بالغاء الخلافة الاسلامية فى الاستانة .

واذا كانت الحرب الصليبية التاسعة اتخذت هذا الطابع الاحتلالى الاستعمارى فان ذلك لم يدم فى أكثر من هذه البلاد طويلا فقد قامت الحركات الاسلامية تخوض معارك التحرير الكبرى واضطرت الصليبية الحاقدة بعد الحرب العالمية الثانية الى انهاء سيطرتها السياسية على دويلات العالم الاسلامى ، غير أن الخروج المادى للصليبية الحاقدة لم يكن يعنى نهاية حربها ضد الاسلام والمسلمين بقدر ما كان يعنى تغييرا فى الاسلوب والسلاح وتمثل ذلك فى الفئات التى أعدها لها الصليبيون منذ القرن التاسع عشر ،

حتى اذا انسحب من بلاد الاسلام وضعها في مراكز السلطة والتوجيه ، تحقق في ظل شعارات واهية ونظريات خادعة ، ما كان الصليبي نفسه يعجز عن تحقيقه ابان احتلاله .

ولقد كرست تلك الفئات في استيراد الشعارات من الشرق ومن الغرب وعملت بكل ما تتلقاه من عون ودعم على سلب الشعوب هويتها الاسلامية واثارة الثغرات الطائفية والعصبيات حتى كانت هزيمة الخامس من حزيران التي فجعت كل مسلم غيور في اعز مشاعره وانبل احاسيسه .

وتؤكد ان الشرق والغرب في سياسته تجاه البلاد الاسلامية انما يمارس لعبته الصليبية موزعا الادوار بين بعضه البعض بقصد تحقيق مكاسب خاصة لكلا المعسكرين . ولقد كانت نكسة الخامس من حزيران نتيجة مخططات مراكز التامر الصليبي في الشرق والغرب ، ولا ننسى ان الاستعمار الصليبي لم يسقط من حسابه قط ولم يغفل عن ان الروح الاسلامية صخرة صلدة شديدة المقاومة لأى مد استعماري ، وانه لا مفر من تحطيم هذه الصخرة أو زحزحتها اذا ما ارادوا لاستعمارهم تنفيذ اغراضه ، ولا عبرة لما يقوله بعض المخدوعين من ان أوربا لا يهمها أمر الدين في كثير ولا قليل وانها لا تراه مصدر قوة ولا تخشى من العالم الاسلامي الا قوته المادية ، فالدين في حقيقته قوة روحية لها حسابها في تجديد القوى المادية فضلا عن ان الاسلام — هو غير المسيحية — فهو يأمر باعداد القوى المادية ويحض على المقاومة والكفاح ويتوعد المستسلمين والمستضعفين بسوء المآل في الدنيا والآخرة .

ومن ذلك فان إندونيسيا لم تكد تشعر بفرحة انتصارها على الشيوعية حتى نشطت الطوائف والارساليات التبشيرية لمحاربة الاسلام ونشر الفساد بين المسلمين ، ثم ذلك العدوان الشيوعي الهندوسي على الباكيستان عام ١٩٧١ وكذلك نيجيريا التي تعرض العمل الاسلامي فيها لاجهاض كاد أن يقضي على كل اثر للنشاط الاسلامي لولا ارادة الله في ان تبقى نور الاسلام في ذلك البلد المسلم وذلك عندما عمد الصليبيون الحاقدون الى اغتيال زعيمي النشاط الاسلامي الشهيدين ابو باكر باليوا واحمد ويللو .

* * *

(٥٨)

اخطاء الاستشراق

ان مصدر اهتمام الاستشراق بالعالم الاسلامي ووضع المؤلفات المريضة عنه هو انه واقع فى قبضة استعمارهم ، فهم يدرسونه ليفحصوا نفسية هذه الأمة ليكيفوا موقفهم منه او تدريس مقوماته وقيمه مستهدفين العمل على القضاء على هذه القوة الدافعة فيه والقوة المقاومة حتى يبقى نفوذهم ويستمر ؛ وهم فى كل ما كتبوه قد عمدوا الى توجيه انظار اساطين الاستعمار الى الجوانب التى يستطيعون منها السيطرة على اهل هذا العالم ، والى عناصر القوة لتحطيمها ولذلك فهم يملكون مراصد دقيقة ، ومراقبة دقيقة متصلة ، فما ان يبدا اول خيط من خيوط العمل الذى يرون انه فى غير صالح وجودهم وسلطانهم حتى يأدوه بواسطة نفوذهم الواسع الممتد فى مختلف اجهزة الثقافة والتعليم والصحافة والاعلام . .

ويقول ولفرد كابتول سميث : أن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية الى العالم الاسلامى بغرض اذلاله وتحقيره واشعاره بالضالة والخنوع وأن الغرب وقف فى صف الصهيونية ضد العرب والمسلمين متأثرا بتلك العداوة القديمة بين الاسلام والمسيحية .

ولقد قرانا لبعض دعاة التبشير الغربى قولهم : لقد حرصت أوربا بمختلف الوسائل الى تحطيم قيم الثقافة العربية واللغة العربية والدين والتراث فى نفوس الشرقيين والمسلمين والعرب بمختلف الوسائل وزعزعة العقائد وذلك لتدمير هذه القوة الروحية الضخمة التى تكونت لهم فى الشرق وكانت عاملا ضخما فى منحهم القوة على مقاومة كل استعمار ومواجهة كل ظلم .

لقد أصبح احتقار الاسلام جزءا اساسيا من التفكير الاوروبى وان هذا

الاحتقار التقليدى اخذ يتسلل فى شكل تخريبى غير معقول الى بحوثهم العلمية وقد لا يعرف التاريخ البشرى حضارة وفكرا ودينا هوجم بمثل ما هوجم به الفكر الاسلامى فقد ظل الاستعمار طوال مائة عام يواصل حملة ضارية على هذا الفكر فى محاولة لاثارة الشكوك حوله وتمزيق مقوماته فى شراسة وضراوة بالغين ، ولولا ما لهذا الفكر من جذور بعيدة المدى بالغة العمق ما استطاع أن يثبت فى هذه المعركة الضارية .

* * *

ما اخر الدول الاسلاميه الا كثرة اطراء مؤرخي كل عصر بدولتهم والمبالغة فى تتبع عورات سواها وحشو الغث ثنيات سطور تاريخها والداعى لمعظم المؤرخين الى اتباع هذه القاعدة اما الرغبة او الرهبة او مجرد العصبية او التشيع الجنسية مثل ذلك يراه من مبالغات مؤرخى العباسيين فى التشنيع على بنى امية ومؤرخى الفاطميين والشيعة وبنى العباس .

* * *

المحافظة على ذاتية الفكر الاسلامي

ظل كفاح الفكر الاسلامى مستمرا اكثر من ثلاثة قرون فى سبيل تحرير الفكر الاسلامى من هيمنة الفلسفة الهلينية والهندوسية والفارسية القديمة . ولم يستسلم الفكر الاسلامى للنظرية الغربية مطلقا وقاومها طويلا واعلن وجهة نظره واضحة فى مختلف القضايا :

العروبة والاسلام ، العلم والدين ، الدين والدولة ، القانون والشريعة، الاقتصاد والربا .

وقد ظل الفكر الاسلامى دوما وجيلا بعد جيل يواجه هذه النظريات ويدلى برأيه فيها لا يتوقف على المعارضة . ولم يتوقف العالم الاسلامى عن المعارضة ، معارضة قبول قيم ليست من اسسه مع سماحته المعهودة فى تقبل ما تحدده دون ان يخرج عن مقوماته . وكان شغل المسلمين الشاغل على مدى تاريخهم ليس فى سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب او تتلاشى فى اى شخصية حضارية اخرى ، هذا الرفض بالذات هو الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه الاستعمار الفرنسى مائة واربعة وثلاثين عاما ، مما مكنهم أن يخرجوا من المعركة بفخر وإباء .

وهذا الرفض نفسه هو الذى وسع للمسلمين فى شبه القارة الهندية ان يصمدوا فى وجه اكثرية تزيد عن اربعة اضعاف عددهم واعطاهم ان يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحى الاسلام وروحه .

ان الجزائريين اضروا طوال مائة واربعة وثلاثين عاما اصراراً عنيدا على انهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين مسلمين ولم يخامرهم طوال صراعهم الدموى ضد الحكم الفرنسى والاستعمارى اى شك فى شخصيتهم الحضارية.

كذلك استمر سكان القارة الهندية المسلمون قرونا متوالية على اصرارهم على أنهم يختلفون عن جيرانهم الهندوكيين حضارة ولم يستريحوا ويريحوا حتى قامت دولة الباكستان على اطلال الامبراطورية البريطانية فى الهند .

وفى مصر والعراق وسوريا ولبنان حيث تزدهر عناصر عربية غير اسلامية فقد أصبح الاسلام فى جميع هذه الأقطار الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة والاداة الوحيدة [illegible] الاخطار التى تهدد مجتمعهم وحضارتهم ودينهم .

* * *

الثـــــورة الفرنسية

حقق محمد عبد الله عنان فى الرسالة ١٩٤٢ أن قادة الثورة الفرنسية كانوا يهودا ماسونيين كما حقق ذلك المسيو اولار وقام فيلسوفهم فولتير بتأليف كتاب يطعن بالنبى ويتهمه بالبربرية والكذب وقدم الكتاب الى البابا (توفيق الحكيم الرسالة ١٩٣٢) .

* * *

(٦٠)

المسلمون والاستعمار الغربى

قال عالم باحث منصف : عن الاستعمار : ان الاوربى لم يفد الى الشرق كممدن بل كمستعمر وان مفهوم الغرب أن الرجل الراقى له حق أستعباد الرجل الذى يكون أقل منه رقيا . فى مطالع القرن الرابع عشر الاسلامى كانت انجلترا تحكم مائة مليون مسلم منهم نحو ٧٠ مليونا فى الهند (وفى جزر الهند الهولندية ٣٠ مليونا من المسلمين معظمهم فى جاوه) وفى أفريقيا الفرنسية ١٥ مليونا .

وكانت الدول المستقلة : السلطنة العثمانية ، مصر ، فارس ، افغانستان ، الممالك والامارات العربية ، الولايات التى استقلت عن روسيا فى آسيا الوسطى والقوقاز . واذ أخذت الروابط بين المسلمين تزداد توثقا بعد الحرب العالمية الأولى . وظهرت هذه الروح بأجلى مظاهرها على أثر قيام الترك بالغاء الخلافة .

وقد أدى ضغط السياسة الاستعمارية الى حث المسلمين على الاتحاد والتعاون وقد قامت لكل شعب مسلم الى جوار العاطفة الدينية عاطفة وطنية .

وقد كان التطور الاجتماعى فى البلاد الاسلامية متجها قبل الحرب الى تقوية العصبية القومية اسوة بالأمم الغربية المصرية .

وقد ظهر عامل جديد هو روسيا البلشفية ، فنقسم العالم الاسلامى تحت تأثير الجامعة العربية أو الجامعة القومية أو الفلسفات الرأسمالية والشيوعية .

* * *

نشرت البلاغ تحت عنوان ((بريطانيا وما تعمل في بلاد الاسلام)) في ١٩٣٤/١/٦ :

كتب رينيه جروسيه الكاتب الفرنسي مقالا عن المقاصد الاستعمارية التى تعمل بريطانيا (العظمى) لتحقيقها في الشرق الاسلامى تحت عنوان : (يقظة آسيا) قال :

ما كادت تتداعى الامبراطورية العثمانية حتى فكر ساسة بريطانيا فى ان يجعلوا من استانبول او القسطنطينية مضيقا اخر كمضيق جبل طارق وان يكون لهم فى آسيا مقرا ثانية جديدة فى اواخر نوفمبر ١٩١٨ بينما كانت جيوش الشرق المستعمرة تستعد للزحف على فيينا وموينخ .

تمكن لورد جورج من الحصول مع باريس على اتفاق بتوجيه جميع قوى فرنسا الى البسفور ولكن لم يكن يرضى أن تدخل الجيوش البريطانية الى القسطنطينية فى المقدمة بل كان يسعى ان لا تسلم تركيا الى قائد الجيوش الفرنسية فراحت انجلترا بتفاوض مع الباب العالى .

سلمت فيها الامبراطورية العثمانية نفسها الى عدل بريطانيا العظمى بتجريد القوى التركية من السلاح .

عمدت بريطانيا الى الاستيلاء على القسطنطينية فى ١٦ مارس ١٩٢٠ احتل الجنرال الانجليزى ميلين الوكالات التركية وحاميات استانبول ووضع فيها نظم الاحتلال بحجة القضاء على بعض الحركات الوطنية التركية — ساد الحكم البريطانى فى استانبول .

لو اكتفت انجلترا بحكم الدولة العثمانية نفسها او بواسطة اتراك تعينهم لكان فى امكانها ان تحقق يوما ما مطامعها .

بدأ الاتراك المنهوكى القوى من جراء الاخطاء التى ارتكبها انور وطلعت انهم خاضعون للقدر التى اراد لهم وصاية الانجليز عليهم .

وكان في استطاعة بريطانيا أن تملك القسطنطينية بجيوشـها ولكنها ما كانت تستطيع أمتلاك الاناضـول كله ففكرت في امتلاكها بالواسـطة فوجهت نظرها نحو اليونان ، كان فيزيلوس اليوناني يحلم بتشـييد دعائم الامبراطـورية البيزنطية القديمـة على انقاض الدولة العثمـانية ، وافق الأنجليز على خطته هذه لانهم وجدوا فيها عونا وتابعا لملكتهم الواسـعة ولانها توافق رغائب المبدا الانجلوسكسوني المسيحي .

وكان احتلال اليونان لاكبر قسم من ولاية أزمير ١٩١٩ ، كان هذا القرار سببا مباشرا في تغيير وجه المسألة التركية ، لم يكن الاتراك يفكرون يوما في الخضوع لليونان الذين حكموهم تلك القرون الطويلة وما كاد اليـونان يطئون أرض أزمير (١٥ مايو ١٩٦٩) حتى أخذوا يعملون بشدة وأرهاب لاخضاع الاتراك .

ونحن نقول : هل خضع الاتراك وهل تكونت الأمبراطورية البيزنطية من جديد وهل استطاع الأنجليز حماية مستعمراتهم التي لا تغيب عنهـا الشمس .لقد تحطم كل ما حاولت بريطانيا عمله من اجل القضاء على الاسلام في الهند وتركيا ومصر وخرجوا من الحرب العالمية الثانية وهم لا يملكون شـيئا .

(٣)

الانجليز سيطروا على حوض الخليج منطقة التجارة واللؤلؤ وشريان الطريق الاستراتيجي للهند والشرق الأقصى ، وكانوا يحلمون بتحطيم قـوة نابليون ، وهذه القوة المنتبة بالتوحيد والتي استطاعت أن تقفل خط السحر في بسط نفوذها على سائر شـبه الجزيرة العربية في نجد والحجاز والاحساء وعمان .

وكما ألب الأنجليز الايرانيين على الاتراك والأتـراك على الايرانيين في حرب ضروس متواصلة في شـمال الخليج فقد تمكنوا بنفـوذهم في اسطنبول وقواعدهم في الخليج من تأليف الأتراك وبعض العثمانيين على الدعوة السلفية التي بعثوها باسم الوهابية ليصوروها على انها حـركة رجل وليس حركة مبدأ وكتاب ثم نجحوا في زج الاتراك ضدها من ناحيـة العراق فلما لم تفلح كل تلك القوى استعانوا بخديوى مصر بالتنسيق مـع الاتراك وهكذا دمرت الدرعية ١٨١٨ ونشأت هوة سحيقة بين الاتـراك والعرب لأول مرة مع انهم جميعا من اهل السنة على ما اشتهر من هوة بين

العرب والايرانيين باستغلال بعض الخلافات المزهية ، ولكن تلك الأساليب لم تكن كافية لتحطيم أجنحة الحركة السلفية فاستخدم الأنجليز رجل الهند بعباءة ضباط منهم المرة بعد المرة فى تحطيم اسطول القواسم فى جنوب الخليج ولما جاء عام ١٨٢٠ كان الأنجليز قد قطعوا المرحلة الأولى الحاسمة فى الهيمنة على شبه الجزيرة العربية ، وراحوا يعملون ضد الوجود المصرى فى شبه الجزيرة العربية بعد أن قضوا لبانتهم فيه وما أن جاء عام ١٨٤٠ حتى اصبح الخليج لقمة سائة فى حلق الاستعمار البريطانى ولم يبق بعد تحطيم قوتى الوهابية وطرد الوجود المصرى وانهماك الاتراك والايرانيين فى حرب دائمة يسهرون على استمرارها بتواجدهم المستمر فى مدينة بوشهر .

أقول لم تبق الا امارات ومشيخات كانت عمان ورأس الخيمة ذات يوم اقواها وأشدها مراسا ولكن الأنجليز باشروا بكل قواهم ضرب راس الخيمة كما استطاعوا أن يفككوا امبراطورية عمان فابتلعوا أملاكها فى أفريقيا ثم يقضوا عليها فى عقر دارها وفى سنوات الستين من القرن الماضى بدأت حركة تصفية كل السفن الكبيرة التى يملكها العرب لا سيما سفن البحرين .

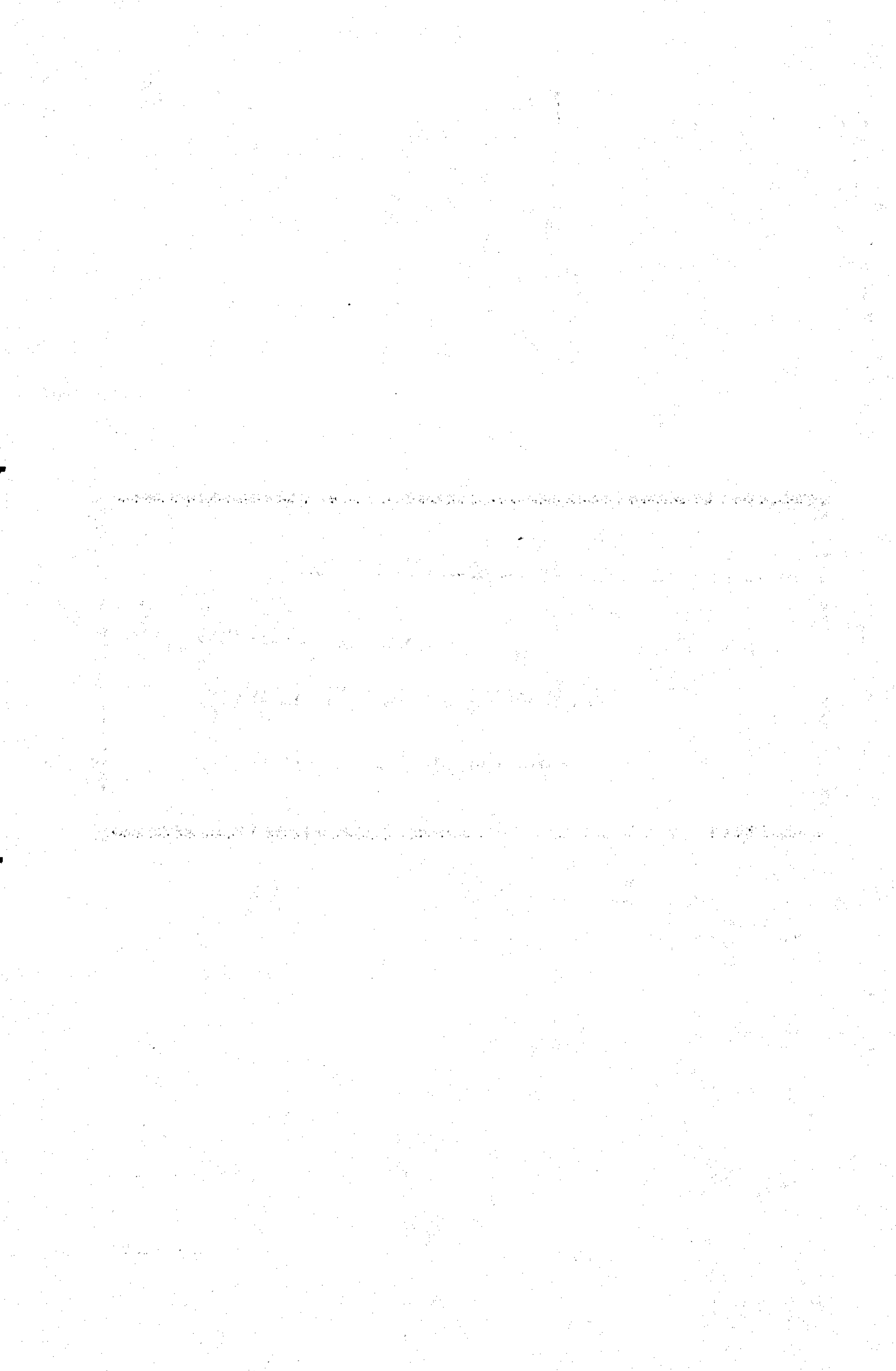


عاشرا : الاســـلام فى الغــرب

(٦١) الاسلام فى الرب

(٦٢) الوحدة الاسلامية فى الولايات المتحدة

(٦٣) الدعوة الاسلامية ٨٥٠ مليون صينى



(٦١) الاســـلام فى الغرب

تقول مجلة دير شبيجيل تحت عنوان « عقيدة مجيد » :

عاد الاسلام بعد انقضاء ثلاثمائة عام على آخر هجمة كبيرة له على الغرب لتضغط من جديد على جسد الأوربيين عن طريق مئـــات الالاف من العمال الأجانب فى مناطقهم السكنية فى المدن الأوربية الكبرى .

وعندما يصعد المؤذن عادل كريزى مرتين اليوم على المئذنة الصـــغيرة يصدع بصوت غريب يبدل النغم المألوف لمدينة الله فيسرع المؤمنون الأتراك عمال مسابك الحديد الى الصلاة فى المسجد المقام داخل مبنى المصنع. ان هؤلاء يوجهون انفسهم صوب الجنوب الشرقى الى المدينة المقدسة مكة التى تمثل نقطة الوسط بين مجال مغناطيسى والتى يتوجه اليها يوميا ملايين من البشر ما بين جاكارتا وداكار وما بين منغوليا ومدغشقر ليتمتموا بلغـــة واحدة نفس كلمة الايمان « لا اله الا الله » .

ان المؤمنين الاجانب فى مدينة (الن دورف) ينتمون الى اسرة واحدة قوية تسمى الأمة قوامها حوالى خمسمائة (الصحيح الف) مليون من البشر يربطهم الاسلام ويسكنون شريطا عريضا من الأرض يمتد من اندونيسيا عبر الباكستان والشرق الأوسط وافريقيا الى المحيط الأطلسى . ومن المؤكـــد ان يواجه الأنسان الاسلام فى وقتنا الحاضر فى بلاد الغرب داخل الأحياء الخاصة بالزنوج فى نيويورك .

ان الهلال رمز الاسلام آخذ فى التقدم حتى وصل الى محطة (نورنبرج) انه يجبر المصالح والهيئات ان تدخل معه فى خلافات .

وقد نتقت فى الذاكرة صورة فرسان المسلمين الذين اتوا اوربا غازين تحت اسم الجهاد ـــ الحرب المقدسة ـــ وارتجفت فرائض الملايين هنا من هذا العـــدد الضـــخم حتى مدينتى توردبواتيـــه عام ٧٣٢ وحتى مدينـــة القسطنطينية (روما الشرق) فى ذلك الوقت عام ١٤٥٣ واحتلتها فى عام

١٦٨٣ الى قبل أقل من ثلاث قرون ظهر هذا العدد أمام مدينة فيينا ، وعلى حد قول فيلون كانت ول سميث : ظل النبى حتى ظهور كارل ماركس والشيوعية يفك زمام أخطر هجوم جدى على الحضارة الغربية .

ولقد عاد دين النبى فى يومنا هذا للتقدم من جديد ولم تكن وجهته هذه المرة بلاد الغرب فقط ، فمع أن معظم بنى البشر يشهدون بأنهم مسيحيون وثلث سكان المعمورة تقريبا ، الا أن الاسلام يكسب فى بعض البلاد الأفريقية بين كل عشرة مرتدين عن دينهم البدائى سبعة بينما يكسب المسيحية ثلاثة فقط . ويستخدم الاسم محمد بين أطفال العالم أكثر من أى اسم آخر ، ولا تحفظ كتاب فى يومنا هذا ولا تردد نصوص منه كالقرآن .

ولقد وصفت المسيحية فى عصر انتهاء المستعمرات بأنها دين البيض والمستعمرين وزج بها الى مرحلة الدفاع عن النفس وتمكنت المادية من تصديع بلدان مسيحية فلقد أصبح الالحاد الشيوعى منهاجا للحكم فى امبراطوريات شرق أوربا التى كانت تدين بالمسيحية وليس هذا بالطبع هو حال أى بلد اسلامى .

وتقلصت الأقلية المسيحية بين شعوب المنطقة ما بين الخليج العربى والمحيط الأطلسى والناطقة بالعربية فقد كانت المصلحة تقتضى فى الماضى فى عصر الاحتلال والاستعمار لمن يريد تكوين مركز فى المجتمع ان يكون مسيحيا ولكن ذلك المسيحى الان اصبح عقبة فى الطريق .

ففى افريقيا وخاصة فى غرب القارة يكسب الاسلام اتباعا كثيرين ، فعلى حد تصريح منظمة العالم المسيحى فقد تبين لشعب يوروبا فى قطرى نيجيريا وداهومى تقريبا الذى تحول قبل مئات السنين الى المسيحية ان الاسلام يفتح امامه الأبواب .

ولقد كان الانتماء للمسيحية يعتبر بالنسبة للافريقيين فى عصر الاحتلال مقياسا للثقافة الرفيعة ، اما اليوم فقد انتهى هذا . وقد ارتد رئيس جامبيا داود يافارا الى الاسلام عام ١٩٦٥ بعد ان كان قد تنصر عام ١٩٥٥ ، ولقد انهى زعيم قبيلة الموشى فى فولتا العليا عداوة شعبه التقليدية للاسلام حين اعتنق هذا الدين .

ويقول عالم الاثيان الامريكى سيزر اى فرج انه من المحتمل أن يصبح الاسلام تدريجيا دينا للزنوج الأمريكيين .

وحين بحث محمد على كلاى (كاسيوس كلاى) عن الحقيقة عند مارتن لوثر كنج وعند الكاثوليك واتباع المنظمات المسيحية ويجدها فى النهاية فى عقيدة الاسلام مثله كمثل الـ ٢٠٠ الف امريكى السود أن الاسلام هو دين كل الألوان ، وانه دين المستقبل .

وقد بدأ هذا المستقبل فعلا فى عيون جيل مسلم حديث معاد للاحتلال ولقد طرد الفرنسيون من غينيا والايطاليون من ليبيا والروس من مصر .

ان الشيوعية بالنسبة لهؤلاء المسلمين تماما كالمسيحية فتتبعها الثقافة الغربية المعادية لكل البلاد الإسلامية المستقلة تمنع الأحزاب الشيوعية بها .

★ ★ ★

(٢)

تقول التقارير المنصفة ان الاسلام يغزو أوربا من غير دعاة ولا مبشرين ولا ارساليات فيدخل سبعمائة فرنسى كل عام فى الاسلام عن اقتناع وبذلك أصبح الاسلام الدين الثانى فى فرنسا بل في أوربا الغربية كلها بعد المسيحية، يقول الشيخ محمود مجاهد حسين أن هناك ثلاثة ملايين مسلم فى فرنسا والمسلمون فى فرنسا يشكلون أكبر جالية فى غرب أوربا محرومة من الحقوق الاجتماعية والثقافية المتوفرة للجاليات الأخرى .

ويشير تقرير مؤرخ ١٤ شوال ١٤٠٠ الى أن الاسلام اسرع الديانات انتشارا فى العالم اليوم وعدد المسلمين فى أوربا الغربية أصبح ٢٥ مليونا وأن المآذن ترتفع فى سماء المدن الأوربية الكبرى وروما تحتضن أول مسجد يقام الى جانب دولة الفاتيكان عبر التاريخ . بلجيكا والنمسا إعترفتا بالإسلام بالاسلام كدين رسمى للاقلية والدول الأوربية الأخرى تضطهد العمال المسلمين لتهجيرهم كعلاج لأزمة البطالة .

ويقول اوربنت برسى : الاسلام فى أوربا اصبح من الموضوعات التى تكاد تشكل مادة اعلامية يومية تطرح فى الصحف والمجلات والاذاعات ووكالات الأنباء الغربية وبالاضافة الى المؤتمرات الإقليمية والدولية التى تعقد متوالية والتى تحاول طرح مفهوم جذرى جديد للاسلام وترصد نموه وخاصة فى الغرب وتعين مشكلاته وتحدياته .

وقد ازداد هذا التحدى بعد التدخل السوفياتى فى افغانستان ومحاولات استمالة الدول الاسلامية الى جانبه وبعد الثورة الاسلامية فى ايران وانتشار الوعى الاسلامى بصورة متعاظمة . كل هذه الأحداث افرزت تيارا من المفكرين الذين أخذوا يدعون الى النظر للاسلام نظرة جديدة ، موضوعية وسليمة وازالة الخلفيات والذهنيات السابقة التي خلفتها الحروب الصليبية وما قيل عن الصراع بين الغرب المسيحى والشرق المسلم كما طالبوا بازالة التناقض بين المفاهيم الغربية المسيحية والحضارة الاسلامية .

وقد عقد فى واشنطن (١٣ يونيو ١٩٨٠) مؤتمر لدراسة (الوحدة فى الاسلام) ذلك فى اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى .

وقال لوسيوس باتل : ان الاسلام اسرع الديانات انتشارا فى العالم هذه الأيام وان هناك نهضة اسلامية قوية .

والواقع أن ما قاله السفير باتل يمكن ملاحظته عمليا من خلال التزايد الكبير لاعداد الاسلمين فى القارة الأوربية ، فحسب احضارات الجمعية الاسلامية هناك ٢٥ مليون مسلم يعيشون فى اوربا ما عدا الاتحاد السوفياتي حسب احصائيات ١٩٧٩ وينقسمون الى ثلاث فئات :

الأتراك ويبلغ عددهم ٣٧ مليونا ، واكثرهم فى جمهورية آزربيجان ، والايرانيون ويبلغ عددهم ٤ ملايين لذلك فقوة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى هى خامس قوة اسلامية فى العالم وقد استطاعوا أن يحافظوا على خصوصيتهم الاسلامية وكيانهم الخاص ، وقد اعلن المجلس الاسلامى الأوربى أن الاسلام أصبح الدين الثانى فى أوربا وانه يبعث من جديد بعد ان اختفت آثاره منذ سقوط اثاره المسلمة ، اما الآن فان المآذن تتعالى مجددا بحرية فى سماء المدن الأوربية وقد تم افتتاح جامعة لندن عام ١٩٧٧ فى ضاحية (ريجنت بارك) وسوف يشهد الفاتيكان بناء مسجد قريب منه فى العاصمة الايطالية قريبا ويضيف المجلس الاسلامى الأوربى أن المسلمين يتمتعون الآن بثقة كبيرة بالنفس ولديهم جمعياتهم الخاصة بهم .

ويضم المجلس الاسلامى الذى يتخذ من العاصمة البريطانية مركزا رئيسيا له ٢٥ جمعية اسلامية تقوم الدول الاسلامية الغنية بالنفط بمساعدتها فالسعودية انشأت اتحادا للمدارس الاسلامية الدولية لتثقف الأطفال الذين يعمل آباؤهم فى الخارج وقد اشتركت ليبيا والكويت فى بناء مسجد لندن الذى بلغت تكاليفه ٧ ملايين دولار بالاضافة الى مشروع بناء مسجد روما والذى من المتوقع ان يتكلف ٢٠ مليون دولار ولكن هل عملت هذه التسهيلات على القضاء على غربة الانسان المسلم الذى يعيش فى أوربا ، وهل تكفى هذه التسهيلات لازالة التناقض ما بين الاسلام والمفاهيم الغربية .

والواقع أن الانبعاث الاسلامى فى أوربا مرده الى رفض المسلم قبول اساليب العيش والمستويات الثقافية المفروضة عليه وخاصة المسلم المهاجر

الي القارة الأوربية فالمسلمون لا يريدون ان يعيشوا مقطوعي الجذور الثقافية لذلك فليس من المتوقع ان يقلدوا الغرب فى عاداته وتقاليده بل ان يحاولوا ملء الثغرات الدينية والثقافية التى ترتبت على قدومهم الى هذه البلاد لأسباب اقتصادية فى الغالب .

ويرى الدكتور سالم غرام الأمين العام للمجلس الاسلامى : ان اوربا أساءت فهم الاسلام وقد رأت فيه بشكل عام عدوا ومصدر تهديد دائم لها وذلك نتيجةلخلفيات تاريخية بدأته مع فتح المسلمينلأوربا ٧١١ واستقرارهم فى بعض مناطقها الجنوبية وخاصة فى أسبانيا لمدة تزيد قليلا عن ثمانية قرون وكما فعل الصليبيون بالمسلمين عند غزوهم للمشرق فعل العثمانيون بسكان البلقان وردوا على العنف الأوربى بعنف مماثل ويزيد . وقد وصل حد التعسف أحيانا وذلك بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر الميلادى مما جعل الأوربيون لا يذكرون كلمة الاسلام الا ويرتعدون خوفا لما فعله بهم العثمانيون .

وما زال من الصعب على الأوربيين أن يفهموا ان الدين الاسلامى ليس دينا يقتصر على العلاقة بين المؤمن وربه بل هو دين ينظم كل نواحى الحياة الاجتماعية ويفرض على معتنقيه أسلوبا جديداً فى الحياة ويتدخل فى كل تفاصيل حياته الخاصة والعامة .

ويقول الاستاذ أسد سهاب : ان نشاط الدعوة الاسلامية فى القارة الأوربية بدأ بشكل منتظم فى أوائل هذا القرن وكانت الدعوة الاسلامية محدودة فى نطاق ضيق بين المسلمين بما فيهم الطلبة القادمين من البلدان الاسلامية .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى وكانت فرق كاملة من الجيوش التى حاربت مع الانجليز والفرس مسلمة وكانوا يؤدون الصلاة فى الأماكن التى يستقرون فيها مؤقتا .

وبعد الحرب أقام الكثير من هؤلاء الجنود فى أوربا ومنهم من تزوج أوربية فاستوطن وبذلك كثر عدد الجاليات الاسلامية وتضاعفت فى نفس الوقت عدد الطلاب المسلمين سنويا ولكن الاستعمار والحقد الصليبى لم يترك لهذا النشاط ان يستمر وأن يزدهر ، بعد أن توضحت الدول الغربية

الاستعمارية أركان الخلافة الاسلامية واطاحت بها خلال الحرب وعلى هذا اساس دعم الأنجليز الحركة الاحمدية الضالة وهى حركة عميلة لبريطانيا وهى التى غذتها وأمدتها بالأموال وقد دعم الانجليز الحركة الأحمدية القاديانية لايجاد بلبلة فى كيان الأمة الاسلامية وعلى اثر ذلك بني فى انجلترا مسجد للاحمدية ليكون مركز انطلاق لهم فى انجلترا وفى أوربا . كما ساعدت ايجلترا في طبع كتب الأحمدية المضللة خصوصا باللغة الانجليزية ، ومع ذلك فان الحركة لم تصل الي ما تصبوا اليه انجلترا ولا تزال الأحمدية الى اليوم فئة مكروهة فى العالم الاسلامى لمروقها من الدين وخروجها عن الاسلام وليست لها علاقة ولا صلة بالاسلام والاسلمين . وقد فضح أهدافها وعمالتها للاستعمار والحقد الصليبى سماحة السيد أبو الحسن الندوى فى قولة مشهور له (القاديانية ثورة على الديانة الاسلامية) .

وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت الحركات الاسلامية تتوسع بشكل بارز وعلى نطاق أوسع خصوصا حركات الطلاب المسيحية فى البلاد الأوربية وعلى مقدار هذه الجهود ظهرت نتيجة مساعيهم واعمالهم ووصلت بعض المساعدات من العالم الاسلامى غير انها قليلة لا تفى بالمقصود لانها كانت اقل بكثير من نسبة الميزانية المقدرة لبناء مسجد أو مركز اسلامى . ولكن هذه المساعدات وان كانت قليلة الا انها شجعت القائمين على مواصلة اعمالهم .

ولم تثبط هذه المشاكل التى يتعرض لها المسلمون فى اوربا عن مواصلة أعمالهم فى الدعوة الاسلامية بل توسعت أكثر وتخطهم الى نطاق الأوربيين ومشاهدة كيف يعبد المسلمون ربهم ، فكانوا يأتون فى أيام الأعياد الاسلامية ويحضرون ليشاهدوا المسلمين كيف يقيمون صلاتهم وكيف يقيمون شعائر دينهم وسمعوا خطبة العيد التى يلقيها الامام مما لفت انظارهم واسترعى انتباههم . وقد اهتم البعض منهم وسعى للاتصال بالمراكز الإسلامية للحصول على معلومات اكثر واوسع ، حتى يقف على معرفة كنه التعاليم الاسلامية ومن وفقه الله وهداه الى دينه اندفع الى اختيار الاسلام دينا له عن اقتناع وعلم ويقين ودراية وروية .

ومن ثم كثر عدد المسلمين واسسوا الهيئات التى تضم المسلم الأوربي الأصيل واسسوا الجمعيات لتهتم بمصالحهم الخاصة .

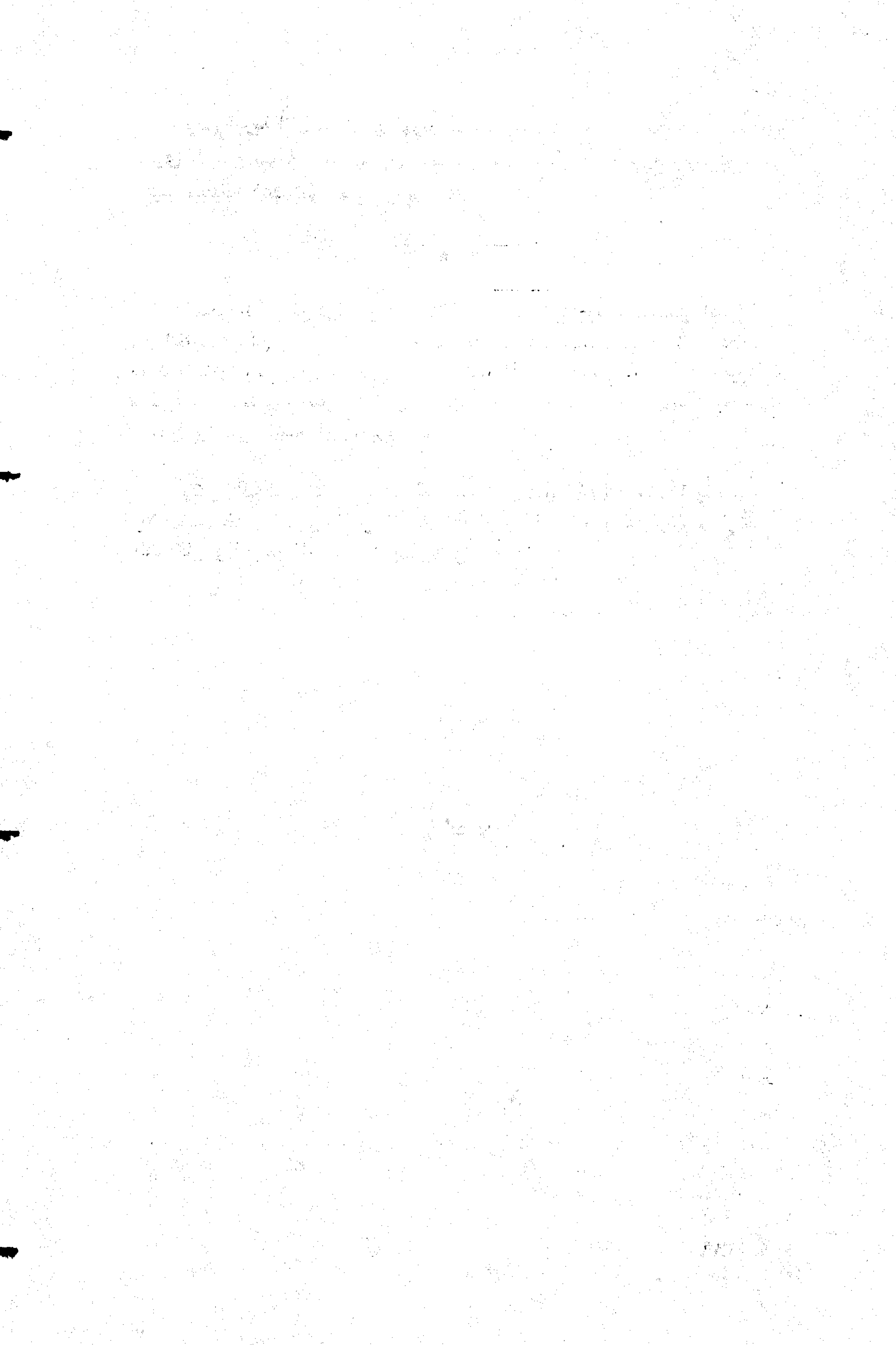
وفى أوربا الان مسلمون أوربيون ليس لهم هدف من اعتناقهم الاسلام سوى الايمان بما جاء به رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة سليمة لاقت قبولا فى نفوسهم .



أصدر الفاتيكان قرارا يعتبر عملية الاجهاض جريمة تستحق الحرمان من الكنيسة وأن يعتبر القسس الايطاليين عمليات الاجهاض جريمة اخلاقية يعاقب عليها بالحرمان الكنسى وان الوقف المتعمد للحمل جريمة أخلاقية خطيرة لا تستطيع الكنيسة الا أن تعاقب عليها بالحرمان حتى تتمسك بقيم الحياة وتحمى الضعفاء والابرياء .

وكان البرلمان الايطالى قد أصدر فى مايو ١٩٧٨ قانونا يسمح بالاجهاض خلال ٩٠ يوما من الحمل اذا أوصى الطبيب وذلك رغم معارضة الفاتيكان والحزب المسيحى الديمقراطى .





(٦٢)

الدعـــوة الاســـلامية
فى الولايات المتحـــدة

يقول دكتور محمد عبد الرءوف : (مدير المركز الاسلامى فى وشنطون) ١٣٩٦ هـ منذ عشرين أو ثلاثين عاما مضت لم يكن ال امريكا غير قليل من المسلمين فى أماكن متفرقة معزولة ، وكان تعبير المسلم يبـــدو غريبا غير مألوف في آذان الأمريكيين . وكان المسلمون فى حاجة الى الارشاد الدينى بينما لم يكن هناك من يرشدهم ويرجع هذا الى الانعزال التقليدى فى أمريكا وعدم تعرف الأمريكيين على مبادىء الاسلام وانتشار المفاهيم الخاطئة حول الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ، الى جانب العوامل الباعثة على التعقيد والتى أحدثتها الصهيونية والمتواطئون معها من المشركين ، وقـــد تغير الموقف اليوم وانتهت النزعة الانعزالية واصبح الناس يعرفون من هم المسلمون ولا سيما بعد اتساع نطاق الهجـــرة الى أمريكا . ان بســـــاطة وسماحة الاسلام والقيم الاسلامية قد اجتذبت العديد من المسلمين وخاصة الذين ينحدرون من أصل أمريكى .

يوجد الان عدد كبير من المؤسسات الاسلامية فى أمريكا وكثير منهـــا ينهض ثم يموت والقليل منها يكتب له البقاء وكلها تتطلع الى المركز الاسلامى بوشنطن ، ولا تطلع الشمس الا على مسلم جديد ، ومعدل عدد من يسلم يوميا يتجاوز الثلاثة أشخاص ، فى أمريكا ، ويقال ان عدد المسلمين يبلغ مليونان أو يزيد (١٩٧٦) .

أما ما أتوقعه للدعوة الاسلامية ، فخير كثير ، ولا شـــــك أن هناك أمامنا صعاب كثيرة وانه حتى تتحقق الأهداف والآمال هناك مشروعات هى أكبر مما لدينا من مقومات ، ولكنى متفائل جداً ، لاننى أرى أن هناك قـــوة خفية تعمل على نشر الاسلام فى هذه البلاد ، وهذه القوة هى قوة اللـــه سبحانه وتعالى ، ليست عملى ولا عمل اخوانى ولكن الذى يحدث من النجاح والتوفيق لا يمكن أن يكون نتيجة لما نقوم به من خدمات متواضعة ولكن أعتقـــد

أن الله سبحانه وتعالى وراء ذلك ويخيل الى أن الاسلام ستكون له كلمـــة قوية جدا جداً فى أمريكا والاسلام الان يسير قدما فى هذه البلاد بطريقـــة سلمية وبطريقة هادئة ، لابين الأمريكان السود فحسب ، ولكن بين الأمريكان السود وبين العنصر المسيحى (انجلوساكسون) وقد وجد طريقة بين كبار الموظفين ذوى النفوذ فى البلاد ومن يدرى لعله بعد بضع سنوات نعلم أن أمريكا أصبحت دلة اسلامية كالدول الاسلامية فى المشرق .

* * *

الدكتور الطبيب : موريس بوكاى بعد دراسات طويلة قام بها لـــكل من التوراه والانجيل والقرآن تبين له بما لا يصل جدلا ولا نقاشا أن القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصادم أى نظرية علمية وان صدقه فى هذه النظريات تؤكد أنه وحى من الله انزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

* * *

(٦٣)

الدعــوة الاســلامية
و ٨٥٠ مليون صينى

مجلة البلاغ الكويتية الاسبوعية تحدثت عن الاسلام والمسلمين فى الصين الشيوعية .. وذكرت أن هناك حوالى ٦٠ مليون مسلم ، يعيشون فى الاصقاع من قارة آسيا .. وتحدثت عن تاريخ دخول الاسلام الى الصين وعن أماكن تجمعاتهم ونشاطهم الاسلامى قبل الثورة الشيوعية فى الصين ١٩٤٧ م .

وكانت المناسبة التى دفعتنى الى الكتابة عن الاسلام والمسلمين فى الصين الشيوعية ، تلك الأنباء التى تسربت من داخل الصين والتى مؤداها أن قد أبدت بعض التسامح بالنسبة للاديان وأن مراسلى وكالات الأنباء الأجنبية قد شاهدوا بعض البوذيين وهم يخرجون من معابدهم التى كانت مغلقة لفترة طويلة ، وكذلك بعض المسيحيين يخرجون من كنائسهم يوم الاحد .

وقد كانت هذه البادرة الطيبة من الصين مؤشرا على اتجاه الصين باطلاق حرية العقيدة للشعب الصينى .

وقد روى بعض شهود العيان من الدبلوماسيين العرب والاسلامين الممثلين فى الصين : أن حكومة الصين الشيوعية فى بكين قد أمرت بفتح المسجد الكبير فى العاصمة لاقامة صلاة عيد الأضحى به .. وقد حضر هذه الصلاة نحو ألف من الصينيين المقيمين فى العاصمة ، بالاضافة الى بعض الأجانب العاملين بها .

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام هذا الخبر ليقول : ان الدعوة الاسلامية دعوة الحق والبقاء ، دعوة الطهارة والنقاء .. دعوة الشمول والخلود .. دعوة النور التى انطلقت من وطن النور ليعم ضياءها العالم كله والتى حمل لوائها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، والذى اختارته العناية الالهية من بين خلق الله قاطبة لكى يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة .. وهى

تستقبل اليوم قرنها الخامس عشر الهجرى بعد حصاد القرون السابقة فان عدد المسلمين يكاد يقترب من الألف مليون نسمة من بين عدد سكان العالم البالغ عددهم ستة بلايين نسمة وعدد المسلمين سدس عدد سكان العالم .

ان الدعوة الاسلامية عند انطلاقتها العظمى يجب أن تضع فى حسابها ان يكون هذا القرن هو قرن الانتصار العظيم لرسالة الله الخالدة ، ذلك لأن العالم المعاصر الذى تعانى شعوبه القلق النفسى والاضطراب المادى والحيرة والتشتت فان الخلاص لهذه الشعوب لا يكون الا بتعميق الدعوة الاسلامية والنهوض برسالتها للانطلاق الى آفاق أرحب ومجال أوسع لكى تصل الى كل شعوب العالم .

ان الدعوة الاسلامية مطالبة اليوم وهى تستقبل قرنها الخامس عشر قبل أى وقت مضى أن تضع فى اعتبارها وفى مخططها تلك الشعوب الصفراء البالغ عددها الف مليون نسمة — الصين واليابان — ان الانفتاح الذى تبديه الصين الشعبية اليوم على العالم والعلاقات القوية والصلات الوثيقة التى بدأت تقيمها مع دول شتى وخروج القيادة الحالية من عزلتها — لابد من تشجيع الدعوة الاسلامية على أن تدخل هذا الميدان لكى تبلغ رسالة الله الى كل خلق الله .

ان المسلمين فى الصين الشيوعية البالغ عددهم ٦٠ مليون نسمة فى أمس الحاجة الى من يمد لهم يد العون والمساعدة والمساندة ، ذلك لأن الأحوال السياسية والاجتماعية فى الصين بدأت تتغير .. فلابد أن يكون هذا التغير لصالح الدعوة الاسلامية .. والدعوة الاسلامية يجب أن تنتهز هذه الفرصة المواتية لكى تقيم الجسور مع ابناء الصين المسلمين ولكى توثق العلاقات القديمة التى كانت قائمة قبل قيام النظام الشيوعى .

ان دوائر الغرب المسيحية الصليبية تبدى دائما تخوفها من المد الاسلامى ومن هنا فانها أرسلت خبرائها ومراسليها الى الصين لكى يكونوا عن قرب وكثب من التغيرات الحالية فى الصين .

اننا أحرى بالنظر نظرة موضوعية علمية الى أحوال ٦٠ مليون مسلم ، يعيشون فى الصين .

ان المؤسسات الاسلامية والهيئات العلمية الاسلامية فى عالمنا العربى والاسلامى مطالبة بأن توسع حدود الدعوة الاسلامية لكى يكون الجنس الأصفر فى الصين واليابان فى قائمة الشعوب التى يجب أن تركز الدعوة الانتباه اليه .

ان رابطة العالم الاسلامى .. والرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد والافتاء .. وغيرها من المؤسسات الاسلامية مطالبة بأن تضع الخطط الكفيلة والبرامج المفيدة للنهوض بالدعوة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

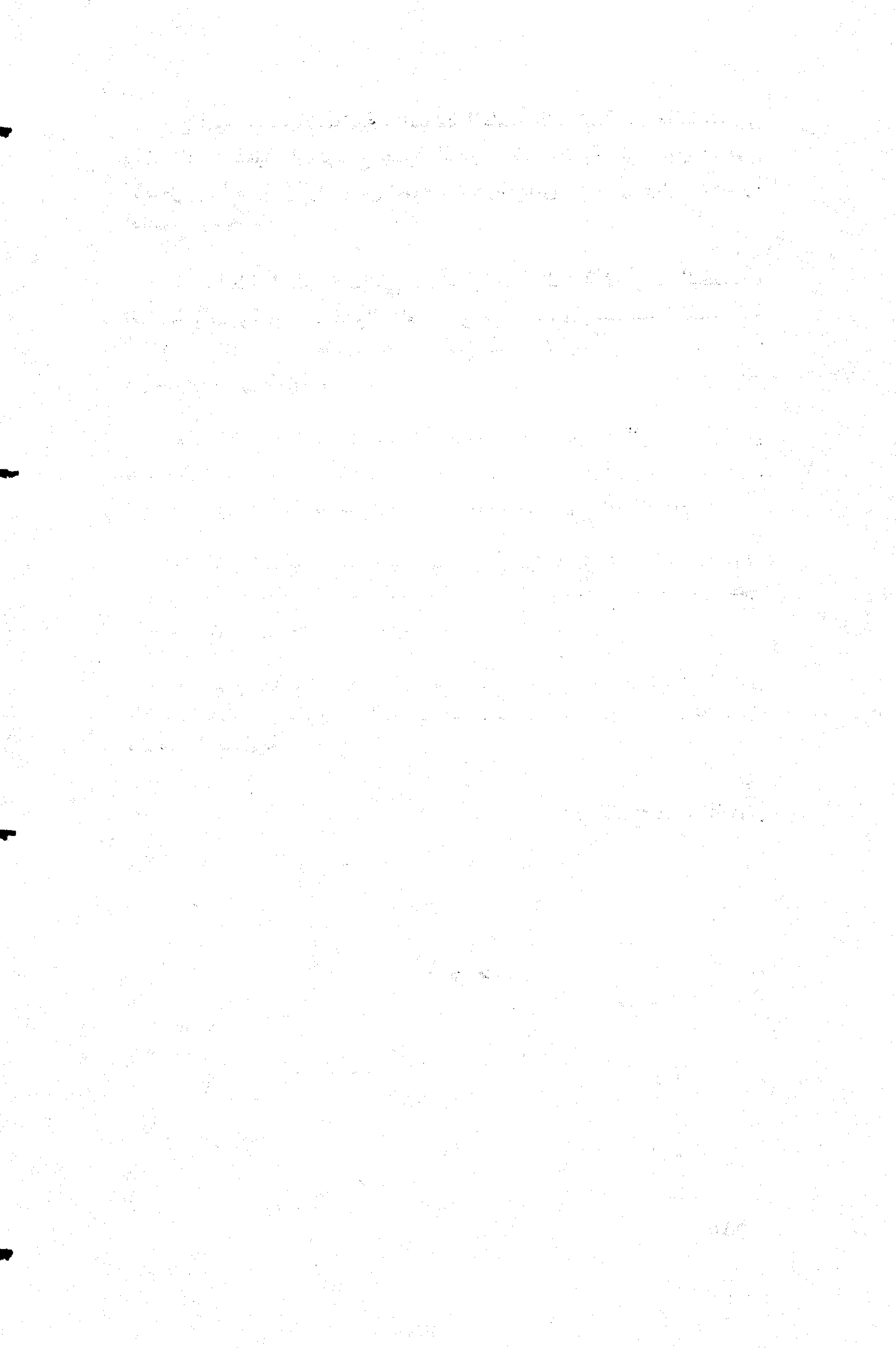
فاذا كانت حركات التنصير قد رصدت مبلغ بليون دولار لنشاطها فى عام ١٩٧٩ م ، فما بالنا نحن أمة الاسلام وحملة القرآن نقف هكذا دون تخطيط علمى ودراسة موضوعية لأحوال المسلمين فى عالمنا المعاصر .

لقد نشر السلف الصالح من المسلمين دعوة الحق فى عصر لم يعرف الطائرة ولا الباخرة ولا وسائل المواصلات الحديثة .. ورغم هذا مدوا الاسلام الى أرض الله الواسعة .

فالأحرى بنا أبناء القرن الرابع عشر الهجرى والذين نستقبل القرن الخامس عشر أن يكون أمامنا مخطط شامل وبرنامج متكامل للانطلاق بالدعوة الاسلامية .

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

* * *



الفصل الحادى عشر :

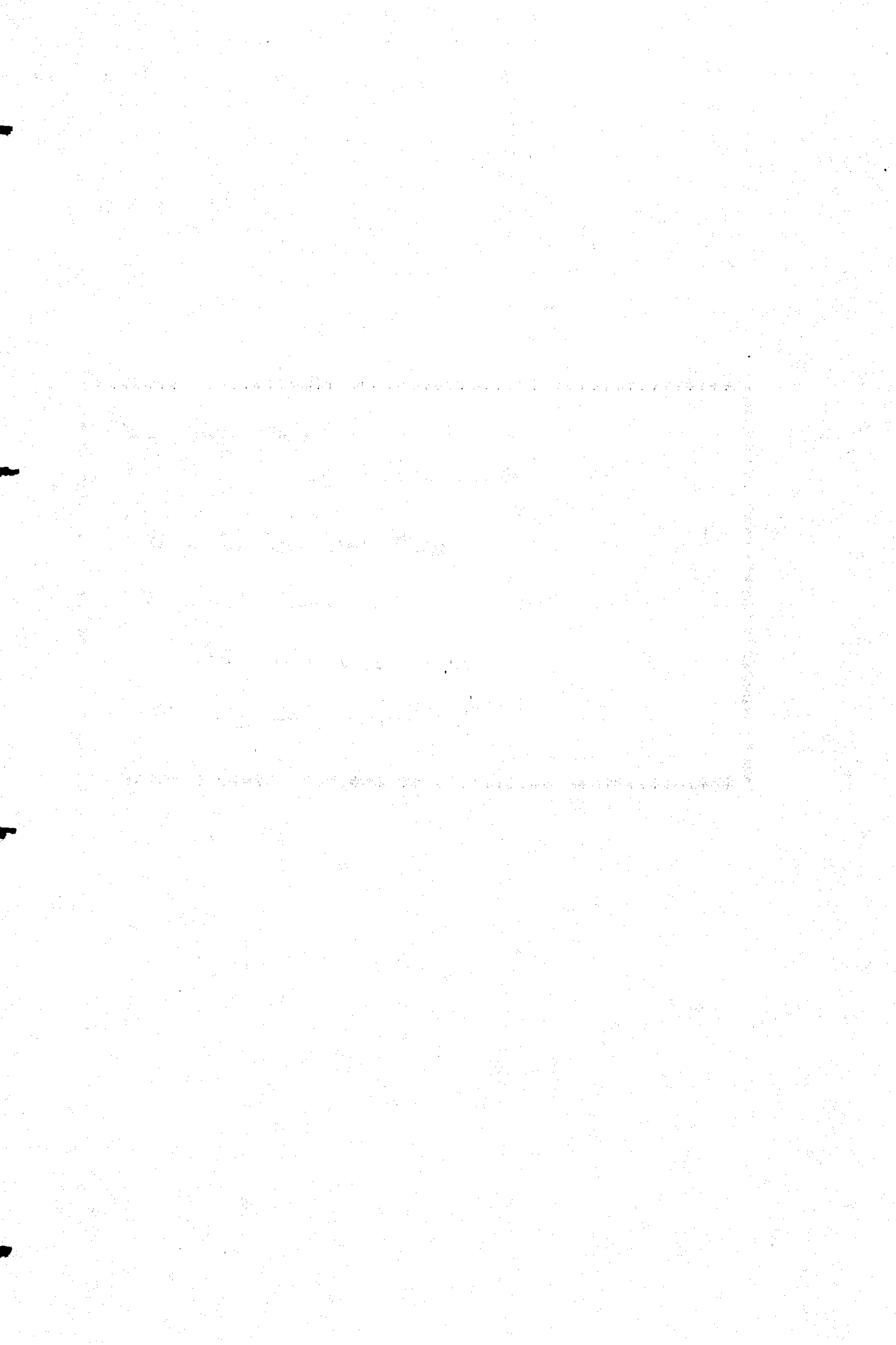
من عطـــاء الاســـــلام

٦٤ ــ على طريق الرسالة الأولى

٦٥ ــ سماحة الاســـلام

٦٦ ــ ازال الاسلام حواجز الشعوب

٦٧ ــ تأثير الاسلام على نهضة اوربا

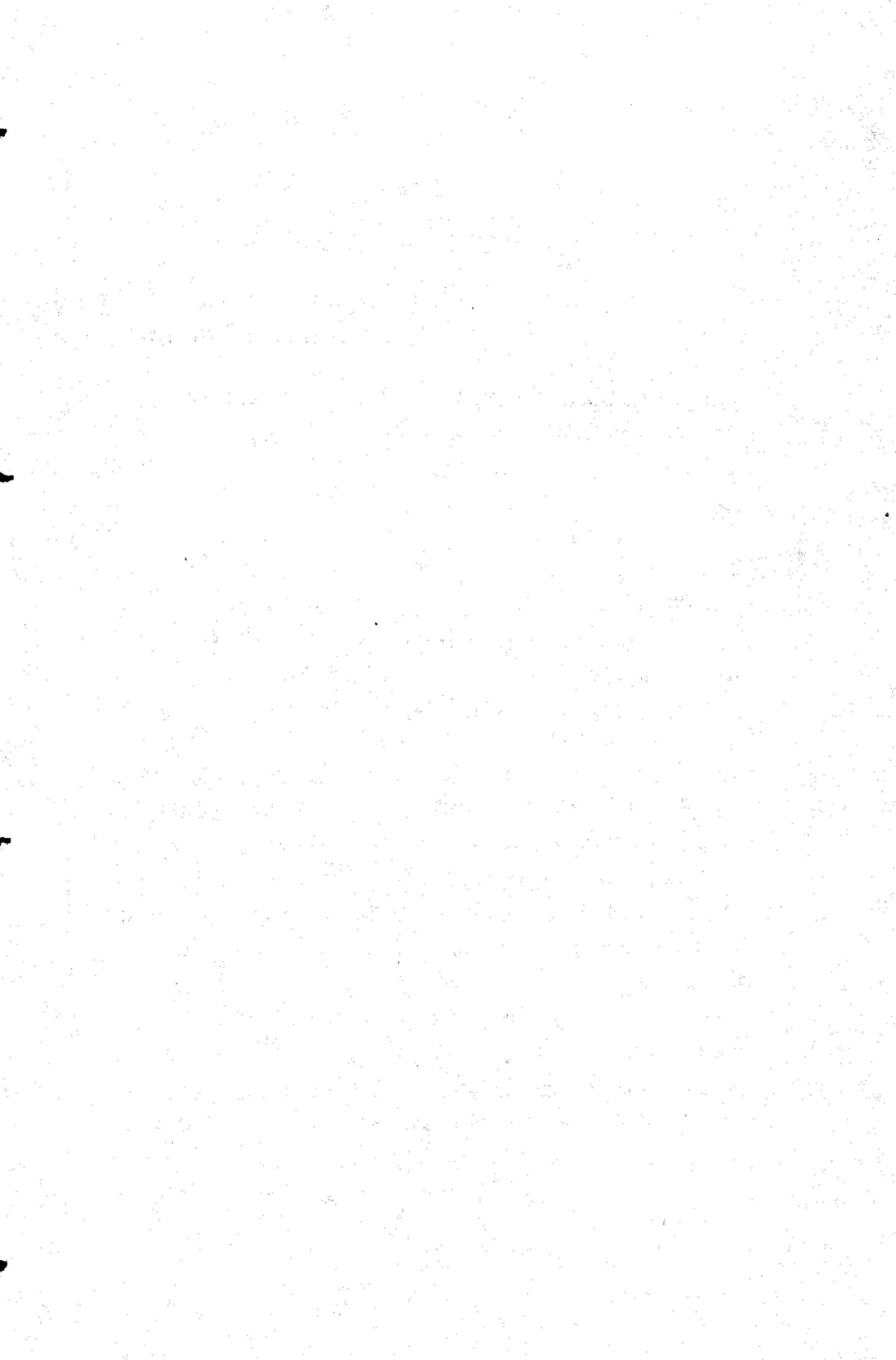


(٦٤)

على طريق الرسالة الأولى

يقول الاستاذ عبد المنعم خلاف :

يرى ابن خلدون ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم ، وأن العرب يستجيبون للزعامات الملهمة والتضحيات والمروءات ومن هنا صح ان اهل هذه المنطقة لا يقادون الى اية نهضة او اصلاح فى مجال حياتهم الا فى ظل الدين الالهى الصحيح الذى يروض اخلاقهم ويعبد قلوبهم ويطوع ضمائرهم ويكون اساليب تفكيرهم وكان اعظم الدفع لحركاتهم التاريخية والحضارية الكبرى على مدى العصور ، وما تزال نظرية المؤرخ العربى الكبير عبد الرحمن بن خلدون مؤسس علم الاجتماع وفلسفته فى أن العرب لا يقادون ولا يخضعون الا بنبوة أو ولاية دينية أو استمداد منها نظرية صحيحة مائة فى المائة ، بعد ان صدمتها تجارب التاريخ الطويل ولصق بادلتها الاستقرائية فاطق الزمان » نقول : فاذا اضفنا الى هذا قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم : ان الله يرسل لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها كان علينا ان نتطلع الى ان يكون القرن الخامس عشر قرن انتقال من اليقظة الى النهضة.يقول علال الفاسى : ان هذا الحديث يؤذن بأن الأمة الاسلامية تخضع للتطور كغيرها من الأمم الأخر ، وينذر بأنه لا تمر مائة عام الا وتكون فى حاجة الى بعث جديد ويقظة ثانية ، وان ما قرره عصر سابق من اساليب لا يمكن ان يتحكم فيما يريده العصر الموالى ، لأن التجديد لا يعنى دائما الترميم وان التغاير يقع بين جيل الاب وجيل الابن ، وبذه الروح القصرية العظيمة استطاع أسلافنا أن يبنوا الحضارة الاسلامية التى كان من أخص مميزاتها الانسانية اتصالها بمختلف الحضارات وشتى المدنيات المشرقية والمغربية ، وهكذا نجد أن الفكر الاسلامي يمنع المسلمين من الانكماش على أنفسهم والاستسلام لما فعلته عوامل الانحطاط فى مجتمعهم بل ويدفعهم الى الاتصال بكل العقول والتنقيب عن كل المعارف والتقاط الحكمة من كل الجهات والتطلع دائما الى كل جديد .



(٦٥)

سماحة الاســلام

هادثان متشابهان فى تاريخ الاسلام يحققان وصية الرسول صلى الله عليه وسلم : من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة . أحدهما ما فعله صلاح الدين الايوبى يوم فتح بيت المقدس (وكان بها مائةالف نصرانى) أعطاهم أمانا لمدة أربعين يوما للجلاء عن القدس فجلا منها ٨٤ ألفا لحقوا باهليهم من النصارى فى عكا وافتدى بنفسه بضعة آلاف وافتــدى العادل الف رجل ورفض ان يفعلّ بهم كما فعلوا بالمسلمين قبل ٩٠ سنة .

وفى فتح القسطنطينية أعلن السلطان محمد الفاتح حمايته للمسيحيين وضمانة لحرية دينهم وعبادتهم واحتفل معهم على طريقتهم بنفس الابهـــة والفخامة ومثل ذلك فعل عمرو بن العاص فى مصر عنــدما أعلن الأمـــان لرئيس النصارى المختفى وسمح له بالعودة الى استئناف عمله .

أين هذا مما فعل الصليبيون عندما استولوا على القسطنطينية عـــام ١٢٠٤ ودمروها وهتكوا أهلها وهم مسيحيون مثلهم .

وأين هذا مما فعل النصارى فى الاندلس عندما سقطت فى أيديهم وخدعوا المسلمين بأن أعطوهم عهدا باحترام ديانتهم وأموالهم وأعراضهم . ولم يلبثوا أن مالوا عليهم ميلة واحدة .



(٦٦)

ازال الاســـلام حواجز الشـــعوب

يقول الدكتور حسين مؤنس : ازال الاسلام فروق الاجناس (لتعارفوا) وامتدت دولة الاسلام من فرغانة الى غانة أو كاشعر الى اقليم سيكيانج أقصى الصين الى ســاحل المحيط الأطلسى وقلب أفريقيا عند أقصى أوربا « الاندلس » وأقصى شرقها (تركيا) .

عندما جاء الاسلام :

١ ــ هدم حائط الايرانيين الهائل فى سلسلة من الوقائع الضارية من كاظمة الى نهاوند وهى فتح الفتوح . وزال الحاجز الايرانى بينهم وبين عامة البشر .

٢ ــ هدم الحائط الذى كان يحول بين الاتراك والايرانيين وزلزل كبرياء (زنبيل) واضرابه فانساح العرب والايرانيون فى بلاد الترك ودخل الترك الارض الايرانية والعرب وجمعم الاسلام فى اسرته الواسعة .

٣ ــ ازال العرب والايرانيون والاتـــراك الحواجز التى كانت امم المغول تتستر من وراءها وادخلوهم فى الاسلام .

٤ ــ اجتمع الأربعة بعد ذلك فهدموا سور الجنس والاستعلاء الذى كان أهل الصين قد اداروه على أنفسهم ودخل قتيبة ورجاله مدينة كاشغر وضربوا خيامهم على ضفاف نهر (تاريم) وسط سلاسل من الجبال كأنها الرواسى الشامخات .

٥ ــ تدهمت الأسوار التى كان يعيش وراءها أهل العراق والشام ومصر .

٦ ـــ دخل العرب معارك طاحنة مع البربر دامت سبعين سنة وصل فيها العرب الى ساحل المحيط الاطلسى وادخلوا أمم البربر جميعا في اسرة العروبة والاسلام .

٧ ـــ اجتمع العرب والبربر وعبروا الى الاندلس فادخلوا شـــــعبها الايبيرى الأوربى فى اسرتهم واصبح مضيق جبل طارق مجرد ممر مائى داخل عالم الاسلام الشاسع بعد أن كان حاجزا بين قارتين وعالمين . وفعل المسلمون مثل ذلك بجبال (البرت) وهى البرانس الحاجزة بين اسبانيا

وهكذا أزال الاسلام الحواجز بين الشعوب والبشر وحقق التعارف بين الشعوب والقبائل واصبحت جميعا فى أمة لاقامة صرح حضارى اسلامى واحـــد .

★ ★ ★

(٦٧)

تأثير الاســـلام على نهضة اوربا

ان نهضة أوربا واكتشاف امريكا وتطورها هو الأثر المباشر وغــير المباشر للاسلام عندما اجتاح الاسلام الدوله الرومانيه وتهاوت تحت مطارقه كان طبيعيا ان يؤثر الاسلام على التطور فى أوربا فترى بيزنطة تتبنى التماليم الاسلامية وقامت فيها على حركة تعرف فى التاريخ باسم الحركة اللا ايقونية والتى حاربت التماثيل والصور وابراز ما فى المسيحية من توحيد لله فالايمان الكنسى بعد أن كان يتحدث عن الاب والابن والروح القدس يصف الجمــع بانهم اله واحد .

انبعثت النهضة الأوربية (١٦ ، ١٧) من حركة الاصلاح الدينى وقد قامت هذه الحركة على مبادىء اسلامية بحتة فحيث يقرر الاسلام أن لا عصمة لبشر الا أن يكون نبيا مرسلا فقد نادت حركة الاصلاح الدينى بهذا المبــدأ لتحارب به ما يزعمه البابا لنفسه من عصمة ودعت حركة الاصلاح الدينى بما يدعو الله الاسلام من حرب على التماثيل والصور فلو دخلت الى اى كنيسة لوجدتها خلوا من تماثيل المسيح وصوره .

وقامت النهضة الاوروبية محاور ثلاث : ايطاليا وفرنسا والمانيا ولم يكن ذلك نتيجة الصدفة ولكن يتيح الحضارة الاسلامية مباشرة .

فحيث كانت القذارة تسود باريس حيث كانوا لا يعرفون الاستحمام كانت الحمامات العامة فى اســبانيا المجاورة فى الاندلس للعامة قبــل الخاصـــة .

وحيث كانت الكنيسة هى التى تعلم فى فرنسا (ان اطفىء سراج عقلك، واعتقد) كان ابن رشد ملخص رسائل ارسطو وافلاطون وانشئت فى مدريد

طليعة مدرسة الترجمة من العربية الى اللاتينيـــة فنقلت مؤلفات علماء المسلمين الى فرنسا وغيرها ، أما ايطاليـــا فكانت على صـــلة بجــزيرة

صقلية التى هى اليوم جزء من ايطاليا وقد كانت الحضارة الاسلامية مزهرة بها .

وقد قال ذلك عن المانيا التى كان امبراطورها فردريك الثالث الذى كان يجيد اللغة العربية ويستعين بعلماء المسلمين .

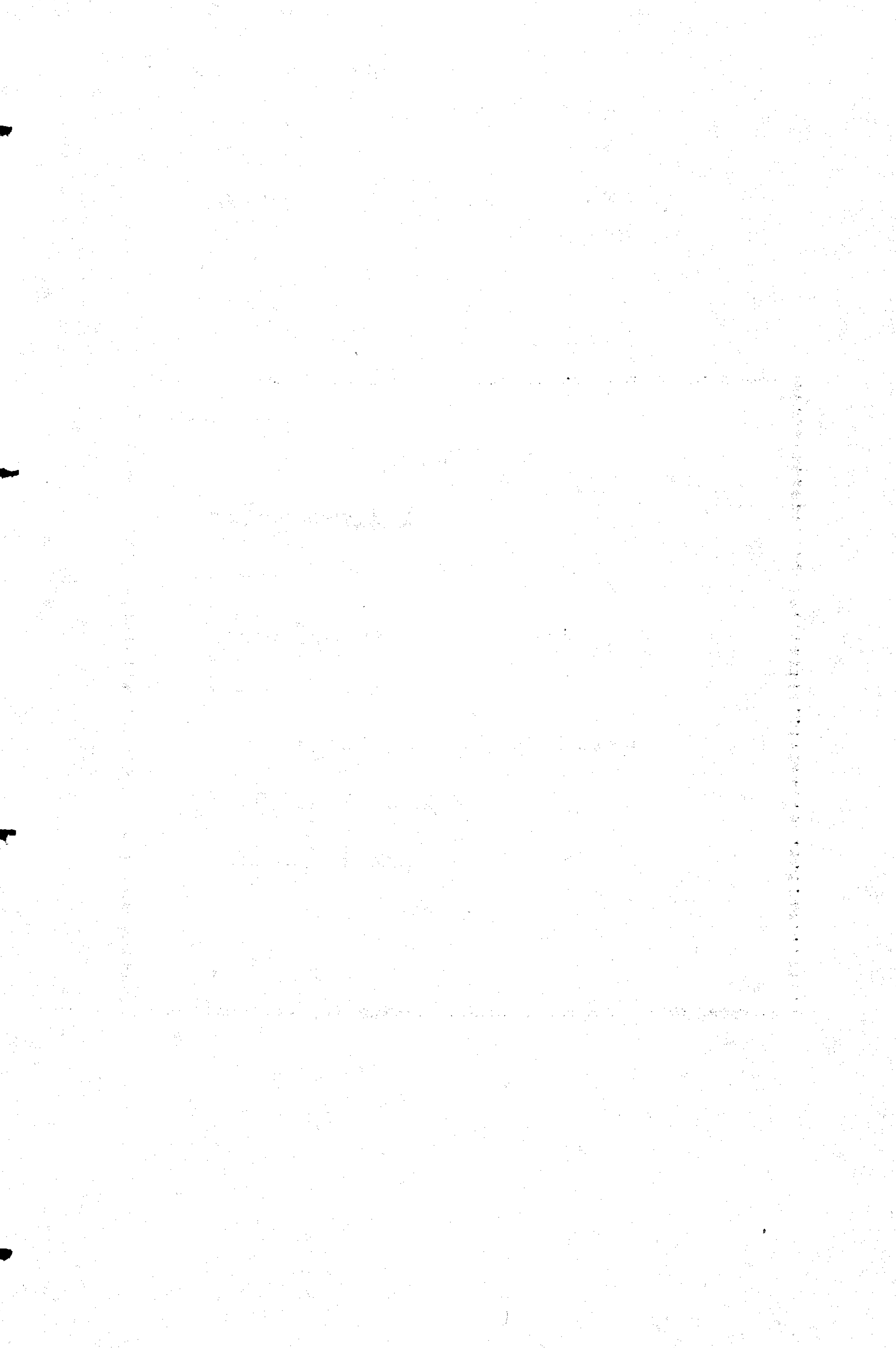
ان كان الغرب الاوربى قد بدأ يتدهور فلأن حجر الزاوية فى التعاليم الاسلامية وهى الايمان بالله واليوم الاخر .

أحمد حسين

* * *

الفصل الثانى عشر :

الوحـــدة الاســـلامية



الجامعة الاسلامية

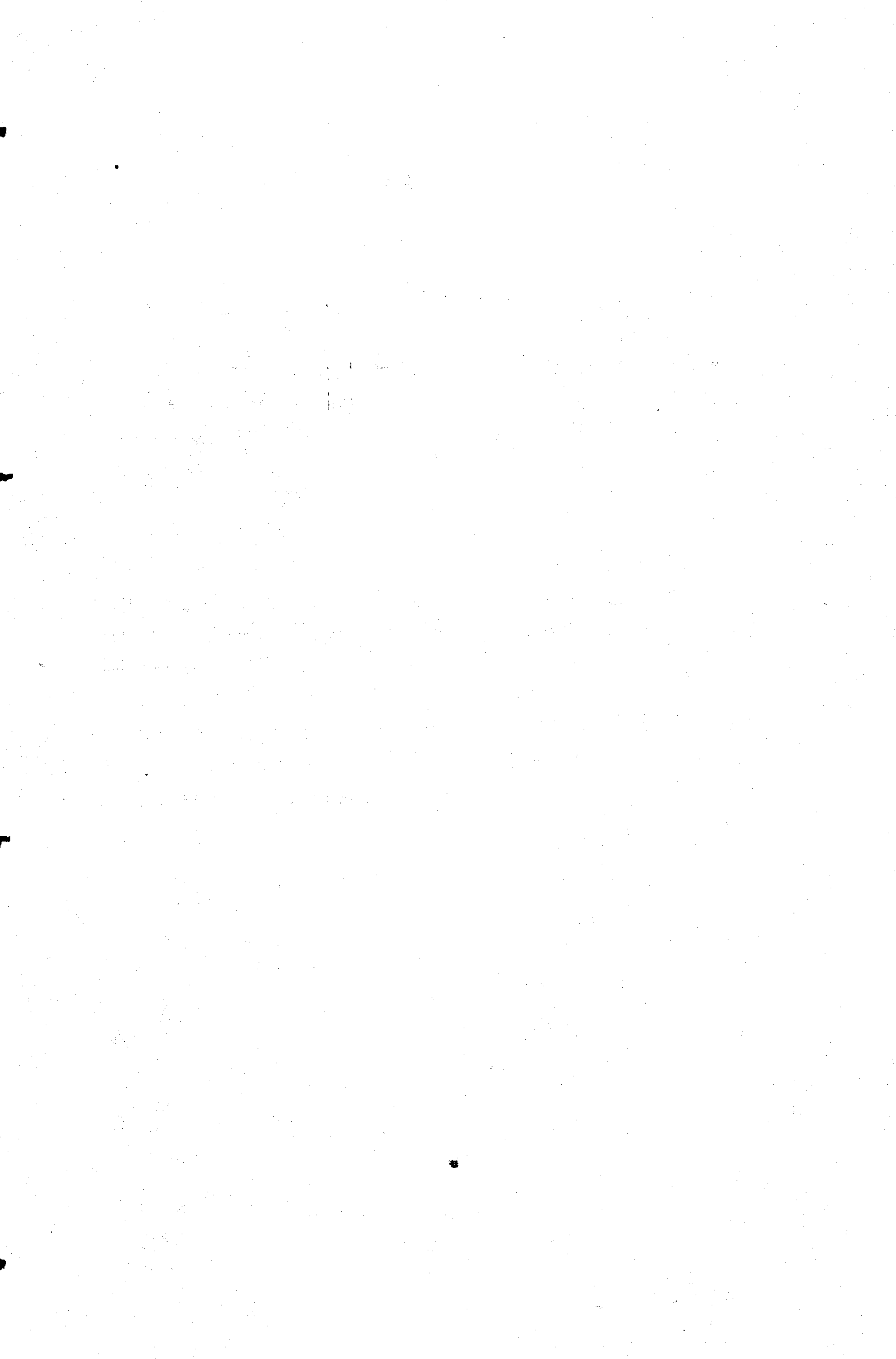
قال القس نلسن : عن الجامعة الاسلامية فى السلطنة العثمانية :

ان حركة هذه الجامعة قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ولكن لا تزال فى الاهالى روح تضامن مع ملازمة للاسلام وهى سائدة بين مسلمى سوريا ، ان الألوف من المسلمين يتجهون فى كل سنة الى مكة ويشربون ماء زمزم .

وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الاسلامية قوة حقيقية ، الى حد يستدعى اهتمام المبشرين والحكومات الأوربية بالرغم من ذلك فانه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حى حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معا ويضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا يدا واحدة عن اتفاق وثقة متبادلة .

ان اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى ، الذى يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمى لا نتيجة له غير توليد احلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبى .

* * *



(١٩)

جامعة الشعوب الاسلاميه

فى مؤتمر اسلامى عقد فى كراتشى (باكستان ((شعبان ١٣٧١ — مايو ١٩٥٢) تم اختيار السيد خليق الزمان رئيسا لمنظمة الشعوب الاسلامية أصدر المؤتمر بيانا جاء فيه : نحن مندوبى الشعوب الاسلامية قد وقفنا على ماضى المسلمين أيام وحدتهم وما قدموه للانسانية من عدل واحسان وسلام اعترف به المخالفون لرسالتهم قبل الموالين لها نظرا لما لمسناه فى هذا الزمان من الكوارث والمصائب التى نزلت بشعوب المسلمين اثر فرقتهم وانقسامهم مما افضى الى سيطرة القوى الاستعمارية الماحقة التى تدعمها بين حين وآخر سلطات استبدادية أطاحت بحقوق هذه الشعوب جميعها بما جرته عليها من رق سياسى واستعباد اقتصادى وفوضى اجتماعية من أجل هذا كله قررنا نحن ممثلى الشعوب الاسلامية فى الوقت الذى يتطاحن فيه القوى الاستعمارية المدمرة وترصد لذلك قوى الشر ووسائل الدمار وتنظم ارادتها فى كتلات أطلقت عليها اسماء متعددة ومتباينة أن تحشد قوى الخير فى العالم الاسلامى وتهيىء سائر الوسائل الممكنة فى شعوبه ودوله فى مجموعة اسلامية للعدل والاحسان للخلاص من سائر القيود التى تعوق تقدمهم فى سائر الميادين وذلك بتأسيس هيئة عالمية سميناها (منظمة الشعوب الاسلامية) وتنحصر أغراضها فيما يلى :

١ — تمكين العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين كافة وتنميتها الفاضلة واقامة جميع مرافق حياتهم على هدى الاسلام السمح .

٢ — رفع المستوى الأدبى والمادى للافراد فى البلاد الاسلامية وكفالة حقوقهم الاجتماعية والسياسية والعمل على اقامة وتوطيد العدالةالاقتصادية بين الشعوب الاسلامية طبقا لمبادىء الاسلام ونشر الثقافة الصحيحة بينهم وحمايتهم من عوامل الانحلال التى حاول دون تقدمهم حتى تتبوأ البلاد الاسلامية مكانها اللائق بين الأمم .

رابعا : التوسع فى تعليم اللغات المختلفة فى البلاد اسلامية لتيسير سبل التفاهم بينها والحض على تدريس لغة القرآن لشعوبها لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها .

خامسا : عملا بقوله تعالى : « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تسعى المنظمة لتقوية الروابط الاقتصادية والأدبية بين البلاد الاسلامية وبث عوامل التفاهم والتحاب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم .

وقال السيد خليق الزمان الداعى الى المؤتمر :

ان الاسلام فى شكله الحاضر لم يعد تلك الصورة الرائعة التى عرفت عنه كدين عالمى ، بل مع الأسف قد شوهت تلك الصورة ، نتيجة خطـة مرسومة وأسلوب الوضعية التى وجدت لهـا سبيلا الى حياته خـلال تلك الفترات الماضية من دس الدساسين ومكر المخاتلين واعتداد المعتدين حتى اصبح المسلمون فى وضع نسوا فيه أو تجاهلوا مغزى الآية الكريمة :

« قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » ..

نسوا جوهرها كما لم يعودوا يبالون بالاوامر والنواهى الالهية على وجهها الصحيح ، الأمر الذى لا يستغرب معه ما وصلت اليه الحالة من تدهور وتفكك وتشعب وخصام وانشقاق ، وهم بين عاملين : عامل الاهواء الشخصية والمطامع الذاتية وعامل الرضوخ لحياة تفذى كل ما أسلفنا وهى تلعب لعبها من وراء ستار .

ان الظاهرة العظمى التى تميز الاسلام عن غيره من الأديان هى سمو روحه التى توخت ايجاد حياة اجتماعية وسياسية للناس ومزجها بروحانيته التى لا تبارى فالاسلام وحده هو الذى يستطيع انقاذ الامة بالجماعة وهو الذى يمقت الفردية والعصبية الجنسية ويمقت تضحية المجموع فى سبيل الفرد وهو الذى وحد بين صفوف المسلمين وقيد اتباعه بتعاليم عالية القدر ضمن فيها لمعتنقيه السيادة والرفعة والسؤدد والمكان اللائق فى المجتمع . رسالة الاسلام هى التى توخت خدمة المجتمع وبعثه بعثا حيا خالدا فى المساواة التامة واتاحة الفرصة للمجتمع واقامة العدل والقسطاط المستقيم والاعتراف بحق الفرد فى المجتمع والهيمنة على ارادته وكبح جماح مطامعه وأهوائه فى سبيل المجموع .

(٧٠)

آن الأوان لقيام جامعة الدول الاسلامية

عقب الحرب العالمية الاولى طغت موجة القومية واستعرت نغمة الاقليمية فارتفعت الأصوات فى كل قطر تنادى بقوميتها وتعتز بجنسيتها . وكانت هذه النغمات والنعرات هى أشد وطأة وأثقل قيدا من الاستعمار العسكري . وفى وسط هذه الغيوم من الضلال،ارتفعة صوت الكتيبة المؤمنة والجماعة المسلمة ، أجل ارتفع صوت الأخوان المسلمين مناديا بأن الاسلام لا يعترف بهذه التقسيمات السياسية التى فرضها المستعمرون علينا ولا يقف أمام هذه الحدود الجغرافية بل أنه يتخطاها ليوحد بين اتباعه ويجمع بين أبنائه فاذا بهم أخوة متحابون ، وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضا ، أجل ان الاسلام دين وجنسية فكل أرض مسلمة فهى للمسلم وطن وكل شبر أرض فيه نفس يردد (لا اله الا الله محمد رسول الله) هو قطعة من الوطن الاسلامى الأكبر وجزء عزيز من أرض الاسلام وديار المسلمين .

واذا كانت الجامعة العربية قد قامت على اساس اللغة والجوار فان هذه المجموعة التى تبلغ نحو ١٠٠ مليون تربطها بالبلاد الاسلامية التى يبلغ تعداد أهلها فوق (٤٠٠ مليون) نسمة رابطة الاخوة الاسلامية والرسالة المحمدية ، هذه الكتلة الاسلامية التى تمتد من مراكش عند المحيط الاطلنطى الى الباكستان واندونيسيا فى الشرق الاقصى ، لها من التماسك والانسجام بل والاندماج ما ليس لأى كتلة أخرى فى العالم وما بالك بكتلة تضم أكثر من ٥٠٠ مليون (الآن الف مليون مسلم) يعبدون ربا واحدا ويتجهون خمس مرات فى كل يوم نحو قبلة واحدة ، ويؤمنون بقيادة وزعامة رجل واحد هو رسول الله صلى الله عليه سلم ويحكمون فيما بينهم دستورا واحدا وقانونا واحداً هو القرآن الكريم .

هذه الرقعة من الأرض ، هى كبد العالم هى أخصب الأرض انتاجا وأعدلها هواء وأوفرها خيرات وأكثرها خامات ومعادن ، وفيها مفاتيح البحار

وفى أرضها أهم المواقع الاستراتيجية واخطر المراكز الحـــركية وهى تكون خيطا متصلا بل بناء متسقا وصفا موحدا لا ثغرة فيه ولا ثلمة بين أجزائه هذه الكتلة التى وحدت بين اجزائها الالام والامال باى حق يغفلون عنها ويتجاهلون أثرها وخطرها .

لئن غفل أهلها حينا من الدهر فقد استيقظوا .

لقد أصبح قيام جامعة الدول الاسلامية رغبة تنبعث من أعماق كل قطر عربى وأسلامى وحاجة يشعر بها وترنو اليها ابصار كل عربى ومسلم، وقد آن الأوان لتحقيقها ، والاسراع فى ابرازها الى عالم الوجود ، فان الحوادث تمر سراعا ورائحة البارود تشم فى الانوف وازيز الطائرات ودوى القنابل وضجيج الدبابات يطن فى الاذان ولا عاصم من الحرب القادمة الا الوحدة ولا منقذ للمسلمين وبلادهم بغير الاتحاد وقيام هذه الكتلة الاسلامية.

صالح عشماوى

١٩٤٨/٥/٦

★ ★ ★

(٧١)

آفاق المستقبل

عرفت الأمة الاسلامية أوج ازدهارها سياسيا واقتصاديا وحضاريا وثقافيا حين كانت ملتزمة بالاسلام منهجا وتطبيقا . وبدأ التقهقر مرتبطا بالتراجع عن هذا المنهج ، هذه النتائج يلتقى فيها علم المستقبل مع تنبوءات الاسلام الانذارية وخاصة اقوال الرسول عليه السلام والسلف الصالح كقوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا » .

وكما ان علم المستقبل يترك بعض الأمل فكذلك ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله : لا تزال طائفة من امتى منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى ياتى امر الله — هذا الأمل يبعث على التفاؤل . وبالمزيد من البحث تتاكد هذه العناصر وترجح كفة الأمل :

أ — الايمان بالاسلام على صعيد الجماهير .

ب — اضطراب النظريات المعاصرة وبحث الانسان المستمر عن وسيلة للخلاص .

جـ — تميز الاسلام بخصوصيات يجعله دائم الصمود وتجعله صالحا لكل زمان ومكان .

د — اتساع الطاقات الاسلامية الطبيعية (الثروات البشرية) .

هـ — الوعى الجديد لحقيقة واقع المسلمين : اى الوعى بالتخلف وبالبداية للخروج من الوهم والظن الى الحقيقة والواقع .

أما مظاهر التخلف فهى :

١ ــ الأراضى الاسلامية المحتلة وفى مقدمتها القدس .

٢ ــ تمزيق صفوف المسلمين وفى الطليعة قادتهم .

٢ ــ اضطهاد الاقليات الاسلامية ولا منقذ .

٤ ــ التبعية الاقتصادية للشرق والغرب فالمسلمون مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

٥ ــ استلاب فكرى عند اغلبية المسلمين مع انتشار الامية والجهل عند عامتهم .

ومن عوامل التخلف :

١ ــ تحرك أعداء المسلمين وخصومه من مختلف المعسكرات .

٢ ــ ضعف موقف المسلمين ومواقفهم .

٣ ــ الغزو الواقع عليهم عسكريا واقتصاديا وفكريا وحضاريا .

٤ ــ تخلى المسلمين عن أساليب البحث العلمى التى انطلق منها اسلافهم .

٥ ــ تخليهم عن المنهج الاسلامى وانحرافهم عن حقيقة الاسلام وانتشار الشعوذة والتزييف فى أوساطهم .

ان العلاج يكمن فى : العودة الى اصول الاسلام وينابيعه الصافية كما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : لا يصلح أخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .. والمقصود بالدرجة الأولى العمل بالكتاب والسنة لأن الاسلام عقيدة ومنهج وتطبيق .

والحل والعلاج لا يأتى دفعة واحدة بل هو حسب رؤيته على مرحلتين:

الأولى : مرحلة قريبة ومؤقتة للتهيىء وهي القيام بالدراسات التحليلية

واستخلاص النتائج ووضع المنهج الاسلامى المتكامل يراعى فيه الأخذ بروح الاسلام وبأسباب العلم الحديث وطرائقه مع مراعاة فتح باب الاجتهاد .

٢ ـ مرحلة بعيدة المدى لتنفيذ هذا المنهج بدءا من العلم الذى هو حجر الاساس .

وهذا المنهج يقتضى اعلان الدولة الاسلامية دار حرب وجهاد فى واجهتين :

١ ـ على العدو المحتل للاراضى الاسلامية .

٢ ـ على التخلف فى مختلف اشكاله ومظاهره .

والمسئولية تقع على :

١ ـ الحكام المسلمين فهم وحدهم القادرون على اتخاذ القرارات وتنفيذها .

٢ ـ العلماء الحقيقيون الذى حملهم الاسلام مسئولية لا تقل عن مسئولية الحكام .

الدكتور عباس الجرارى

★ ★ ★



(٢)

أن ما يعرف لقضايا العالم الاسلامى ليس الا قضية واحـــدة عن التحليل :

هذه القضية هى مسالة الوحدة الاسلامية ، هل هذه الوحدة سياسية أم اقتصادية أم ثقافية ، الحقيقة أن الوحدة التى اعنيها يجب أن تأخذ جميع هذه المظاهر وسواها ، لأنها بذلك تكون وحدة حقيقية ، أما حين تقف عند حد من تلك الحدود أو تتزين بواحد من تلك الأزياء فانها حينئذ تكون وحدة شكلية أى بناء بغير أساس .

فما هى الوحدة الحقيقية :

الوحدة الحقيقية للعالم الاسلامى هى الوحدة التى تقررها العقيدة ، الى انها عقيدة والتزام وسلوك . أما كونها عقيدة فتفرض علينا أن نعتقد بأن المسلمين أمة واحد كما خاطبها القرآن .

« **كنتم خير أمة اخرجت للناس** » وكما كان القرآن دائما يخاطبها كأمة من المؤمنين ، أى أمة دائرة حول عقيدتها تحـــارب أو تسالم أو تجاهد أو تتحرك الى كل سبيل بوحى هذه العقيدة لا بوحى المنفعة والمصلحة الضيقة والأهواء السياسية . أو بالمفهوم العلمانى للسياسة . فالمسلمون اذا أمة لا تمايز بين أجناس المؤمنين وشعوبهم وقوميتهم وجهاتهم .

وأما كونها التزاما فمعناه أن تنشأ من العقيدة ومن الشعور الملـــح عاطفـــة تمحى امامها كل العواطف المناقضـــة والمحـــايدة . فالمســـلمون اليوم هم كما كانوا بالأمس القريب والبعيد ، باســـتثناء فترات معروفة ، يعلمون انهم أمة واحدة ، ولكنهم لا يملكون الاحساس الوجدانى بذلك ، فهم لم يكونوا يتصرفون طبقا لـــا تفرضه العقيـــدة من تبعـــات ، بل كانوا

يزالون ، وفى المستوى السياسى على الخصوص ، يتصرفون وكأنهم وحدات سياسية يستقل بعضها عن البعض ، ويعمل بعضها بوحى المصلحة السياسية (الدنيوية) ولو ادى الأمـــر الى الاعتداء على مصـــالح البعض الآخر ، وكأنهم مجمـــوعة من الأمم والقوميات ، تباعد بين المسلمين وغير المسلمين من أمم الدنيا . وفى مثل هذه الحال يصح أن نقول : ان الوحدة الاسلامية كانت مسألة من مسائل الاعتقاد المعطلة مثل سواها من المسائل الاعتقادية الأخرى ، التى لا أثر لها فى سلوك الناس وحياتهم العملية . ان الالتزام بمقتضيات العقيدة تجـــاه وحدة الجماعة الاسلامية معناه تجـــاوز المفاهيم الوطنية والقومية الاقليمية والعرقية فى العالم الاسلامى . فالاسلام لا يعرف الا مجتمعا يقوم على العقيدة ، ويتحرك بوحى العقيـــدة ، ويقيم حدوده الجغرافية والسياسية على أساس العقيدة وكذلك ، وحيث يوجد مجتمع مسلم توجد حقوق وواجبات على المسلمين جميعا تجاه ذلك المجتمع .

واما كونها سلوكا فيعنى انعكاس العقيدة والالتزام بها على الحياة العملية ، فى المســـتوى الســـياسى والاجتماعى والاقتصــــادى والتربوى والحضارى بوجه عام - بالنسبة لسائر الجماعات الاسلامية ، ولا ســـيما الجماعات ذات الكيان السياسى ، أو بعبارة أخرى بالنسبة لسائر الدول الاسلامية .

ان الوحدة بهـــذا المفهوم هى خلق مجتمع العقيـــدة ، وتحقيقها بهذا المفهوم هو انجاز ثورى ، لأن أوضاعنا الاسلامية القائمة كلها مناقضـــة للعقيدة والشـــعور بها والالتزام بتبعاتها . هى انجـــاز يقينى لأن دون تحقيقها خرط القتاد كمـــا يقال ، فأمام تحقيق الوحـــدة الاسلامية اليوم معوقات وحواجز وصعوبات لا يتغلب عليها الا جهاد عظيم تنهض به أجيال متعاقبة .

بعد هذا تساءل الدكتور الكتانى :

هل الوحدة الاسلامية غاية أم وسيلة ؟ فأجاب :

أما انها غاية فيمكن أن تكون كذلك من وجهة النظر السياسية ، اذ يمكن أن تصبح شـــعارا يحرك المجتمع الاســـلامي العالمي ، كما هـــو

الشأن اليوم . لكن المهم أن نعرف كيف ننظر الى الوحدة الاسلامية على أنها وسيلة ، وكيف ننظر اليها مرة أخرى على أنها غاية ؟

يجب أن ننظر اليها على أنها غاية ووسيلة فى نفس الوقت ، أى كهدف مرحلى نسعى لتحقيقه فى المستويات الاقتصادية والثقافية ، وكوسيلة لها طاقتها فى تحقيق أهداف أعلى وأبعد . والواقع أن الوحدة الاسلامية هى غاية ووسيلة معا ، فكل غاية هى وسيلة بعد أن تتحقق جدلية صاحبها الى ما وراءها ، وكل وسيلة هى غاية مرحلية . هذه هى جدلية الحياة نفسها . والتاريخ خير شاهد على ذلك . فقد كانت الوحدة الاسلامية فى تاريخ الاسلام ، وفى فجر هذا التاريخ بالخصوص ، كانت عنصرا حركيا وغائيا فى نفس الوقت ، بل أن هذا التاريخ ينتصب أمامنا معلما يعلمنا المنهج الذى يتبعه الى استعادة وحدتنا .

ان قراءة هذا التاريخ تعلمنا أن انهيار الدولة الاسلامية الكبرى قد اتبع مسارا انحدأريا بلغ نهايته فى نقطة بداية التجزؤ ، حين بدأت حركة الانفصال السياسى عن الخلافة المركزية ، وحين تحول كل جزء منفصل الى خصم يناصب الأجزاء الأخرى العداء . فأصبح كل جزء من أجزاء الأمة الواحدة حربا على الآخر . وعندئذ انفصل الدينى عن الدنيوى فى حركة التاريخ الاسلامى ، وأخذت العناصر الوحدوية تتلاشى عنصرا عنصر ، وهذا ما نعيشه حتى اليوم .

بدأ التجزؤ سياسيا فى صورة نشوء مذهبية سياسية (الخوارج ، الشيعة) ثم استمر التجزؤ اعتقاديا فى صورة نشوء مذهبية كلامية (المعتزلة ، السنة) وفى نفس الفترة كانت المذاهب الفقهية قد استقرت أسسها ، كل ذلك مهد من حيث علم المسلمون أو لم يعلموا الى تصدع البنيان العظيم الذى شاده الاسلام فى ضوء الوحدة التى عمقتها القرآن فى نفوس بناتها حين خاطبهم بقوله : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فى نفوس ابنائها حين خاطبهم بقوله : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . لقد بدأت العنصرية القومية تشتعل منجديد وتريد أن تستعيد تاريخها الجاهلى ، فبدأت الدويلات الاسلامية تخوض حربا عوانا فيما بينها ، ودخل تاريخنا الاسلامى فى العتمة ، وتحرك الغزو الصليبى فى اتجاهين : اتجاه خارجىلتطويق العالم الاسلامى ، وداخلىلتقويض الأفكار البناءة فى هذا العالم . وقد اتجه الغزو الصليبى أولا نحو بيت المقدس

احدى قلاع المقدسات الاسلامية . ومن هناك ظل الوجود الصليبى يتحرك الى أن جاء عصر التطويق فى العصور الحديثة ، وسقطت الدول الاسلامية تباعا فى يد الغرب ، والعبرة هنا أن الأمة الاسلامية لم تؤخذ كلا ، وانما أخــذت أجزاء متفرقة وظلت دول الغرب الغازية ترقب فى حــذر عناصر الوحدة فى هذا العالم الاسلامى المتمزق ، بل ظلت ترقب حركاته ونبضات أفكاره ، وكلما احست وجود فكرة قوية مؤمنة سارعت أما الى وأدها ، وأما الى غمرها وسط ضوضاء ايديولوجية تشغل الناس عنهــا ، ولنــا أمثلة كثيرة تشهد بهذه الحقيقة .

ذلك ما نستخلصه من الماضى القريب والبعيد ، أما ما نستخلصه من الحاضر فهو أن المجتمع الاسلامى برغم ما عرفه من انبعاث ، ثم من نهضة سياسية واجتماعية فقد ظل فى مســتواه القديم ، فلم يخرج من التبعية والضعف السياسى والفوضى الفــكرية ، برغم كونه يــكاد يطوق الكرة الأرضية جغرافيا ، ويملك من مصادر الطاقة ما يملك ، ويقترب تعداده من المليــار ، وبرغم كون بعض دوله الكبرى كانت قــد تحولت الى دول علمانية ، وأخذت بالنظم الغربية ، وتجاوزت الاعتبار الدينى الذى اعتقدت أنه مصدر تخلفها ، فانها لم تلتحق برغم ذلك بركب الدول الكبرى ولا هى تستطيع أن تلتحق بها . لمــاذا استفادت الدول الاســلامية من هــذا الانبعاث ، او من هذه النهضة ؟ قد يختلف فى تقويم هذه الفائدة ، أو فى تقدير العناصر الايجابية والسلبية فى نهضة العالم الاسلامى ، ولكن المؤكد أن هذا العالم ما يزال بعيدا عن تقرير مصــيره ، واستكمال سياسته ، واسترجاع قوته ، وما ذلك الا لكونه يفتقــد أكبر عناصر قوته ، وهــو الوحدة .

لقد عقد اول مؤتمر قمة للعالم الاسلامى سنة ١٩٦٩ بالرباط عقــب حادثة احراق المسجد الأقصى . ومن يومها سرى فى هذا العالم توتر مستمر وشعور ملح بضرورة تحقيق الوحدة الاسلامية فى مواجهة التحديات الكبرى، وفى مقدمتها احتلال اسرائيل للاراضى العربية وللقدس الاسلامية . وهذا ما يفتح أمام المسلمين أفاق المستقبل على أساس انتهاج منهج جديد لتحقيق الوحدة . وتحرير القدس وانجاز المطالب الأخرى .. لكى أحب أن أكتفى هنا بالاشــارة الى العناصر الأســاسية لقيام وحدة اسلامية ، وأحصرها مبدئيا فى ثلاثة :

(الأولى) : يفرض على المسلمين التفكير الجدى فى تحقيق الوحدة ابتداء من التقريب بين المذاهب الكلامية والفقهية والسياسية ، وهذا عمل العلماء من ائمة تلك المذاهب وعمل الجامعات الاسلامية فى ندواتها وبحوثها، ومن عمل رجال التشريع والفقه الاسلامى . وعمل المناهج التربوية . وهو أخيرا انجاز يتوقف على ارادة الحاكمين حين يستشعرون المسئولية المصيرية التى هم مطوقون بها أمام الله ، وأمام شعوبهم وأمام تاريخ أمتهم.

ان تعدد الأنظمة السياسية للبلاد الاسلامية شىء ممكن وجائز ، ولكن هناك حد أدنى من الاتفاق هو الاطار الاسلامى الذى ينبغى أن يحيط بها جميعا ، فلا بد أن يكون التشريع الاسلامى هو المعمول به . وأن يكون تعدد المذاهب الفقهية عنصر تكامل وائتلاف لا عنصر تناقض واختلاف ، ولابد أن يخرج الفقه الاسلامى قبل ذلك من جموده ليواكب حركة الحياة العصرية ، وأن يشعر المسلمون جميعا هنا وهناك بانهم يحتكمون الى شريعتهم ، ويتعاملون مع القوانين الوضعية الأخرى فى ظل هذه الشريعة وفى مراقبتها المستمرة ، وحينئذ يشعرون بما يشدهم الى هذه الشريعة من أواصر . وما يشدهم بعضهم بعضا من التزامات واحدة .

(الثانى):يفرض على المسلمين قاطبة اعتبار اللغة العربية اللغةالأولى بعد اللغة القومية ، بالنسبة لغير الشعوب العربية ، وذلك يستمد المسلمون عبر مراحل محددة للتفاهم بلغة واحدة هى لغة القرآن ولغة التراثالمشترك، والتاريخ العظيم الذى تشترك فيه جميع الأمم الاسلامية . ولا يجد فى هذه الدعوة حرجا الا الذين فى قلوبهم مرض من هذه الوحدة المنشودة ، لانا نعلم أنه ما من أمة اسلامية اليوم الا وتوفر لأبنائها مستويات التعليم كلها ، بلغتين فأكثر حسب مستويات التعليم ومناهجه ، فان دخلت اللغة العربية ضمن هذا العدد وفى جميع المستويات ، وتوحدت المناهج نسبيا ، وروعى فيها الحد الأدنى المشترك من اللغة عاد ذلك بأعظم الفائدة على المسلمين جميعا . واذا كنا نعلم أن تلاوة القرآن لا تكون الا بلغته العربية وأن ترجمته لا تعتبر قرآنا فما المانع من أن يؤهل كل مسلم فى البلاد الاسلامية ليتصل بكتاب الله اتصالا مباشرا ، فيقف على أسراره واعجازه ؟

(الثالث):يفرض على المسلمين وحدة المناهج التعليمية والتربوية الى جانب المناهج التوطنية ، وليس معنى ذلك اننا ندعو الى منهجين فى المؤسسة الواحدة وانما معناه أن هناك قاعدة مشتركة لتكوين المسلم فى

المدرسة والجامعة ، تصله بتراثه وعقيدته وحضارته أولا ، وتغرس فيه أصول الشخصية الاسلامية بروحها ومقوماتها فيكون البحث العلمى والتكوين الثقافى منصبا على البيئات الاسلامية أولا ثم يستوعب بعد ذلك العناصر الأخرى المطلوبة فى هذا التكوين . وبذلك يعيش المسلم المثقف ضمن ثلاث دوائر ذات محور واحد ، دائرة الاسلام بتاريخه وتراثه وبيئاته ، ودائرة المجتمع القومى الاقليمى الذى يعتبر بيئة أولى للمسلم ، ودائرة الحضارة الانسانية العالمية المعاصرة .

فاذا سنعت شعوب العالم الاسلامى الى تحقيق هذه الأهداف التشريعية واللغوية والتربوية فانها بذلك تتجه فى طريق الوحدة الاقتصادية والسياسية المنشودة . وهذه أهداف تتطلب عمل أجيال متلاحقة وتلك هى آفاق العمل المستقبلى الذى نرجوه للشعوب الاسلامية . وأمام تحقيقه سنخوض صراعا لا يعلم الا الله مداه ، لأن تحقيق الوحدة الاسلامية لا يتم الا بتحقيق الاطار الروحى والفكرى والتربوى لها ، وهذا ما تسعى لاحباطه القوى الكبرى التى تتحدانا فى هذا العالم المعاصر ، وهى الصهيونية والشيوعية والامبريالية الغربية .

عبد الرحيم بن سلامة

★★★

الكتلة الاسلامية بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الشرقية

(يناير ١٩٥١)

قال المرحوم المهندس توفيق عبد القادر :

لا تجعلون فى قلوبكم عقيدة سواها وهى احياء الامبراطورية الاسلامية الخامسة » . نشط رجال الغرب — ذاقوا الامرين من المسلمين — فلم ينسوا الثأر لاسلافهم ولما رأوا التهاون بين المسلمين باديا بثوا سمومهم وأطلقوا دعاياتهم . وأوقعوا الفتنة والعداوة البغضاء بين المسلمين اذاعوا من القوميات البغيضة وبذلك تم لهم تقويض ذلك البناء الشامخ الذي ورثناه عن اسلافنا الغزاة الفاتحين . لقد اخذنا عن الغرب العزة القومية ونجح فى تشتيتنا والنيل منا . هل حصلت كل أمة على انفراد على طالبها وتحققت الوعود التى من أجلها شرعت سيوفها واغمدتها فى أعناق شعوب اسلامية أخرى بعد أن كنا امبراطورية اسلامية تعمل لتهديدها كل حساب ، أصبحنا قطيعا ممزقا من الأمم .

ان العلاج لا يكون الا على أساس اعتبار دول الشرق الأوسط مجموعة واحدة تدور حول فلك واحد وتهتدى بهدى سياسة واحدة اقتصاديا وصناعيا وتجاريا وحربيا وسياسيا ، ومن ثم يمكن أن نبدأ ان نقف على قدم المساواة مع كلتا الكتلتين .

* * *

* ظهر أن الكتب الاسلامية القديمة التى كانت فى سمرقند وبخارى وغيرها من المدن صاحبة المجد العريق فى تاريخ الفلسفة والعلوم الاسلامية قد اختفت من المكاتب فجأة وظهرت مكانها كتب أخرى من الشيوعية ، وفى ١٩٤٩ نشرت أكاديمية العلوم فى موسكو ٤٣ كتابا عن الدراسات الشرقية فيها كتب هامة عن العرب والأدب العربى الحديث .

وفى فبراير ١٩٤٩ أعلن رئيس حرب الرابطة الاسلامية بباكستان : السيد شاودرى أنه ينتظر اليوم الذى تصبح فيه الدول الاسلامية على

استعداد لتشكيل هيئة سياسية عالمية ليعرض على العصبة فكرة اقامة دولة اسلامية عالمية .

وقال مراسل رويتر : ان وفود الدول الشرقية التى اشتركت فى المؤتمر الاسلامى أظهرت اهتماما كبيرا بفكرة اقامة دولة قرآنية تحتضـــن الدول الاسلامية المستقبلة .

ويرى شودرى : ان الباكستان جزء لا يتجزأ من الشرق الأوســط ويدعو الى انشاء (اسلامستان) أى ادماج الدول الاسلامية تحت لــواء واحد .

وفى يوليو ١٩٤٩ صرح نجم الدين صادق وزير خارجية تركيا أنه اذا كونت البلاد الاسلامية وحدة دولية فان تركيا لا تتردد فى الانضمام لها ذلك لأن المنافع المشتركة تحميها هذه الدول . ان موقف تركيا تجاه الخطـــر الشيوعى هو الموقف الذى يحملها ما لا طاقة لنا به من النفقات الباهظة .

كراتشى فى ١١ يناير ١٩٥١ :

عرض رئيس فرع جمعية العلماء الاسلامية بالباكستان : أربع نقاط لتوحيد البلدان الاسلامية :

١ ــ استخدام اللغة العربية كاحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد الاسلامية .

٢ ــ اقامة كتلة اسلامية مستقلة فى هيئة الأمم أو اقامة هيئـــة اسلامية منفصلة .

٣ ــ استخدام عملة مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الاســـلامية .

٤ ــ رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلدان الاســـلامية .

* * *

عقد المؤتمر العالمى الاسلامى فى كراتشى : ٩ فبراير ١٩٥١

٢٦ أمة حضرت من أنحاء العالم الاسلامى من فنلندا الى سنغافورة.

الغرض من المؤتمر : توثيق الروابط الروحية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب الاسلامية على وجه البسيطة .

قال السيد أمين الحسينى : ان الوحدة العربية ليست الا جزءا صغيرا من الاتحاد الاسلامى الأكبر وقال لياقت على : ان كل مسعى يهدف الى جمع كلمة المسلمين فى جميع أنحاء العالم وبث روح الاخوة فيهم ، المسلمون يستطيعون على اختلافهم المساهمة فى قضية المسلم وتقدم البشرية على هدى من مبادىء الاسلام وتعاليمه .

ودعا أغا خان يدعو المسلمين الى التعاضد (دكا — شرق باكستان) ١٩٥١/٢/٣ الحاجة الى قيام اتحاد وتماسك تام بين شعب هذه الدولة المسلمة رغم كونها اكبر دولة اسلامية فى العالم . ان وصف باكستان بالدولة الاسلامية يفيد انها ستتابع ذات المثل العليا فى المساواة والمعاملة الرحيمة للجميع .

وصرخ ستة ملايين تركستانى من مسلمى التركستان من جراء السياسة الشيوعية وذلك منذ ١٩١٨ : اغلاق المساجد واعتقال العلماء والقبض على جميع علماء الدين الاسلامى وقتلهم ودفعهم الى سبيريا عامى ١٩٣٠/٣٩ وذلك عندما قام الشيوعيون بحركتهم الشاملة لاجتثاث العقيدة الاسلامية من نفوس معتنقيها .

★ ★ ★

(٧٣)

الاســـلام قوة الغد العالمية

باول شمتز (الاسلام قوة الغد العالمية) صدر ١٩٣٩

أسس القوة النامية فى العالم الاسلامى : أمران يؤثران تأثيرا كبيرا الأمر الذي يؤدي به الي أن يصبح قوة عالمية :

١ ـــ وفرة السكان : الزيادة المضطردة فى عدد ســـكان العـــالم الاسلامى ما اثرها فى ميزان القوى بين الشرق والغرب ، هذه الظاهرة تثير القلق والانشقاق أو يثير التفاؤل والأمل

٢ ـــ ما توصلت اليه الابحاث من أن فى بطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفى لقيام صناعية تضارع مثيلاتها فى أوربا بل سيكون لدى الشرق فائضا من المواد الخام تجعله أولى المناطق المصدرة لها فى العالم .

وقد دلت الدراسات أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها كل ما لدى الشعوب الاوربية ، وسوف يمكن الزيادة فى الانتـــــاج البشرى الشرق على نقل السلطة فى مدة لا تتجاوز بضعة عقود الى عشرات قليلة من السنين ويعكف الباحثون فى أوربا على دراسة الظواهر التى تشير الى الانخفاض المستمر فى عدد السكان ويحاولون تبديد التشاؤم الذى سببه نتائج دراسة احصائيات تعدد السكان .

واذا استمر معدل هذه الزيادة فى الاضطراد سيبلغ بعـــد ٦٠ عاما حوالى ٣٢ مليونا وبعد مائة سنة يزداد سكان مصر الى ٤٩٫٦ نسمة ان الاضطراد فى زيادة عدد السكان يخلق مشاكل لا حصر لها ويبذر بذور القلق فى مسارات السياسة الدولية ولا يقتصر ذلك على مصر وحدها بل سيوجد

أيضا مع اختلاف بسيط فى الشرق الاسلامى كله ويتوقع المراقبون أن تكون هذه الظاهرة احدى نقط انطلاق النزاعبين الشرق والغرب .

* ابعاد مؤثرات القوى البشرية التى تسهم الى حد بعيد فى بناء قوة عالمية. لقد وقع الصراع بين القوى الأوربية العظمى وبين الشعوب الاسلامية بدراسات مقارنة فى المجال السكانى للوقوف على اتجاه ميزان القـــوى من الناحية البشرية بين الطرفين وهو صراع نتج عن اتجاه اوربا فى التوسع الاستعمارى الى ضرورة القيام الناحية البشرية بين الطرفين وهو صراع نتج عن اتجاه أوربا فى التوسع الاستعمارى الى ضرورة القيام .

* التفوق فى الانتاج البشرى فى المنطقة الاسلامية سوى يؤثر تاثيرا بالغا على العلاقة بين الشرق والغرب فى عشرات السنين .

* رفض سياسة تحديد نســل :

على الفرض بأن الثراء فى المواليد دعامة المستقبل السياسى للشرق الاسلامى فالخصوبة فى الانتاج البشرى محمودة ، ويجب أن تشجع فيرسل لها العنان ، بل يقوم لها من الامكانيات ما يمكنها من اعطاء كل ما لديها حتى يرتفع عدد السكان فيمكن على المدى الطويل من التفوق على البلاد الغربية التى ينقص سكانها باستمرار لأن مجتمعاتها لا تتمتع الآن بالخصوبة البشرية التى توجد فى الشرق .

سيتضاعف عدد السكان فى العالم الاسلامى فى مدى عشرات قليلة من السنين . الدعوة الى الأخذ باسباب نمو القـــوة البشرية عن طـــريق تشجيع النسل ومحاربة الدعوة الى تحديده ، يزيدون يوما بعد يوم ، وأن تفوق أوربا فى التكنولوجيا على الشرق ينقص عاما بعد عام لأن الشعوب الاسلامية اتجهت الى تطوير نفسها وبناء حضارتها بالوسائل الهندســية الأوربيـــة .

★ ★ ★

(٧٤)

التضـــامن الاسلامى

جاءت دعوة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الى التضـــــامن الاسلامى وقد بداها برحلاته الى مختلف اجزاء العالم الاسلامى ، بزيارة ايران (شعبان ١٣٨٥) الاردن ، السودان ، الباكستان ، تركيا ، المغرب ، تونس ، غينيا ، مالى ، الكويت ، الجزائر .

علينا نحن المسلمين تقع المسئولية بأن ننفقه اولا وقبل كل شيء في ديننا وشريعتنا . ولو فهمنا شريعتنا الاسلامية على حقيقتها لاغتنينا عما نتخبط فيه الآن من تيارات واتجاهات .

إن هذه التيارات وهذه المبادىء وهذه العقائد تعلم حق العلم انه ليس من قوة يمكن أن تقف أمامها ، وتصمد أمام شرورها الا قوة الاسلام وشريعة الاسلام ودين محمد صلوات الله وسلام عليه .

ان دعوة التضامن الاسلامي ليست تحركا سياسيا او مصلحيا انما هي فرض واجب على كل مسلم ، علينا أن نسعى الى التفاهم والتعاون فى سبيل الله ثم فى سبيل أوطاننا وامتنا . ان خشية الصهيونية من التضامن الاسلامى ليست غريبة علينا فنحن نريد أن نكافح وندافع لتحقيق أطماعها وتوسعها فيما اغتصبته من بلاد اخوانكم وأمتكم ولا غرو أن تنهض لمكافحة هذه الدعوة الخيرة الطيبة .

* اننا نسعى الى السلام ونسعى الى التآخى ونسعى الى التفاهم ولكن ليس معنى هذا أن نضحى بمبادئنا وعقيدتنا واسلافنا فى سبيل هذا التآخى وهذا التفاهم .

ان الدعوة الى التضامن الاسلامى مسئولية المسلمين جميعا وانني

أوجه نظر اخوانى من العرب الى أنهم مسئولون عن هذه الدعوة أكثر من غيرهم لأن الله سبحانه وتعالى اختار نبيه صلوات الله وسلامه عليه منهم وانزل كتابه بلسانهم وحملهم امانة ايصال هذه الرسالة الى بقاع الأرض.

وعندما حلت نكبة الخامس حزيران ١٩٦٧ بدأت دعوة التضامن الاسلامى تكسب ابعادا جديدة وفى اعقاب اقدام العدو الصهيونى على جريمة احراق جانب من المسجد الأقصى (٢١ أغسطس ١٩٦٩) دعا الملك فيصل الى مؤتمر قمة اسلامى فى ضوء ما حققته دعوة التضامن الاسلامى من عمق فى الأوساط الاسلامية المختلفة ، وفى ضوء هذه الخلفية انعقد أول مؤتمر قمة فى تاريخ الاسلام بمدينة الرباط (٩ رجب ١٣٨٩ — ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩) اتخذ المؤتمر اعلانا يستنكر فيه جريمة احراق المسجد الاقصى ويسجل تمسك الأمة الاسلامية بالقدس عربية اسلامية وضرورة انسحاب القوات المعتدية علينا كما أعلن المؤتمر مساندته القائمة للشعب الفلسطينى لاسترجاع حقوق المغتصبين ، ومواصلة نضاله من أجل تحرير وطنه .

ثم عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الأول فى ٢٣ مارس ١٩٧٠ حيث تقرر انشاء أمانة عامة للمؤتمر تكون مقرها «جدة» لحين تحرير القدس حيث مقرها الأصلى . وبهذا المؤتمر بدأ العالم الاسلامى خطواته الفعلية والتضامن الاسلامى حيث أرسى أساس الامانة الاسلامية الدائمة .

ومضى الملك فيصل الى جولة أخرى شملت ماليزيا واندونيسيا وافغانستان تم بها دعم دعوة التضامن الاسلامى وتحقيق أبعاد اعمق فى مضامينها ثم عقد بعد ذلك عديد من المؤتمرات : مؤتمر كراتشى ، لوزراء الخارجية الاسلامى ، مؤتمر ميثاق التضامن الاسلامى ، مؤتمر القاهرة لدراسة مشروع البنك الاسلامى ، مؤتمر الرباط للمراكز الثقافية الاسلامية، وزراء الخارجية الثالث ميثاق التضامن الاسلامى ثم جاءت المرحلة الثالثة مؤتمر طهران لدراسة مشروع انشاء وكالة الانباء الاسلامية ، ثم أقر مؤتمر من رحلات التضامن الاسلامى وشملت اوغندا وتشاد والسنغال وموريتانيا والنيجر .

وقد وجهت ضربة قاصمة الى محاولات التسلل الصهيونية فى أفريقيا ودخل عدد كثير من الدول الاسلامية فى اطار مظلة التضامن الاسلامى .

وفى مؤتمر لاهور (فبراير ١٩٧٤) اشتركت ٣٧ دولة اسلامية ثم دعم مشروع البنك الاسلامى للتنمية حيث برز الى الوجود ليسهم فى دفع عجلة البناء الحضارى فى الوطن الاسلامى ، وبرز مشروع صندوق التضامن الاسلامى ليكون رافدا لكل مشاريع الخير .

ثم عقد اول مؤتمر للمنظمات الاسلامية فى العالم فى مكة المكرمةبدعوة من الرابطة . كما عقد مؤتمر وكالات الانباء الاسلامية حيث انشئت امانة عامة لهـا .

توفى الملك فيصل رحمه الله فى ربيع الاول ١٣٩٥ .

عبد الكريم حداد

★ ★ ★

(٧٥)

معارضة الوحدة الاسلامية : دعوات القوميات والاقليات

ما يزال مفهوم القومية (المفهوم الغربى الوافد) هو اكبر عقبة امام وحدة اسلامية شاملة، فقد اتسع نطاق هذه المفاهيم الوافدة حتى اصبحت بمثابة مسلمات وساعد ذلك على تعميق الفروق ، الدعوة الى القوميات المحلية (الاقليمية) بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضى السابق للاسلام وتمجيد الحضارات التى قاومت الاسلام والتى هزمها الاسلام سياسيا وعسكريا .

والسؤال هو: لماذا ركز الفكر الغربى على مفوهم القوميات والاقليميات فى البلاد الاسلامية ، هل من اجل اسقاط الجامعة الاسلامية ام من اجل اقامة القومية اليهودية ام من اجلها معا ؟

ان قمة خطة المؤامرة : ما قام به لورنس فى دعوة القوميات وكانت نتائجها معاهدة (سايكس باكو) بالتقسيم ووعد بلفور معا . يقول مجيد خورى فى كتابه الاتجاهات السياسية فى العالم العربي : لقد كان رعايا السلطان المسيحيون اول من استجاب للدعوة القومية وكان المفكرون العرب المسيحيون اول من نادى بالقومية العربية دون ربطها بالاسلام ، ثم نشرت هذه الافكار المسيحية دون ان يدركوا ما وراءها فانفصلوا عن الدولة العثمانية وساعدوا الانجليز فى الحرب فتمت بذلك المرحلة الالى من الخطة .

وكان موقف جاويش ورشيد رضا وشكيب ارسلان من العثمانية مختلفا ، وقد جرى تنشيط الاقليات فى خدمة الاستعمار وخدمة الصهيونية وخدمة الماركسية .

ان فكرة القوميات والاقليميات فكرة طرحها الاستعمار الغربي فى اوائل هذا القرن لتمزيق الامة الاسلامية وتصفيتها وقد نجح فى ذلك الى حد كبير .

لقد وضع لنفوذ الأجنبي ثلاث خطط :

* تمزيق الوحدة الاسلامية الى امم .

* تمزيق العرب الى اقليميات واوطان .

* تمزيق كل وطن الى عقائد ونحل .

وما تزال القيم الاسلامية التقليدية تحول دون ذوبان الشخصية

الوطنية هذه القيم التى لم تستطيع محوها والحلول محلها القيم الأوربية ، فقد نقل الاسلام الناس من اختلاف الاجناس الى اتحاد المشاعر ، ومن العنصرية الى الانسانية وتحاول دعوات الغزو العسكرى اعادته مرة اخرى الى العنصرية والأجناس لتدمير وحدته القائمة على وحدة الفكر اساسا ففى الاسلام تفوق رابطة الفكر والعقيدة رابطة العنصر والدم .

ولقد أبرزت هذه الوحدة السلاجقة والإيوبيين والمرابطين والموحدين والمماليك ومسلمون من كل عنصر اشتركوا فى بناء الفكر الاسلامى ودافعوا عن (لا اله الا الله) وعن لغة القرآن .

ولقد بدأت القومية العربية والاسلامية معا ، اللغة العربية لغةالعرب ولغة الاسلام نفسه ، الاسلام كفكر هو ثقافة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم ، والتاريخ كاللغة والاسلام اساس من مقومات الفكر عند الاتراك والفرس والافغان والعرب والباكستانيين ، لم يدع الاسلام الى التخلى عن القومية وانما شجعت الدعوة العنصرية القائمة على الدم والانساب ومنع التفاصل بها والاسلام ليس دينا للمسلمين وحدهم ولكنه روح الفكر والثقافة فى الشرق . والعرب لاسلام كل شىء والعرب بدون الاسلام لا شىء ، واذا ذل العرب ذل الاسلام والعرب مادة الاسلام .

يقول الفريد كانتول سميث : الاسلام هو الذى خرج بالعرب من ديارهم الى العالم فالاسلام سبب عظمة العرب الدينوية والعرب هم الذين نشروا الاسلام فى بقاع الأرض والاسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى ملأ نفوس معتنقيه فخرا واعجابا وهم ينظرون الى لغتهم بوصفها اللغة التى

اختارها الله لاظهار دينه واللغة التى يتبعها كل من أراد أن يتخذ الاسلام دينا .

ويقول الدكتور عمر فروخ : انه لولا الاسلام لبقى العرب فى جزيرتهم قبائل متفرقة ، لا قدر لها فى تاريخ الحضارة الانسانية فللاسلام على العرب فضل توحيدهم واطلاقهم فى معارج الحضارة والحياة الانسانية العرب توحدوا بالاسلام وان الاسلام جعل فيهم قوة عالمية حاملة لواء الحضارة .

ومفهوم علاقة الاسلام بالعرب تختلف عن مفهوم القوميات الغربية مع المسيحية وقد اعتمدت الروح القومية فى العالم الغربى بفكرة التفوق العنصرى كما اعتمدت فى كثير من الاحيان على تزييف التاريخ من غير قصد أو بقصد فجعلت كل أمة تعتقد أنها أرقى أمة واسمى عنصرا واخصب ثقافة من غيرها من الأمم كما جعلت كل أمة تفسر التاريخ من زاويتها فقط (برتراند رسل) .

ويقول أرنولد توينبى : اكره فى القومية التعصب الذى يطيح بالكثير من القيم الانسانية ويثير الحروب والفتنة .

★ ★ ★

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢)

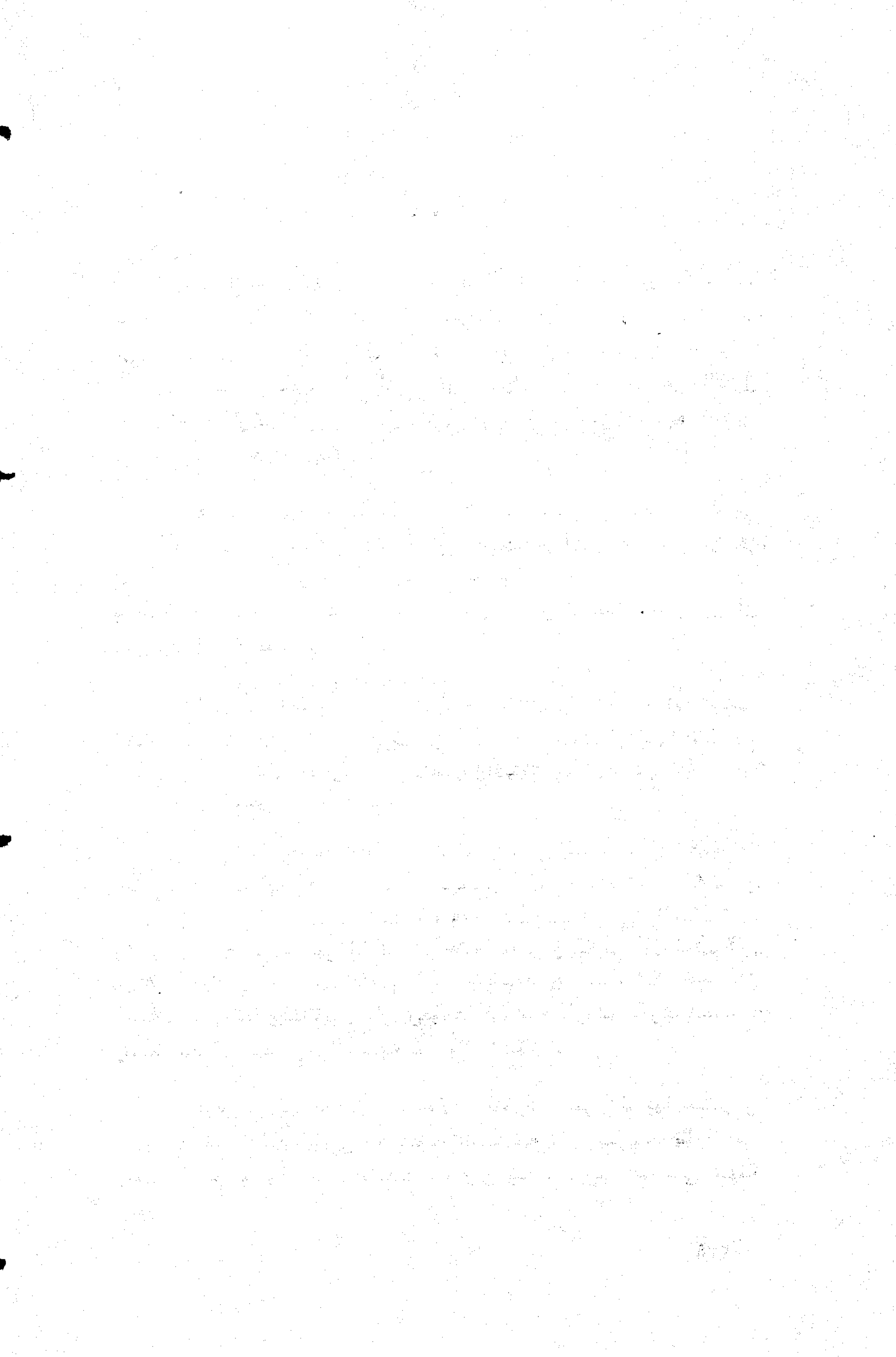
ويقول الاستاذ حسن التل : ان دعاة القومية يتجاهلون الاسلام تجاهلا كاملا رغم أن الأمة العربية لم تعرف منذ عرفت التاريخ أى شكل من أشكال الوحدة الا فى ظلال الاسلام ، والاسلام هو الذى عرب سوريا والعراق ومصر والشمال الافريقى وهو الذى حمل العرب الى الشرق الأقصى وأوربا وقلب أفريقيا ودخل بهم موسكو ووصل على شاطىء البلطيق فى أعماق الاتحاد السوفيتى .

ان هجمة دوائر الاسلام والاستشراق نجحت فى تجميد حركة الوعى ولكن الأحداث التى يعيشها العالم اليوم أثبتت أن الاسلام أكبر من كل المؤامرات وأن المسلمين رغم كل وسائل التعتيم والذل التى مورست لتحول بينهم وبين الاسلام قد فشلت جميعها حتى اضطر المراقبون الغربيون أن يعترفوا بهذه الحقيقة .

ان الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها حركة القومية العربية أنها قسمت الشعب الى شرفاء وخونة فاعتبرت كل الذين لاذوا بدينهم ورفضوا الانسلاخ عن اصولهم فى قائمة الخونة اما الهتافين والانتهازيين من الذين ركبو موجة التقدمية فهم الاشراف .

ان عدم فهم الحركة التقدمية للاسلام وتجاهلها للشعوب الاسلامية قد أضاع منها فرصا كثيرة ، وخسرها خسارة فادحة فقد أثبتت الأيام أن المسلمين هم الرديف الطبيعى للعرب ، وأن امتدادهم الثقافى والعسكرى واحترامهم الحقيقى هو فى الارض الاسلامية فالقرآن الكريم حمل لغتهم الى مجاهل أفريقيا ونشرها فى اقاصى الأرض وجند لها رجالا فى كل أصقاع الاسلام يخدمونها ويحافظون على وجودها فى أشد ظروف العرب انحطاطا وتخلفا احتراما للقرآن واستجابة لتعاليم الاسلام .

ان الغربيين بالرغم من محاولات التخريب التى قام بها بطرس اليهودى وقسطنطين الوثنى لتشويه النصرانية فان الغربيين ظلوا على ولائهم للمسيحية وائتمانهم الشديد لها وأن نصت دساتيرهم على علمنة الدول .



(٧٩)

بالاســـلام وحده

يقول باول شميتز : (الاسلام قوة الغد العالمية) :

« سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء من المنطقـــة التى قامت فيها القوة الاسلامية العالمية فى الصدر الأول للاسلام وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما ادرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الافادة منها وستنقلب موازين القوى لأن قوة الاسلام قادمة على أسس لا تتوفر فى غيرها من تيارات القوى العالمية . »

ولا ريب ان بعد نظر هذا الكاتب الغربى الذى قال هذا الكلام منـــذ خمسين عاما تبدو اليوم كأنها من الحقائق .

يقول محمد اقبال : أن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور وليست دجلة والنيل والدنواب الا أمواجا صغيرة فى بحره المتلاطم، عصوره عجيبة ، وأخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق ، وغير مجري التاريخ، هو فى كل عصر ساقى أهل الذوق وفى كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائما وسيفه ماض فى كل معركة . وهذا الذى قاله محمد اقبال مضى عليه أيضا نصف قرن .

وفى السنوات الأخيرة جاءت الصور تترى لتكشف عن خيط واحد على الطريق الذى لم تنكشف ابعاده بعد ولكنه هو الطريق الذى لا ريب فيه

معركة الجزائر : استمرت سبع سنوات من عنابه شرقا الى تلمسان غربا . من جامع سيد عبد الرحمن بحى القصبة مركز التعبئة الشـــعبية

بالعاصمة الى تيزى اوزو فى منطقة القبايل الرابعة معقل الكتيبة الأولى لهيئة المعركة :

(يا محمد مبروك عليك ـ الجزائر رجعت اليك)

المجاهدون الجزائريون الذين صمدوا سبع سنوات فى كهوف الجبال وعاشوا على الكفاف وقاوموا الامبراطورية الفرنسية بجيوشها وطائراتها قالوا : ان كتاب الله الذى كان يحمله كل واحد منا أقوى من المدافع فى يد اعدائنـــا .

ثانيا : العاشر من رمضان على أرض سيناء شرقى القناة : هتاف الله أكبر وخروا ساجدين فوق رمالها ، الذين عبروا القناة وحطموا خط بارليف قالوا : قبل التدريب الشاق والاسلحة الحديثة كان الايمان . كان هـــذا الايمان مددا لقوة عجيبة ، كنا نشعر كأن جيوش الله عبرت قبلنا ومهـــدت طريقنا .

وعندما يتحدث التاريخ عن حقيقة هزيمة (٥ يونيو) سوف يقول أن من أسباب الكارثة أن بعضنا توهم أن التقدمية انتظار لله وان الدين لا يتفق مع التكنولوجيا وأن التمسك بالدين رجعية واقطاع .

عندما تنكرنا لله نسينا الله وفى ١٠ رمضان عندما عرفنا الله عرفنا النصر .

ثالثا : السادس من نوفمبر : المسيرة الخضراء .

مئات الألوف المصاحف فى أيديهم ، دخلوا الصحراء وسجدوا فيهـــا باسم الله أكبر .

هذه بواكير النصر وعلامات الطريق والحذر الحذر من تغيير الهوية والانحراف عن الطريق فان العدو رأى فى هذه المواقف الثلاثة خطرا صاعقا على وجوده وكيانه فحاول أن يفسد الوجهة ولكن عندما تتسع كلمة الله أكبر ستحقق نصرا أكبر .

★ ★ ★

ثالث عشر

مصر والنفوذ الغربى

(٨٦) نابليون فى مصر

(٨٧) من تقارير كرومر : فى التعليم

(٨٨) الجامعة الاسلامية والحركة الوطنية فى تقرير كرومر ١٩٠٦!

(٨٩) محمـــد عـــلى

(٩٠) بلنت : التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر

(٨٦)

نابليون فى مصر

ترى المدرسة الوطنية لتفسير التاريخ ان (نابليون) كان مستعمرا وان حملته على مصر كانت فاتحة الهجوم الامبريالى على العالم الاسلامى وبداية لحملة التغريب التى ستعم الغرب الآن بقطف ثمارها . وترى المدرسة الاستعمارية ان احتلال نابليون لمصر كان عامل خير ونهضة وبركة لأنه نقل الى الشرق مبادىء الثورة الفرنسية . وان عصر النور قد جاء عام ١٧٩٨ عندما جاء نابليون وحطم ذلك السور العثمانى الذى حال دون اتصال مصر بأوربا ثلاثة قرون كاملة .

ويقول الاستاذ أبو عدنان عبد القادر ابو شيخى : هل حقا كانت مهمة نابليون حضارية ، وما هى بذور النهضة التى زرعها فى مصر أثناء احتلاله .

لقد استمر استغلال اليهود للثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية وغذوا القوة الحقيقية التى ترهب الشعب الفرنسى تحت ستار الشعار المزيف للحرية والمساواة والاخاء وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا الى نابليون انتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا فى الاتصال به والايحاء اليه عن طريق مستشارية من اليهود ثم قدموا له مذكرة قالوا فيها انه ما من أمر من الأمور التى تلفت نظر العالم اليوم يستحق الاهتمام كالمصير الذى ستؤول اليه مصر ، فستجد كل انسان يتلهى فى اختراع المشاريع لمساعدة بونابرت وتثبيت هذه المستعمرة لفرنسا ومدى الفوائد التى سيجنيها نابليون من استغلاله أموال الصهيونية وخبرتهم فى التجسس والتخريب حتى قال : ان على فرنسا أن تمنح اليهود الأرض التى سيقيمون عليها وطنهم وجمهوريتهم ومصر هى على وجه التحديد هى التى اتجهت اليها آمال امنياتهم لتكون ارض عودتهم بعد تيههم الثانى وتقترح المذكرة على نابليون أن يستدعى اثنين او ثلاثة من زعمائهم ويقول لهم : اتجهوا بأنظاركم الى مصر ، تلك الأراضى الجميلة بعد خلاصها من العثمانيين وبلغوا اقتراحاتنا الى اخوالكم التائهين فى الأرض وليجمعوا الأموال فيبتاعوا ذلك الربع من مصر الذى يجاور برزخ السويس والبحر الأحمر » أما الثمن الذى يقدمونه لنابليون ـ بعد الأموال ـ فهو أن يكونوا فى يده اداة تخريب واضطراب ، فاذا استطاعوا عن هذا الطريق

الدخول الى عقر آسيا فانهم انما يحملون معهم الصناعة والفنون والعلوم الأوربية ، كما انهم يقدمون عنصرا استعماريا متينا ثابت الاركان قد يكون ضروريا كيما يقوم فى آسيا مقام الامبراطورية الاخذة فى الانحلال : امبراطورية العثمانيين ويقدم لهم اهم الضمانات لبث الفوضى واشعال الفتن واحلال الأزمات للقضاء على الاتراك جملة واحدة (الأفعى اليهودية فى معاقل الاسلام : عبد الله التل) وعندما رفع (باراداس) المشروع الى نابليون استصوب الفكرة واستعان بعلماء اليهود وخاناتهم على صياغة النداء الذى تقول بان الأمة الفرنسية تقدم لكم الآن على الرغم من كل العقبات مهد اسرائيل ، يا ورثة فلسطين الشرعيين ، ان فرنسا تناديكم الآن للعمل على اعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فقد منكم .

الهدف ان يمنحهم نابليون قسما من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب الى فلسطين والمقابل هو المال وان يكونوا فى يده اداة فوضى وتخريب وتثبت للاستعمار الفرنسى هذه هى مهمة الامبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الانسانية ، ولما كان نابليون يعلم على اليقين ان العدو اللدود الذى سيواجهه ليس جنود المماليك وانما (الاسلام) : ذلك الطور الراسخ والجبل الأشم الشامخ الذى تكسرت عليه موجات الصليبيين وبقى للشرق شرقا .

ولذلك فان نابليون عندما قرر استعمار مصر كنقطة انطلاق لبناء امبراطوريته الشرقية ، بدأ بدراسة الاسلام وطلب القرآن وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية .

ووصل به الأمر الى حد ادعاء الاسلام وذلك فى محاولة لتملق عواطف المسلمين وتنويم الشعور الدينى فقد أصدر الى المصريين منشورا جاء فيه : « لا اله الا الله ولا ولد له ولا شريك فى ملكه » من طرف الفرنساوية المبنى على الحرية والمساواة السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه أيها المشايخ ، والقضاة والائمة واعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية أيضا مسلمون مخلصون .

وقد استعمل نابليون كل وسائل الترغيب والترهيب لجر شيوخ الازهر واستعمالهم اداة لكبح جماح الجماهير ، ولما لم يفلح ثار غضبه فأمر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهاونز والمورتار بأن تسدد المدافع الى الجامع الأزهر وما حوله من احياء هى مركز الثورة ، وبدأ ضرب الازهر بالقنابل حوالى الظهر واستمر الى المساء واصدر بونابرت أمرا الى الجنرال بون بأن يبيد كل

من فى الجامع (نفس ما قاله التتار عندما اقتحموا مساجد بغداد) واخيرا حقق نابليون حلمه ودخلت خيله الأزهر مركز قيادة المصرية ورمز سيادتها . دخلوا وهم راكبون خيول وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورنه وربطوا خيلهم بقبلته،وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع ودشتوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها وكما فعل اليهود عندما دخلوا المسجد الاقصى) .

واحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا الآنية .. هذه هى بذر الحضارة (اقرأ:ودخلت الخيل الأزهر)و(الاستعمار احقاد واطماع)فستجد ما تستطيع تصديقه بسهولة وخاصة اذا كان ممن بهرتهم الدعاية الاستعمارية الصهيونية عن الثورة الفرنسية واثارها الحضارية فى الشرق والغرب ، فسيرى الجيش الذى فتح لنا نافذة على العصر الحديث كيف عامل النساء وكيف استخدم الوسائل الدنيئة فى اغتصاب الأموال وابزازها وانتهاك المحرمات والاعدام بالجملة وبدون محاكمات وكيف أن نابليون كان يصدر الأوامر بالاقتصاد فى الرصاص واستعمال السكاكين واسنة البنادق ، والاغراق فى النيل ، الى غير ذلك مما يندى له الجبين ويعتبر وصمة عار فى تاريخ الاستعمار ، وانطلقت قوات نابليون تنهب وتذبح العرب على طول الطريق من العريش الى عكا ولما دخلوا يافا أعملوا السيف فى نحو الفى جندى من الحامية كانوا يحاولون التسليم وراح الفرنسيون يقتلون اعداءهم كالمجانين فى طول ذلك المساء كله والليل كله . وما تزال الصفحات التى كتبها (مالو) فى وصف هذا المشهد البشع تتجاوب بشعور الفزع والخزى وفى يافا كان النهب والسلب وشق البطون وهتك اعراض البنات وهن ما زلن فى أحضان أمهاتهن المائتات وبعد أن أعطى نابليون الأمان للحامية المستسلمة (ثلاثة آلاف جندى) حتى أمر بذبح كل الحامية المستسلمة .

ومن يتصفح كتب تاريخ والأدب التى يؤلفها انصار المدرسة الاستعمارية وبعض المخدوعين بتفسيراتها التاريخية يلاحظ التركيز على سنة ١٧٩٨ وكأنها بداية للتاريخ الاسلامى الحديث . ففى هذين العامين هوجم رمز السيادة مركز القيادة الدينية والدنيوية (الجامع الأزهر) وكان الهدف هدم البيت كوسيلة للقضاء على القوة الروحية التى يستمد منها الشعب قوته . وقد انهزمت هذه القوة وارغمت على الانسحاب .

عندما عاد نابليون الى فرنسا مهزوما وانكشفت له خطط اليهود الماكرة قال : ان الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز لنا أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا (الأفعى اليهودية فى معاقل الاسلام ص ٢٦) لقد صدق نابليون كانت فى بلاده جمعية سرية تسوس البلاد من خلف الستار

ولما تحققت من فشله تخلت عنه وتركته يلقى مصيره المحتوم بعد معركة (واترلو) التى لعب فيها المال اليهودى لعبته المزدوجة ، أما الجمعية المشار اليها فهى الماسونية : وقد اكد الجنرال لودندروف عندما قال « ان الماسونية هى التى قضت على نابليون) .

والماسونية التى حطمت شبح نابليون هى التى نحتت تمثال مصطفى كمال بعدما انتقل راس الافعى من باريس الى استانبول ، لقد فشل نابليون وكان الاسلام هو العامل الاساسى فى فشله .

يقول مؤرخ غربى : لم يوفق مستعمر أوربى نابليون فى محاولاته لكسب الاهالى لصفه . فاذا كانت جهوده قد فشلت فشلا ذريعا ، فليس العيب فى سياسته التى كانت تستحق النجاح ، بل هو اولا وقبل كل شيء عيب استحالة المهمة التى كان عليه اداؤها ، كان الاسلام بالطبع هو الحائل الأكبر دون هذا الجو المنشود فى الثقة المتبادلة » .

لقد وقع ما كان محذورا وتحطمت الحملة الاستعمارية على جدران الأزهر ، ولم يكن الأزهر اذ ذاك الا قلعة من قلاع الاسلام الحصينة .

اما قلبه النابض فكان يتمركز باستانبول عاصمة الخلافة الاسلامية ومقر عزها وسيادتها وهكذا ادركوا ان الطريق الى فلسطين لا ينفتح الا بهدم أسوار الخلافة والقضاء على الصبغة الدينية للدولة العثمانية واستمرت مؤامراتهم ودسائسهم ضد الخلافة الاسلامية عقودا عديدة وبلغت ذروتها فى أيام الخليفة الشهم عبد الحميد ، حاولوا فى البداية استعمال سلاح المال فعرضوا عليه مبالغ مغرية لقاء سماحه لهم بالهجرة الى فلسطين ولكنه رفض ، وكان ثمن رفضه هو تنحيته عن الخلافة ، كما اعترف بذلك هو نفسه فى وثيقة اكتشفت (مجلة العربى — ديسمبر ١٩٧٢) وذلك بعد الثورة التى نظمتها الصهيونية بواسطة الجمعيات الماسونية وقام بتنفيذها مصطفى كمال .

* * *

(٨٧)

من تقارير كرومر : فى التعليم

(١)

لا أعتقد أن التعليم الذى يلقن فى المدارس يجعل المصريين أكثر كفاءة للحكم الذاتى التام ما لم يقرن ذلك ببعض الانقلاب والتغيير فى اخلاق الأمة وسجاياه ، وهذا الأمر لا بد أن يكون السير فيه بطيئا على أن ذلك ليس النقطة التى يجب أن نهتم بها فى الوقت الحاضر ، فانى أود فقط أن أبحث فى أمر نفقات التعليم وابين عدم الحكمة فى اتباع سياسة واسعة فيه تقضى بفرض الضرائب الثقيلة :

— الغاء التعليم المجانى .

— التضييق فى ميزانية التعليم من ٨/٧ فى المائة فى الميزانية الى ٤ر١ ٪ « أن ابطال التعليم المجانى وازدياد اجرة التعليم فى المدارس المتفوتحة ليس من دلائل التاخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتيازات استغرقت حتى الآن كل أموال نظارة المعارف وانفاقها على التعليم الموافق لمصلحة أمانى امة عموما ثم أن التعليم المجانى وضع ليستفيد منه الفقير ولكن لم يستفيد منه فعلا الا أهل الغنى والجاه ويحتسبونهم بواسطة نفوذهم ووسطائهم اما التلاميذ المحتاجون المستحقون المساعدة فكانوا مضطرين أن يدفعوا أجرة تعليمهم .

العلاج الناجح الشافى للطلبة الفقراء هو فرض مصاريف

* * *

(٨٨)

الجامعة الاسلامية والحركة الوطنية فى تقرير كرومر سنة ١٩٠٦

لا يخفى ان المصريين كانوا خاضعين لغيرهم اكثر زمانهم فقد حكمتهم دول الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب وبغداد فالجراكسة فالترك آل عثمان فى الختـــام .

ان الجامعة الوطنية المصرية لا تزال الى يومنا هذا من قبيل الناميات من الخارج لا من الناميات من الداخل فهى انما نتجت عن مخالطة مصر لأوربا التى اشار اليها نوبار باشا بفم الخديوى الذى قال ان مصر لم تبق جـــزءا من افريقية ، ثم انها تولدت فى الاذهان من تاثير الفوائد التى فاضت عليها بسرعة لم يكد يسبق لها نظير فى التاريخ بادخال التمدن الغربى اليها على يد أمة غريبة عنهـــا .

احذر الباحثين فى امور مصر من السرعة فى التعميم وتجريد الاحكام الكلية فى أبحاثهم فانهم ينسون ان الهيئة الاجتماعية المصرية مقسومة اقساما عديدة تبعا للمصالح والاراء المختلفة بل المتباينة كما يشاهد فى كل هيئـة اجتماعية أوربية .

اذا قلنا ان الحركة المصرية الحالية ليست الا حركة الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه ولكن لا ريب فى كون هذه الحركة مصبوغة صبغا شديدا بصبغة الجامعة الاسلامية .

ولو سلم الانسان بان الدين اعظـــم قوة محـــركة فى الشرق ، وان الشرقيين لا تخلو لهم حكومة كالحكومة الثيوقراطية .

انى لا زلت مقتنعا ان الميل الى الجامعة الاسلامية متاصل كثيرا فى الهيئة الاجتماعية المصرية ، بل انى واثق انه لو كان المصريون يعتقدون امكان اخراج الاراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة الى العقل لانقلب الرأى العام عليها انقلابا عظيما سريعا .

اتضح ان الجامعة الاسلامية عنصر من عناصر الحـــالة المصرية التى يجب حفظها فى البال فلذلك يحسن بنا فهم المقصود منها .

والمقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجتماع المسلمين فى العالم كله على تحدى قوات الدول المسيحية ومقاومتها فاذا نظر اليها من هذه الوجهة وجب على كل الامم الاوربية التى لها مصالح سياسية فى الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدى الى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الدينى فى جهات مختلفة من العالم ، وقد أوشكت هذه النيران أن تضطرم فى مصر فى الربيع الماضى .

هاجوا من قراءة المقالات التى كانت تصدر فى الجرائد الاسلامية طافحة بالاغراء والكذب هيجانا شديدا دفعة واحدة .

ولا ريب عندى ان البلاد كانت عرضة لخطر حقيقى برهة من الزمن فقد جاءتنى أخبار وتقارير عديدة عن تهدد المسيحيين والاوروبيين ، حتى تولى الرعب الاوربيين الساكنين فى القطر فجعلوا يتقاطرون من القرى الى المدن .

انى ان كنت لا أصدق أن الجامعة الاسلامية تثيح غير اضطرام شران التعصب فى أمكنة متفرقة فذلك لأنى لا أصدق ان المسلمين يتحدون معا ويتعاونون متى خرجت المسالة من القول الى الفعل ، وثانيا لأنى واثق من قوة أوربا واقتدارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية وان تكن غير قادرة على ذلك من الوجهة الروحية .

والجامعة الاسلامية عبارة عن معان أخرى غير معناها الأصلى : هذه المعانى اهم بالنظر الى ما نحن فيه من المعنى الأعم فمنها أولا فى مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده وهذا يدل على دخول عنصر جديد فى حالة مصر السياسية فقد كانت الحركة الوطنية دائرة على مضادة الترك الى عهد قريب اذ الثورة العربية كانت فى الأصل على تركيا والترك .

ثانيا : ان الجامعة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهييج الأحقاد والجنسية والدينية الا ما ندر فلا شك أن كثيرين من انصارها ينصرونها عن حرارة دينية حقيقية وآخرين يودون لو امكنهم أن فرقوا بين القضايا السياسية والدنئية وبينها وبين الجنسية ايضا . اما لأن مبالاتهم بالدين قد قلت حتى أوشكوا أن يحاكوا اللاارديين أو تكون اغراضهم سياسية او لكونهم يقصدون تحين الفرصة للانتفاع بها او لكونهم أتبعوا الآراء الحديثة عن وجوب التسامح فى الدين .

ثالثا : ان الجامعة الاسلامية تستلزم تقريبا السعى فى اصلاح أمر

الاسلام على النهج الاسلامى ، النسعى فى القرن العشرين فى اعادة مبادىء وضعت من الف سنة هدى لهيئة اجتماعية فى حالة الفطرة او السذاجة ، هذه المبادىء منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال بالنساء مناقضة لاراء هذا العصر ، ومنها ما يتضمن امرا أهم من ذلك ، وهو افراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية فى قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التى دان أهلها بالاسلام .

لهذه الاسباب لا يجد المهتمون باصلاح مصر بدا من استنكار الدعوة الى الجامعة الاسلامية ويجب ايضا بذل اقصى العناية فى السهر على كل ميل طبيعى جائز الى الجامعة الوطنية لكى لا يحتذيه على غير انتباه من صاحبة هذه الحركة (حركة الجامعة الاسلامية) التى هى اعظم الحركات المتقهقرة فلا تستحق أن يميل أحد اليها . لانه قد يعسر على الانسان أن يميز شبح الجامعة الاسلامية اذا تجلبب بجلباب الجامعة الوطنية .

بجانب حركة الجامعة الاسلامية حركة اخرى يصح ان تسمى بالحركة الوطنية ، اذ الحركتان تمتزجان حيث لا يسهل على الانسان .. الذين يسمون الحزب الوطنى لا يكاد يكون شك فى انهم لا ينوبون عن السواد الأعظم من الأمة فى رغائبها وامانيها .

ولا ريب أن ابناء هذا الزمان آخذون فى نسيان المساوىء التى كانت فى الماضى ، ثم ان التعليم والتهذيب اثار اطماعا كانت كافية لا ريب ان احداث المصريين يبدئون يصيحون للحصول على نصيب اعظم فى حكومة بلادهم او ادارتها .

ليس فى الناس اقل حكمة ممن يمتنع فى بدء هذه الحركة عن ارشاد من يريد الاصغاء الى حكم العقل الى الحدود التى يجب قصر تلك الأمانى عليها وعدم تعديها فى الوقت الحاضر .

انى صديق للمصريين أصدق من ان اتملقهم أو اغشهم فلذلك اسأل نفسى قائلا : ما الذى يرومه الاحداث المصريون على ما يستفاد من الآراء التى ينوب الحزب الوطنى عنهم فيها .

فاذا لا يرجون أن يرتقوا الى مناصب الحكومة العامة التى يتقلدها الاوربيون الآن وليس عندى كلمة ضد هذه الأمنية .

أى انسان صحيح العقل يعتقد ان البلاد تى قضت القرون الطوال وحكامها من الفراعنة الى الباشوات يسومونها اشد الظلم والعسف فى

الحكم وأهلها أميون قطفر طفرة واحدة حتى تصبح قادرة على استعمال حقوق استقلالها : ان ذلك هو المجال بعينه .

يحسن بكل أمة ، بل برجال السياسة العملية أن يضعوا نصب عيونهم غاية ذهنية ويرموا الى ادراكها ، ولو كان ادراكها بعيدا فلذلك أعرض الآن لكل القاطنين فى القطر المصرى بصرف النظر عن محلهم ومللهم وأصلهم وفصلهم .

بقى أن أقول أن فى مصر عدا أولئك المصريين الذين انتحلوا لقب (الحزب الوطنى) فئة صغيرة متزايدة من المصريين الذى لم يسمع غير القليل عنهم فرجال هذه الفئة يستحقون ذلك اللقب قدر ما يستحقه مناظروهم الذين يختلفون عنهم فى آرائهم وأعمالهم وهم رجال الحزب الذى اسميهم حبا بالاختصار اتباع المرحوم المفتى السابق الشيخ محمد عبده فقد أشرت مطولا فى تقاريرى السابقة الى آرائهم المشابهة لآراء المرحوم السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكرة فى الهند ومقصدهم الأساسى أن يصلحوا معالم الاسلام من غير ان يزعزعوا أركان الدين الاسلامى فهم وطنيون صادقون بمعنى انهم يرمون ترقية مصالح أبناء بلادهم وأبناء ملتهم ولكنهم مجردون من صبغة الجامعة الاسلامية .

وبيان مقاصدهم ومطالبهم اذا أصاب فهمى له لا يتضمن معارضة الأوربيين فى ادخال تمدن الغربيين الى بلادهم بل معاونتهم فى ذلك فرجاء الجامعة الوطنية المصرية بمعناها الحقيقى الذى يقول عليه معقود بهذا الحزب على ما أرى ، فعين فى هذه الأيام رجل من أشهرهم وهو سعادة زغلول باشا النظارة خلافا لما زعم قوم ولا الرغبة فى تفسير أمر جوهرى فى سياسته ناظرا للمعارف العمومية والسبب فى تعيينه (ليس عدم الرضا عن ادارة تلك التعليم الذى جرت النظارة عليه لهذا العهد) .

بل الرغبة فى اشراك رجل كفوء بارع ومصرى مستنير الذهن من رجال هذه الفئة فى عمل الاصلاح المصرى . وانما تعيينه تجربة ، وهذه التجربة سترأقب بمزيد الاهتمام فاذا صحت كما هو أملى واعتقادى شددت العزيمة خطوة أخرى فى هذا السبيل واذا لم تصح فلا غنى عن ابقاء مقاليد الاصلاح الى الأوربيين وخصوصا البريطانيين أكثر مما كان فى الماضى ؛ لكن التقهقر ممتنع فى الحالين اذ ادخال تمدن الغربيين الى مصر جار فى كل ديوان .

* * *

من تقرير كرومر ١٩٠٥

أما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون لموصــفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون ، وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزله الجروندست فى الثورة الفرنسية فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج على الصراط المستقيم والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق منهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة فهم وســط بين طرفين ، ولا يدرى الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالى الأيام .

ولا ريب عندى ان السبيل القويم الذى ارشد له محمد عبده هو السبيل الذى لو قال رجال الاصلاح من المسلمين الخبر فيه لبنى ملتهم اذا ساروا فيه فاتباع الشيخ حفيون بكل عطف وميل وتنشيط من الأوربيين . كان الشيخ محمد عبده خير مرشد لنا فيما يتعلق بالشريعة الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنــا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراءه على الدوام فى المسائل الدينية أو الشبيهة بالدين سديدة صادرة من سعة فى الفكر وكثيرا ما كانت أكبر معوان لمساعدة النظارة فى عملها .

(راجع تقارير كرومر بدار الكتب المصرية)

* * *

(٨٩)

محمـــد علـــى

كتب الشيخ محمد عبده فى المنار ١٩٠٢/١٣٢٢ هـ بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس ملك هذه الاسرة . قال :

ان لمحمـــد على ثلاثة أعمـــال كبيرة كان كل منها موضـــع خلاف كان نافعا أو ضارا بالمسلمين فى سياستهم العامة :

١ ـــ تأسيس حكومة مدنية فى مصر (أى علمانية) كان مقدمة لاحتلال الاجانب له .

٢ ـــ قتاله للدولة العثمانية بما اظهر به للعالم كله ولدول أوربا خاصة ضعفها وعجزها وجرأهن على التدخل فى أمور سياستها .

٣ ـــ مقاتلة الوهابية والقضاء على ما نهضوا به من الاصلاح الدينى فى جزيرة العرب مهد الاسلام ومعقله .

وكتب الشيخ محمد عبده فى العدد التالى مقالة بامضاء مؤرخ قال :

هذا يعنى أن محمد عبده ومدرسته لا ينسون مساوىء محمد على فى نسخ الاحكام الشرعية واعلانه ـــ العلمانية ـــ فى مصر وهو أول من تجرأ فى العالم الاسلامى على استبدال القوانين الاوربية بالشريعة الاسلامية ولا ينسون قتاله لخليفة المسلمين مما يعد حرابه ولا ينسون قضاءه على دولـــة السعوديين العربية المسلمة المصلحة السلفية ، ولا ينسون أن (توفيقـــا) هو الذى تآمر على ثورة عرابى واستدعى الانجليز لاحتـــلال مصر واحتمى بجيشهم بعد أن عاهد (جمال الدين) على تطبيق حكم الشورى بمصر ثم نفاه وزعم أنه رئيس عصابة من المفسدين .

* * *

(٩٠)

بلنت : التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ١٩١٠

قال الكاتب البريطانى فى مقدمة كتابه : احذروا منا فاننا لا نريد لكم شيئا من الخير ، ولن تنالوا منا الدستور ولا حرية التعليم ولا الحرية الشخصية ، وما دمنا فى مصر فالغرض الذى نسعى اليه من البقاء فيها هو أن نستغلها لمصلحة صناعتنا القطنية فى مانشستر ، وأن نستخدم أموالكم لتنمية مملكتنا الافريقية فى السودان ، وأن نستمر بأقل حياء من الماضى فى تنمية مشروعاتنا المالية الانجليزية الصهيونية فى بلادكم ، وأن نقيد أيديكم وأرجلكم لنجعلكم هدفا لاطماعنا الاقتصادية . لم يبق لكم عذر ، اذ انتم انخدعتم فى نياتنا بعد أن وضح الأمر فيها وضوحا تاما ، فاحذروا أن تنساقوا الى الرضا باستعباد بلادكم ودمارها ، ثابروا على أن تعارضونا معارضة جهرية جريئة كل يوم ، اطلبوا بلسان واحد ، وفى كل فرصة ان يوضع حد لما تتألمون منه وأن نعود نحن الى حظيرة القانون وأن نسحب جنودنا من بلادكم وأن نكف عن التدخل فى شؤونكم . اطلبوا ذلك فانكم بطلبه لا تخسرون شيئا ، اذ نحن غرباء فى بلادكم ، ومن حقكم أن يطالبونا بترككم وذكرونا دائما وبكل وسائل الاعلان بأن لا حق لانجلترا أن تتصرف فيكم تصرف السيد وأنكم لا تريدوننا حامين لكم ولا مستشارين ولا منظمين لادارتكم ، ولا تتركوا لنا عذرا نعتذر به لندعى لأنفسنا شيئا من ذلك . اظهروا معاداتكم لنا بصراحة ولكن لا تظهروها بثورات سابقة للاوان لا تفيدكم شيئا بل بتلك الوسائل التى تستطيعها كل الشعوب التى تمنى بالاجنبى وهى مقاطعته فى معاملته التجارية والرسمية وفى علاقات الافراد بعضهم ببعض وفى اليوم الذى يفهم فيه ذهن جمهورنا الثقيل أن الفائدة من احتلال بلادكم لا توازى المتاعب والأخطار التى تسببها لنا نرى انكم محقون ونترك بلادكم وثقوا اننا لن نتركها قبل ذلك بلحظة واحدة .

* * *

رابع عشر : الدولة العثمانية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٩١)

الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد

جرت المحاولات منذ وقت بعيد لتمزيق الروابط بين العرب والترك مما أثمر معه ذلك تمزق الذى سقطت به الدولة العثمانية ووقع الخلاف بين العرب والترك وتعمق فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ثم تبين للعرب كما تبين للترك ان المؤامرة هى التى فصلت بينهما وأن الاسلام هو عامل الترابط والوحدة .

وفى السنوات الأخيرة تجددت المحاولات لاثارة الاحقاد مرة أخرى عندما أصدر دكتور الهان ارسيل كتابه تحت اسم القومية العربية والاتراك ملئه باحقاد وسموم ضد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلاقات الترك والعرب ، وقد كشف يوسف هاشم الرفاعى هذه المحاولة وأعلن أن هذه الآراء الحاقدة الهادفة الى تهديم الاخوة العربية التركية بعد أن مزقها الاتحاديون القدماء من أعداء الاسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم واليوم يقوم الاتحاديون جدد تحت أسماء مختلفة وبوسائل مختلفة بنفس المحاولات والأساليب المسمومة الخبيثة لتمزيق الأخوة الاسلامية والرابطة المحمدية بين الشعبين المسلمين التركى والعربى اللذين سجل لهما تاريخ الحضارة والفتوحات الاسلامية أروع سجل فى سبيل نشر الاسلام وبث ثورة للبشرية جمعاء . أما علماء المسلمين فمجمعون على أن المساس بشخص النبى صلى الله عليه وسلم من أعمال الكفر والارتداد عن الدين والعالم به عدو لله ولرسوله وللمسلمين .

وقد تساءل الكثيرون لماذا شوهوا تاريخ الدولة العثمانية ، والاجابة ان ال عثمان تولوا أمر الدفاع عن الاسلام ورفع راية الحق ولأنهم حملوا القرآن وانطلقوا به ولا يزعج هؤلاء سوى هذا القرآن فتقدموا يفتحون الامصار ليصبوا هذا النور فى قلوبهم وكلما فتحت مدينة فتحت قلوب أهلها فاذا هم جند ينضمون الى صفوف هذا الجيش الفاتح .

ان السلطان الذى شوهو صورته هو القائد المتقدم وهو الشهيد ، وارجعوا الى صفحات تاريخ الدولة الأول لتجدوا عددا من الشهداء السلاطين ، اقرءوا تاريخ السلاطين فى مراجعه الاصلية لا من كتابات

الخصوم ، ستجد فى تاريخهم اسلاما حيا نابضا فمن النادر أن لا تجد الخليفة يتقدم جيشه ويحمل سيفه » .

ولقد حاولت هذه المؤامرات التركيز على السلطان عبد الحميد ، فحورب كما لم يحارب خليفة فى زمنه أو حاكم فى مدة عهده لأنه ورث دولة دب فيها الضعف فاشتد أزره ليقوم بالنهضة الواسعة فصرف المال من جيبه الخاص ليحصن الدولة بعد أن اشتد نزاع المتناحرين فى أوربا ورسم خطة يضرب بها كل اطراف النزاع لتبقى الدولة الاسلامية عزيزة الجانب مرهوبة من قبل اعدائها ولكن اليهود كانوا يخططون وكان اتباعهم من ضعفاء الضمائر قد اتفقوا على نصره يهود الدونمة وقطف الثمار يهودى . فلما لم تواته الفرصه نقم نقمة حول بها وجهه هذا البلد الى الوجهة المضادة للاسلام عندما أعلن الجمهورية واسقط الخلافة والغى كل مظاهر الاسلام ونقل تركيا نقلة بعيدة لتتعلق بركاب أوربا التى احتقرتها ولا تزال تزدرى بها .

واليوم وبعد نصف قرن من هذه المؤامرة الخطيرة يبرهن الشعب التركى المسلم على أن الارهاب الذى حل بدولة الخلافة لم يكن الا عارضا سيزول باذن الله ويعود الحق الى نصابه .

* * *

اسقاط الخلافة الاســلامية

بعد فشل الحروب الصليبية أيقن الغرب المسيحى أن هذا الاســلوب القهرى لم يعد مجديا فوضعت الخطط المتعددة للسيطرة على بلادنا والحاق الهزيمة بالمسلمين حتى لا يقوم لهم قائمة تهدد الغرب من جديد . احدى هذه الخطط هى ضرورة الاطاحة بالخلافة الاسلامية التى ترديت احوال المسلمين فى آخر عهدها واخذ المســلمون فى كل مكان ينادون بالاصــلاح ولم يكن المسلمون الحقيقيون يريدون الانفصال او الاطاحة بالخــلافة وانما أرادوا الاصــلاح .

وفى هذه الاثناء جاءت الفرصة أمام النصارى العرب حتى يبدأوا أول مراحل المؤامرة فراحوا ينادون بما يدعى بالقومية العربية لكى يتخلصوا من الحــكم الاسلامى .

يذكر الدكتور مجيد خورى فى كتابه « الاتجاهات السياسية فى العالم العربى » : كان رعايا السلطان المسيحيون اول من استجاب لدعوة القومية وكان المفكرون العرب المسيحيون أول من نادى بالقومية العربية دون ربطها بالاسلام ، ثم تشرب العرب هذه الافكار المسيحية دون أن يدركوا ما وراءها فانفصلوا عن الدولة العثمانية وساعدوا الانجليز فى الحرب فتمت المرحلة الأولى من الخطة ، ولــا كانت المرحلة الثانية تهدف الى المزيد من التقسيم والتغيير جاءت خطط التقسيم بعد الحرب فوضعوا الحدود الزائفة بين الأشقاء وقسموا الدولة الواحدة الى دويلات ووضعوا بأنفسهم حكام بعض هـــذه الدويلات واقاموا الانتداب على بعضها الآخر حتى تكمل السيطرة والهيمنة عليها وسرت روح الاقليمية البغضة : الفرعونية والفينيقية ونسوا تاريخهم الاسلامى الحقيقى .

المرحلة الأولى : تمزيق العالم الأسلامى : (القومية)

المرحلة الثانية : تمزيق العرب : (الاقليمية)

المرحلة الثالثة : تمزيق كل قطر (الطائفية) .

الأقباط فى مصر ، الموارنة فى لبنان ، الدروز والنصيرية فى الشام ، السنة والشيعة فى العراق .

(٢) ظل مؤورخونا المزورون يقولون : « الثورة العربية الكبرى » ويرددونها للصغير والكبير وهى فى الحقيقة الثار العربى الأكبر الذى انتهى بفصل الحجاز واليمن والعراق والشام عن الخلافة . ثم قسمت الشام الى سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، ثم اعطاء فلسطين لليهود واقامة اسرائيل وكان هذه الثورة العربية لم تتم الا لخدمة الصهيونية (كما أن الجامعة العربية لم تقم الا لتقسيم فلسطين) ويقولون أنها عربية مع أن زعيمها لورنس وقبل ذلك كانت حركات المبشرين : الشوام : بطرس البستانى واليازجى الداعى الى تحطيم دولة الاسلام تحت شعار اقامة قومية عربية لأنه لا يجوز للعرب أن يخضعوا للترك بل يجب أن تكون لهم دولة مستقلة عن الترك .

وانتشر تلاميذ هؤلاء المبشرين فى كافة انحاء المشرق يصدرون صحفا ومجلات لا تزال قائمة حتى اليوم وتصرف عن سعة وتجعل من مكاتب تحريرها منتدى الحكام والقادة ، هكذا نجحوا فى انشاء دين جديد هو القومية العربية ليحل محل الاسلام كرابطة سياسية وكانت تجمع كافة العناصر المسلمة تركية كانت أو كردية أو البانية أو باكستانية أو زنجية أو أوربية .

واستطاعت هذه الجامعة العربية أن تمنع قيام روابط سياسية بين العرب وبين الترك ومسلمى الصين والفيلبين وروسيا وافريقيا واوربا وأمريكا وقد فشلت الجامعة العربية فى زحزحة اسرائيل .

كان قيام هذه الجامعة خدعة للقضاء على الرابطة المتينة التى اوجدها الاسلام بين المسلمين فى شتى انحاء العالم لتحل محلها ثم القضاء على الاسلام اذا استطاعوا لتحل محل نظم سياسية كان شراكسة الماركسية واللينية والعلمانية الغربية المتحللة ثم لتكون تلك مقدمة لادخال القاديانية والبهائية ثم اخضاعها .

وبمقدار ما فشل فى ايجاد وحدة عربية فعلية نجح فى ابعاد الرابطة الاسلامية التى ظلت قائمة اكثر من الف عام ولم يعد فى الاسلام شىء الا اسلام الفرد دون اسلام المجتمع ولقد أوصت بريطانيا بالجامعة العربية كبديل للمجتمع الاسلامى أو الوحدة الاسلامية وان بريطانيا هى التى صنعت ما اسمته الثورة العربية الكبرى بفصل عرب الجزيرة والشام والعراق عن الخلافة الاسلامية وبريطانيا هى التى فصلت آسيا عن افريقيا بقيام حاجز بشرى من جنس غريب .

شارة السلطان عبد الحميـــد

ان خطاب السلطان عبد الحميد الى هرتزل يعد وثيقة تاريخية خطيرة يجب ان تكون تحت يد كل باحث ومثقف . فقد عرض هرتزل على السلطان عبد الحميد ان يسمح لليهود بالدخول الى القدس وعرض عليـــه عروضـــا مختلفة فى سبيل ذلك منها اعطاء الدولة العثمانية ٥٠ مليون من الجنيهـــات الذهبيـــة .

قال السلطان فى خطابه : انصحوا الدكتور هرتسل بالا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع (التوطن فى فلسطين) فانى لست مستعدا لأن اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملك يمينى بل هي ملك شعبى روى ترابها بدمه ، فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب اذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق فى جثتنا فانى لا أستطيع الموافقة علي تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

وقال السلطان عبد الحميد : ان ديون الدولة ليست عارا لأن غيرها من الدول هى الأخرى مدينة مثل فرنسا وان بيت المقدس قد افتتحها الاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب ولست مستعدا ان اتحمل فى التاريخ وصمة بيعه لليهود وليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام » .

* * *

تركيا الاسلامية

قامت الامبراطورية العثمانية عام ١٢٨٨ فى آسيا الصغرى مؤسسها عثمان الاول ابن أرطغرل زعيم اتراك الاناضول ، توسعت حتى شملت آسيا الصغرى واقليم تراقيا عام ١٣٥٤ ثم استولوا على الدردنيل عام ١٣٦١ واستولوا على صربيا وبلغاريا ثم القسطنطينية عام ١٤٥٣ وبلغت ذروتها فى القوة ١٥٢٠ ـــ ١٥٦٦ فى عهد سليمان القانونى اذ شملت جنوب روسيا وآسيا الصغرى والعراق والخليج الفارسى وشمال افريقيا كله حتى حدود مراكش ، وصلوا مرتين الى فينا داخل أوربا ١٥٢٩ ، ١٦٨٣ .

إثار نجاح العثمانيين وتوسعهم حفيظة أوربا المسيحية ، ودبر البابا حملات صليبية مدمرة ضد الخلافة العثمانية بغية تعويقها وارتداد المسلمين عن عقائدهم وخاصة مسلمى أوربا فى بلغاريا والمجر واليونان والبانيا ، بدأت هزيمتهم فى لبيانتو ١٥٧١ واستغل الروس ضعفهم فكالوا لهم الضربات طوال القرنين ١٧ ، ١٩ مما يسمى تاريخيا بالحروب (الروسية التركية) أو (المسألة الشرقية) ثم كان الانقلاب الذى قام به الاتحاديون ثم الكماليون .

اسقطت الخلافة عام ١٩٢٤ .

* * *

(٩٥)

الاتحاديون والدعوة الطورانية

١ ــ انشأت جمعية الاتحاد والترقى ١٨٩١ انشأها أحمد رضا فى باريس ثم انتقل نشاطها بعد خمسة عشر عاما الى داخل الامبراطورية العثمانية ١٩٠٦ وكانت سالونيك هى المركز الأساسى ، حيث انتشرت الدعوة الطورانية والمدرسة الفلسفية التى تبشر بها بقلم جون البى فيلسوف الحركة ومبشرها الأكبر والتى أتمها مصطفى كمال . ظهرت الجامعة الطورانية بعد ان شاعت بين الترك مباحث الأجناس واللغات التى بدأت فى القرن ١٩ . البحث عن الماضى المتصل بقبائل المغول . وقد تولى الاتحاديون السلطة ١٩٠٨ــ١٩١٨ منهم أنور وطلعت وجمال واعلنوا انحــلال حزبهم بعد الهــدنة ، وعادوا وأصدروا صحيفة (طنين) فى الاستانة واندمجوا فى الحــركة الكمالية واستولوا على مراكز مهمة وقيل لا فرق بين الاتحاد والترقى والكمالية وان مصطفى كمال كان من أكبر الاتحاديين .

٢ ــ خدع الاتحاديون البلاد العربية وبعد اســقاط عبــد الحميــد فقد اخذ الاتحاديون فى انتهاج سياسة ديكتاتورية متسلطة وتنكروا لجميع الشعوب التي تعيش فى داخل الامبراطورية وحاولوا (علمنة) باقى الشعوب بما فى ذلك العرب بعد أن نبذوا دعوة الجامعة الاسلامية ونشطت الدعوة الى القومية العربية مرة اخرى (المنتدى العربى ــ حزب اللامركزية ــ الجمعية القحطانية ــ مؤتمر باريس ١٩١٣) .

٣ ــ ويقول تقرير آخر ان عدد الماسون الاتراك المسلمين قد اصبحوا عام ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف منهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبــار المسئولين ومن هنا تسللت فكرة الانقلاب العثمانى استجابة للاصــــلاح والاصلاح هو التجاوب مع مطالب هرتزل وقد قرر محفل سالونيك اليهودى الماسونى التركى اعلان الدستور فتجاوب مع اخوانه الماسون المنبثون فى جسم الدولة ثم خلع عبد الحميد .

وقد كانت الماسونية ولم تزل مدخلا للتآمر اليهودى وقد خشى السلطان عبد الحميد من سريتها وصمم على اخضــاعها لمراقبته ، ولكن التجائهــا للمستعمرين ولا سيما انجلترا كان يخفف من قيود المراقبة .

ورث الماسون عرش عبد الحميد وأصبح (قراصو) سفيرا لتركيا بالولايات المتحدة ثم تقمص حاخاما بمصر باسم حاييم ناحوم فأنشأ بمصر عشرات المحافل ، وفى عهده أصبح قطاوى باشا اليهودى وزيرا لمالية مصر ، وهذا جمع من ماسونى مصر ثمان ملايين جنيه ساعد بها يهود فلسطين .

٤ — قال احسان الجابرى : شهدت انقلاب ١٩٠٨ (انقلاب الدستور العثمانى) الذى قام به أنور ونيازى وطلعت وعزيز على واليهودى » قراصو « يطالبون باعادة دستور ١٢٩٣ الذى عطله عبد الحميد ثلاثين سنة .

وجلس حزب الاتحاد فى الحكم ، كانت الثورة تؤيدها الجمعيات العربية لكى تخلصنا من استبداد السلطان ولكن الثورة انحرفت عن الطريق وثار الشعب على الاتحاديين وتزعم الثورة (درويش حركى) وطالب بالعمل بأحكام الشريعة ، وحرض جنود الجيش التركى .

وقاد الضابط العراقى محمود شوكت جيشا من الرومانلى (تركيا الاوربية) الى استانبول . اجتمع فى سان استفانوا باعضاء مجلس النواب وقرروا خلع السلطان عبد الحميد ودخل الجيش استانبول ونصب ١٢ مشنقة فى الشوارع وشكل ٣ دواوين حرب وحاكم اتباع وحكم عليهم بالاعدام .

٥ — حين جاء حزب تركيا الفتاة (المتفرع من حزب الاتحاد والترقى) بالسلطان (محمد رشاد) بعد اسقاط عبد الحميد كان لا حول له ولا قوة ، وعجز عن مواجهة حرب البلقان وايطاليا وفى عام ١٩١٣ سيطرت جماعة الاتحاد والترقى عن الحكم وبقى محمد رشاد رمزا اسميا فقط واستمر فى الخلافة الى عام ١٩١٨ حيث خلفه (محمد السادس) الذى نفى وجىء بعبد الحميد (الثالث) آخر الخلفاء العثمانيين والذى غادر استانبول بعد اعلان الجمهورية بزعامة مصطفى كامل (٧ مارس ١٩٢٣) وتوفى فى باريس خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ .

٦ — لعب اليهود المتمسلمون فى تركيا أدوارا خطيرة فى الدولة العثمانية وتسللوا الى جهاز الدولة وحطموا كيانها بمشاركة المنافقين وعباد الشهوات من حثالة الأمة وعقب هزيمة الأتراك فى البلقان عام ١٩١٤ (تراقيا ومكدونيا) كانوا يرقصون فى شوارع المدن مرحبين بطغاة وقتلة البلغاريين .

٧ — وزارة الاتحاد والترقى كان من ضمنها أربعة وزراء من اليهود هيمنوا على بقية الوزراء الاتراك وضموهم تحت اجنحتهم بقرض مالى سهلوا لهم الحصول عليه من بنك المليونير اليهودى روتشلد . وقبل أن يتسلم جماعة

الاتحاد والترقى الحكم كانوا يبذلون الوعود الجزيلة لزعماء العرب فى ديار الشام ويمنوهم بالانصاف والعدل ولكنهم حين استتب لهم الأمر تنكروا لهم وبدأوا فى سياسة تتريك البلاد العربية ونشر الارهاب ، وكان أنور باشا وزير الحربية هو الرجل القوى فى جماعة الاتحاد والترقى الذين يحكمون الامبراطورية العثمانية وقد أثبتت المعلومات أن وزير المالية جاويد باشا الوزير اليهودى الدونمى الذى كان متظاهرا بالاسلام هو الذى دعم صهره جمال باشا حاكما للشام ليهىء له ضرب رءوس العرب فى دمشق وتنفيذ مؤامرة حكماء صهيون فى أثارة العداوة الضارية وقطع شعره معاوية . وكان يصل الى حيفا ويافا حيث يقضى أياما مع عشيقته مدام سارينا اليهودية المهاجرة من مدينة منسك الروسية وكانت سايرينا جاسوسة انجليزية وكان جمال السفاح يبدى عناية كبيرة بالارمن المبعدين عن تركيا وعلى علاقة وثيقة من زعمائهم وقد فاوض الاعداء ضد دولته إثناء الحرب . وقد حاول الشريف حسين التفاهم مع جمال ومع الاتحاديين واوفد لهم من يتصل بهم ولكن محاولاته باءت بالفشل بعد أن تبنت نوايا جمال باشا وسياسته الدموية .

وفى ١٤ تموز ١٩١٥ بعث الشريف حسين مذكرته التاريخية الى (مكما هون) .

* * *

رابطة العرب والترك حطمها الاتحاديون

يقرر الدكتور زين نور الدين زين مجموعة من الحقائق فى كتابه (نشوء القومية العربية) :

ان جميع التعاميم والعبارات الجارفة التى صدرت فى النصف الثانى من القرن التاسع من أولئك الذين يعنون بهذا الأمر والتى تتعلق بالكراهية والشحناء التى كانت تتميز بها العلاقات بين هذين الشعبين : التركى والعربى . يقول أحدهم مثلا : « ان العرب يبغضون الاتراك ولا يثقون بهم كما أن الأتراك كانوا يبغضون العرب ولا يثقون بهم » وهذا مبالغ فيه كثيرا ففضلا عن ان مثل هذه الأقوال الجارفة لم تكن لتنطبق على واقع العلاقات كما كانت عليه فى القرون الأولى للحكم التركى فان معظم الذين القوا فى التاريخ التركى لم يكونوا يجهلون وفرة الوثائق التاريخية التى يجب أن يطلع عليها الباحث فى هذا الحقل ، وحسب وانما كانوا بصورة عامة على كثير من التحيز والتعصب . وقد وصف هارولد بودن قول هؤلاء القائلين بأنه نوع من التعصب الذى كان يخفى الحقيقة عن ابصارهم .

قال : هاملتون ، هارولد بوون فى مقدمة كتابه « المجتمع الاسلامى والغرب » ان كثيرا من الاراء الشائعة فيما يتعلق بتاريخ تركيا ومصر فى القرن الثامن عشر هى آراء خاطئة ، آراء كنا نحن أيضا نأخذ بها عندما أقدمنا على كتابة هذا البحث لذا نرى ان واجبنا الأول هو عرض الوثائق والمعطيات التى جعلتنا نبدل راينا فى هذا الأمر بعد ثلاث مائة سنة .

لم يحاول الاتراك تتريك الاعراق البشرية التى دخلت فى نطاق امبراطوريتهم وقد كان العرب اكثر عددا والواقع ان الاتراك ظلوا غرباء فى المناطق العربية التى اصبحت جزءا من امبراطوريتهم والذين توطنوا منهم فى الولايات المتحدة كانوا قلة وانما كان الاتراك الموظفون فى الحكومة التركية يرسلون الى الأجزاء العربية ولكن الى مدد قصيرة من الزمن .

آثار : ج . و . ف (ستر بيلنغ) .

ظاهرة أن الدمج العنصرى فى ظروف كهذه لم يكن بالأمر الميسور :

أولا : العثمانيون لم ينتزعوا البلدان العربية من أيدى العرب أنفسهم بل من أيدى المماليك فقد كانت الامبراطورية العربية والخلافة العباسية فى حالة ضعف ووهن حتى ليصح القول بأن الحكم العثمانى حمى الأقطار العربية والاسلامية من التعدى الخارجى قرابة أربع مئة سنة .

ثانيا : كان العثمانيون يمنحون المقاطعات العربية شيئا من الاستقلال الذاتى وبالرغم من أن غالبية الترك لم يتعلموا العربية اطلاقا فان عددا كبيرا من المفردات العربية دخلت اللغة التركية فضلا عن الصلاة وقراءة القرآن فى جوامع القسطنطينية وفى سائر المدن التركية التى كانت دوما باللغة العربية .

ثالثا : كان للعرب اليد الطولى فى وضع النظام القضائى للامبراطورية العثمانية ولم يكن للشريعة الاسلامية المقتبسة وهى بمثابة السلسلة الفقرية لحكومة العثمانية أن تبقى بدون معرفة اللغة العربية .

رابعا : من الدلائل العديدة التى طبعت الامبراطورية العثمانية بطابعها الاسلامى أن جميع أسماء السلاطين كانت عربية ما عدا أورخان ، واختامهم عربية ، والمساجد فى الاستانة كانت جدرانها وسقوفها آيات قرآنية . كما أن لوحات اسماء السفن والبواخر العثمانية باللغة العربية .

وقد كان الاسلام اهم عامل يجمع العرب والأتراك فى رابطة متينة طيلة أربعة قرون .

فقد كان العثمانيون الاتراك مسلمين وكان السلطان يلقب بالغازى (المجاهد فى سبيل الله) وقد وجد العرب انفسهم جزءا من اعظم واقوى امبراطورية اسلامية عرفت منذ ظهور الاسلام واصبح الخلفاء ورثاء للخلافة مدة اربعمائة سنة واصبحوا حماة الحرمين ، اذن فان كون الامبراطورية العثمانية امبراطورية تركية لم يكن فى نظر العرب والمسلمين حتى مطلع القرن العشرين (حتى ظهور القوميات) امرا ذا بال . ان الاتراك وغالبية العرب الساحقة كانوا يشعرون انهم أعضاء فى أمة اسلامية عظيمة يربط بينهم دين واحد وولاء لحاكم مسلم هو السلطان العثمانى .

وقد استبدل اسم عاصمة الامبراطورية القسطنطينية باسم آخر (اسلامبول) عوضا عن استانبول التى ربما كانت كلمة اغريقية .

ليس صوابا القول ان العرب المسلمين ظلــوا أربعمائة سنة أمــة مستضعفة تحت نير الاتراك أو ان البلدان العربية نهبت خيراتها وخيم عليها الفقر ، وليس صوابا القول أن العرب المسلمين لم يكن يسمح لهم أن يتقلدوا سلاحا أو ينضووا تحت العلم العثمانى للخدمة العسكرية ذلك لأن جيوشا عربية وضباطا عربا من ذوى المراكز العسكرية العالية كانوا يعمــلون فى الجيش العثمانى وقد برهنوا على قدرة ومهارة فى المعارك الحربية : معارك غاليبولى ، يلقنا ، ارغوستولى » .

كما شغل العرب وظائف عالية حساسة فى الامبراطورية العثمانية :

« وكان العرب كمســلمين يعتبرون شركاء للأتراك ، كانوا يشتركون معهم فى الحقوق والواجبات دون تمييز عنصرى ، وكان للعرب ممثلون فى مجلس البرلمان العثمانى » .

يقولون عن العرب « قوم نجيب » وينظرون اليهم نظرة احترام ، لم ينظروا بها الى سائر الولايات التى دخلت امبراطــورية السلطان بسـبب واضح هو أنهم يتكلمون اللغة العربية : لغة القرآن الكريم .

ان الخلاف بين العرب والترك جاء نتيجة التحدى المباشر الذى قامت به جمعية الاتحاد والترقى .

لقد فصل العالم العربى عن السلطنة العثمانية (محمد على ــ ١٨٣٠ ــ ١٨٤١) عندما احتل سوريا ، ليس هناك من أدلة تاريخية قاطعة على أن هذه الحركة كانت حركة وطنية عربية ، ذلك ان قيام حركة عربية عرقيــة فى مصر وسوريا قبل مائة كان أمرا يتنافى مع التيار الفكرى الشرقى فى تلك الأيام ، عصر الدين ، كان بعض النواب الفرنسيين يرغب فى أن يجعل محمد على العوبة لكى تنشطر الامبراطورية الى شطرين، شطر عربى وشطر تركى .

ليس هناك من دليل تاريخى على صحة ما يشاع بأن الترك وحــدهم المسئولون عن التخلف وعن التأخر الحضارى الذى ألم بالأفكار العربيةطوال اربع مئة سنة بل افادت الولايات العربية من الرابطة التركية .

من الانصاف القول بأن الاتراك لم يحاولوا قط دمج العنصر العربى أو تتريكه الا بعد استيلاء جمعية الاتحاد والترقى على مقاليد الحكم ١٩٠٨ .

(عن جب وبوون)

يقول برنارد لويس : كانت الامبراطورية العثمانية منذ تأسيسها حتى زمن سقوطها تكرس قواها فى سبيل دعم شوكة الاسلام وحمايته ضد أى اعتداء خارجى ، لقد ظل العثمانيون طوال ستة قرون تقريبا فى حرب مستمرة ضد الغرب المسيحى أولا لمحاولة فرض حكم اسلامى على جزء كبير من أوربا (وهى محاولة رافقها النجاح) وثانيا يشيد حرب دفاعية تأخيرية مديدة تقف فى وجه الهجوم المعاكس الذى قام به الغرب وكانت الامبراطورية العثمانية فى نظر الرجل العثمانى التركى بمثابة الاسلام ذاته . وكانت الشعوب التى تتألف منها الامبراطورية العثمانية تعتبر ذاتها أولا وآخرا شعوبا اسلامية وكان لفظة عثمانية تعنى اسم السلالة المالكة . لم يصطنع لفظة (عثمانية) بصيغة قومية ذات مدلول قومى الا فى القرن التاسع عشر وذلك تحت تأثير الفكرة الليبرالية الأوربية. Islamic renvel in Turky.

* * *

(٩٧)

الارساليات التبشيرية : الموارنة والكاثوليك

عندما بدأت الدولة العثمانية تضعف بدأ ضغط الدول المتحالفة عليها ، كانت هذه الدول فى صراعها حول (الدولة العثمانية) تعد العدة لاستيلاء كل منها على القطر الذى تطمع فيه مستعينة بتناصلها وارسالياتها الدينية والثقافية .

وكانت علاقات الموارنة فى لبنان بفرنسا أقدم من القرن السابع عشر ، وهم يرونها الى عام ١٢٥٠ (كتـــاب من لويس التاسع فى عكا شـــكرهم خلال الحروب الصليبية على ارسالهم خمسة وعشرين ألف مقاتل بقيـــادة سمعان ويقول : ان هذه الطائفة التى تنتسب الى القديس مارون هى جزء من الأمة الفرنسية ولمـــا كان لفرنسا هدف بعيد فى حماية الطوائف الكاثوليكية فى الشرق الأدنى قد شفعت هذه الحماية بارسال البعثات التبشيرية اليها ولا سيما الى لبنان وهو طريق فلسطين فاتخذت أكثر هذه البعثات التعليم والتدريس التبشيرى وسيلة لادراك الهدف المنشود .

قال هنرى لاقتليه فى كتابه تاريخ تركيا (جـ ٢) :

ان ارساليات التبشير التى ارتادت الشرق الأدنى تألفت بانتظام من قبل هنرى الثالث وترعرعت ونمت فى عهد هنرى الرابع ولويس الثالث وبلغت ذروة الانتشار فى حكم لويس الرابع عشر ١٦٦٠/١٧١٥ الذى القى على عاتق الجزويت هذه المهمة ، فألقى على عاتقهم مهام سياسية خطيرة ، ذلك انه كان عليهم لقاء ادراك الخطوة الا يقتصروا على التبشير فحسب بل كان عليهم أن ينقلوا اليه المعلومات عن عادات البلاد ولغاتها ومحاصيلها وتجارتها وتاريخها . كما أنهم كانوا يتلقون منه الأوامر والتوجيهات ولا سيما من وزارة الخارجية التى كانوا يواصلونها بالتقارير والخطط .

ولمـــا انتهت الحروب الصليبية بانسحاب الصليبيين من سوريا كتب البابا اسكندر الرابع رسالة الى البطريرك سمعان (أو شمعون) ١٢٤٥ يوصيه فيها خيرا بالفرنج المهزومين فى انطاكية الذين فروا الى لبنان وأن يرعاهم ويحميهم .

ولمـــا عادت فكرة استرداد بيت المقدس الى الاوساط الاوربية خلال القرن ١٧ فى أعقاب الانكسارات التى منيت بها والسلطنة العثمانية نشـــط الكرسى الرسولى فى العمل في هذا الميدان نشاطه فى تلك الحـــــروب الصليبية وولى وجهه شطر لبنان وكان مدار مخططه بالاتفاق مع فرنســـا استغلال نفوذهما الكبير لتنصير الدروز فى جباله ابتداء من امرائهم على أمل الا يبقى فى أهله قوة معارضة متى سنحت الفرصة للاحتلال .

* * *

المؤامرة على الدولة العثمانية

(١)

صدر عام ١٩٣٠ كتاب « مائة مسروع لتقسيم تركيا تأليف الوزير الرومانى » دجوفارا ، واورد الامير شكسبير ارسلان ملخصا له فى كتاب « حاضر العالم الاسلامى » يكشف عن ان مائة مشروع حاولت أوربا انفاذها من اجل تمزيق الدولة العثمانية فى الفترة التى تلت ظهور هذه الدولة وتوسعها فى اوربا عام ١٣٥٦ بعبورهم مضيق الدرنيل سنة ١٣٦٠ وهى تدعو الى مقاتلة المسلمين والاتراك بالسيف والتجارة وتدعو الى تجمعات وخطط غزو تبدأ من البحر المتوسط أو من الحبشة أو من غيرها وتركز كلها على استعادة بيت المقدس .

(٢)

كتاب تاريخ الترك والمغول فى آسيا من بدء نشاتهم الى عام ١٤٠٥ : ظهر عام ١٨٩٦ من تأليف لتونى كاهون وفى عام ١٩١٦ أعلن المجلس العلمى الفرنسى اهتمامه بهذا الكتاب ونوه به ولفت النظر اليه فى تركيز بالغ ، وكان ذلك مقترنا بالحركة الطورانية فى الدولة العثمانية . وكانت الفكرة الطورانية قد أنشأها المستشرق المجرى اليهودى (فامبرى) بين ١٨٦٨ — ١٨٧٤ ثم تبناها الانجليز فعملوا على تكوين كتلة عنصرية من الأتراك العثمانيين واتراك الشرق ليحطموا بها النفوذ الروسى المتزايد فى آسيا الوسطى ثم غير الانجليز سياستهم وأيدوا سيطرة الروس على اتراك آسيا وهكذا كانت فكرة الجامعة التركية (الطورانية) وافدة من الخارج وصعبة التحقيق، لانعدام الوحدة الجغرافية والاجتماعية فى مواطن الترك .

كانت الطورانية التى دافع عنها بعض الترك وعلى راسهم ضيا كوك الب اجنبية المنشأة وكانت ترمى الى تعميق الخط القومى التركى مستقلا عن الاسلام ، وهى القاعدة القديمة التى وصفها فمبرى المستشرق المجرى اليهودية وهى ان « لا وطن فى الاسلام » .

(٣)

قدم (حسونة الدغبس الطرابلسي) عام ١٨٤٧ تقريرا الى رجال الدولة العثمانية فى استانبول ينبه الى الاخطار التى تحدق بهم من جاء الغرب الذى يتلاعب بهم فضلا عن تعدد السائحين الغربيين المنتمين لعدد من الفــرق والشيع كالانسانيين والمبشرين والأدباء والماسونيين وغيرهم .

(٤)

قال السلطان عبد الحميد فى رده على « هرتزل » :

انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، انى لاأستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمــه ، فلتحتفظ اليهود بملايينهم ، اذا مزقت امبرطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن . ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق فى جثتنا فانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

(٥)

خطاب من اليهودى (بلفور) الى وزير الدولة الامريكى فى ١٨ ايار ١٩١٧ « لا شك أن القضاء على امبراطورية العثمانية قضاءا تماما هــو من أهدافنا التى نريذ تحقيقها ، وقد يظل الشعب التركى ــ ونأمل أن يظل ــ مستقلا أو شبه مستقل فى آسيا الصغرى فاذا نجحنا فلا شك أن تركيــا ستفقد كل الأجزاء التى يطلق عادة اسم البلاد العربية وستفقد كذلك أهم المناطق فى وادى الفرات وجله كما أنها ستفقد استانبول »

(٦)

قرر مؤتمر لوزان ١٩٢٣ فى شروط الصلح الذى عقده الحلفاء مع تركيا هذه الشروط المعروفة بشروط كزرن .

١ ــ قطع كل صلة بالاسلام .

٢ ــ الغاء الخلافة .

٣ ــ أنصار الخلافة والفكرة الاسلامية من البلاد .

٤ ــ ايجاد دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم الأسلامى .

* * *

(٧)

عندما اعلن الدستور ١٩٠٨ واصبحت جمعية الاتحاد والترقى هى الحاكم الفعلى للدولة تطلعت القوميات المختلفة الى عهد تسوده الحرية . لكن الوعود لم تتحقق ولم تكن سوى سراب لأن اعضاء الجمعية الثلاثة لم يكونوا متفقين على سياسة مشتركة :

طلعت باشا : العثمانية .

انور باشا : الجامعة الاسلامية

جمال باشا : القومية التركية

وقد قسموا عهود الدولة العثمانية الى ثلاث مراحل :

تركيا الاتحادية ١٩٠٨ ــ ١٩١٤ .

تركيا الطورانية ١٩١٥ ــ ١٩١٨ .

تركيا اللائكية ١٩٢٣ الى الآن .

انضم الاتحاديون الى جانب المانيا ١٩١٤ وانقلبوا من حماة الطورانية الى دعاة للاتحاد الأسلامى ، ومد جمال باشا يده الى العرب فى الشام ، وبعد ان اطمأن جمال الى نتيجة الحرب وتوهم ان النصر مضمون للدولة كشف عن حقده ، وساق رجال العرب الى المشانق فى بيروت ودمشق ١٩١٥/١٩١٦ .

* * *

(٨)

بعد ان حكم مصطفى كمال أتاتورك قبضته على تركيا ، بدأ يصبغها بالصبغة الأوربية ، بجنون واندفاع غريب ، وماذا كان يهدف أتاتورك من نشر الحضارة فى هذا البلد ، أى التحكم فى مصائر العالم لاربعمائة سنة .

يمكننا أن نفهم هدف الخطة الكمالية من الاسلام الذى أطلق عليها ، لقد كان شعار تركيا فى تلك السنين الحزينة (التى تم فيها خلع الاسلام من شعب حمل رايته) غرب أو غزو : الى المسيرة نحو الغرب .

وكانت المسيرة نحو الغرب هامة جدا لدرجة ان اتاتورك لم يتورع فى أعدام مئات الالوف من مواطنيه وكأنهم خونة مجرمون سيما لم تكن جريمتهم سوى عدم تقبلهم الحروف اللاتينية وارتداء البرنيطة ولم ينشر بين مواطنيه غير الأعمال الغربية من شعر ونثر وقصة ، أما العلوم والتكنولوجيا التى هى سر نهضة الغرب فلم يحاولوا نشرها بين مواطنيهم . ولم نر بين بطولات كمال اتاتورك كليات للعلوم والهندسة رغم انه أقام راقعدها ليجعل منها قطعة اوروبيـــة .

ان سيد احمد خان وأتاتورك : ركزا جهودهما على انشاء جماعة من المسلمين تمتاز باستيعابها الحضارة الغربية وآدابها .

ان البلاد الاسلامية التى رأت موجهوها تعلم لغـــات وحضارة أوربا حتى الصلاحية الفنية التى تمكنها من استخراج بترولها ولا يزال الغرب هو الذى يدير هذه الكنوز .

ان العقلية التى دفعت أوربا على اكتشاف علومنا كانت تطالب بتعـــلم فنون المسلمين لالحاق الهزيمة بهم عن طريق اســـتخدام تلك الفنون .

لقد تعلمت الشعوب الأوربية علوم المسلمين ولكنها لم تلمس حضارة المسلمين وثقافتهم ، لقد نظرت أوربا الى علومنا كمصدر للطاقة العصرية ولذلك استخدمتها لالحاق الهزيمة باعدائها ولم يسموا كفاحهم هـــذا باسم تقليد الشرق أو محاكاة حضارة المسلمين ولكن سموها : الحروب الصليبية الروحيـــة .

كان ذلك يعنى انهم يحاولون كسب الحرب التى خسروها ولكن باسلوب جديد ، لذلك استطاعوا الوصول الى غايتهم فى نهاية الأمر ، وحين يتم لهم ذلك لم يقولوا انهم اقتبسوا تلك العلوم من المسلمين بل سموها بالنهضة وربطوها بتراثهم وحضارتهم اليونانية القديمة . لقد اقتبست أوربا هذه العلوم من المسلمين ولكنها حذفت حلقة الوسط وربطت نهضتها بحلقة البداية ، أما نحن فأخفقنا فى ذلك . لقد كانت أوربا تفرض علينا نفس العلوم التى اقتبستها منا مع اضافات جديدة هامة ، لكن المسلمين اقبلوا على هذه العلوم بعقلية المقلدين المبهورين . وكان عليهم تقليد الغرب لدى سيد احمد خان وكان المسيرة نحو الغرب لدى اتاتورك . وكانت النتيجة الحتمية للاختلاف بين العقليتين أن أصبح الاوربيون سادتنا بعد اكتساب علومنا بينما ظللنا نحن محض مقلدين .

وحيد الله خان

* * *

القنبلة الكمالية تصيب كبير الاسلام

كتب الاستاذ عبد العزيز جاويش بعد اعلان قرار الغاء الخلافة العثمانية وعزل الخليفة وفصل الخلافة عن السلطة فى (٣ مارس ١٩٢٤) :

طمح الغازى ذات يوم ان يكون الخليفة كما علمت من هبوطى انقرة فلم يمنعه من ذلك سوى خشيته أن يحدث اضطراب داخلى يهدد المملكة قبل تمام الصلح . والذين يزينون لمصطفى ما فعل انما هم فئة من التتار التى دستها روسيا القيصرية بين الترك لقطع ما يصلهم بالاسلام .

جاء هؤلاء المفسدون الى الاستانة قبل الدستور العثمانى فزينو للاتحادين مسالة العنصرية والتباعد عن الاسلام ، وسوسوا للاتحادين أن سبب تالب اوربة على تركيا انما هو الاسلام وقيام الخلافة فيها ثم اخذوا يزينون لهم أن تعتبر غير البلاد التركية من الامبراطورية العثمانية مستعمرات محكومة وأن يكون للعنصر التركى وحده حق الحكم غير مشارك . ساقوهم الى الطورانية وزينوا لهم أن ذلك يمكنهم من ضم عشرات الملايين من الاتراك القاطنين فى ازربيجان والتركستان . كما استدرجوهم الى محاربة اللغة العربية بعد أن حازت نحو ٧٠ فى المائة من اللغة العثمانية .

وخاضوا مسالة الشريعة ومسالة المراة وحرضوا الترك على الفساد واعلان الالحاد . كادت تنجح هذه الفئة الضالة زمن الاتحاديين لولا (سعيد حليم وانور باشا) فان امتلاء قلوب هذين الرجلين بالاسلام ووفره محصولهما التاريخى وبقيمتها أن سلام تركية لا يتحقق الا بارتباطها بالعالم الاسلامى وأن عظمتها لا تقوم الا على دعائم الخلافة . كل ذلك حمل الرجلين العظيمين على القيام فى وجه اولئك الهاوين . ذهب الناس فقد حرمت المملكة العثمانية المصلحين المفكرين وخلا الجو لذلك النفر من التتار المارقين فما لبثوا أن بطشوا بيد مصطفى بطشهم بالاسلام وبتركية جميعا اما تركية فقد مادت بها انقرة مبدأ هدم أركان عظمتها وهبوطها فى الدول السياسية . "

هبطت انقره ١٧ من ديسمبر ١٩٢٢ وبعد بضعة ايام ذهبت الى دار المجلس الوطنى الكبير لزيارة مصطفى كمال باشا وقد كنت عاهدت نفسى الا

أتكلم معه في أمر الخلافة لما اتصل بي من نيته تجاه البيت الشاهاني ؛ ولم نكد نأخذ مجلسنا في حضرته حتى قال :

ـــ مارأيك يا فلان في أمر الخلافة وفصلها عن سياسة الدولة فاستبقيته الجواب معتذرا بأن في المجلس الوطني الكبير من العلمـــاء وذوي الرأي ما يغنونه عن رأيي ولكنه أصر على الا أبسط ما لدي ، وعلمت من بعد أنـــه كان يريد من استماعي الوقوف على خطابه ذلك الأمر الخطير من المحاذير والأخطاء أو العلم بما جاء في الشريعة من أحكام الخلافة والخلفاء ولكن كان كل همه أن يسبر غوري ويعرف مجري فكري ولذلك ألح في سؤالي .

أجبت : ليس في الاسلام خلافة بلا قوة كما انه ليس في الاسلام خلافة مستبدة ،

قال : اذن بم تفسر ما فعله عبد الحميد وغيره من الخلفاء والى ماتعزو اصابو الدولة من النكبات والأراء ، أو ليس أولئك الخلفاء هـــم الذين كانوا مصدر شقائنا وبلائنا ، أو ليسو هم الذين ساقونا الى تلك الحرب الطاحنة وضاعفوا مصابنا بما أصدروا من فتوى الجهاد وأمثالها .

قلت : إن الخلفاء الذين أقاموا في السنوات الدستورية لم تطلق أيديهم في تدبير البلاد ولا كانوا مستبدين بأمرهم بل كانت تجري الأمور في المملكة لا يحيطون بها علما . اذا كان هؤلاء الخلفاء في زمن الدســـــتور شيء من الامتيازات القانونية فما ذلك الا لكون الدستور جعلهم خلفاء على الأصـــول الرومانية لا خلفاء وفق الشريعة الاسلامية .

قال : كيف ذلك .

قلت : ان الاسلام انكر الفروق الطائفية وامتياز الطبقات والأفراد بعضهما عن بعض في الأحكام والتكاليف الشرعية بل أقام سائر العوالم البشرية في مستوى من تكاليفه تتحاذى فيه الأقدام والرءوس فلا يمتاز في أحكام دين الاسلام رجل عن امرأة ولا أمير عن سوقه ولا فقير عن عزيز، بل كلهم خاضعون للقانون السماوي .

« ليس بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولن تجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » .

وبذلك سوى الاسلام بين الرعاة والرعايا في سائر الأحكام والتكاليف

وقضى بمجازاة من يعدون حدود الله بلا تفرقة ولا تفاوت فاذا اصاب امير او سلطان او خليفة اى فرد بأذى كان عليه من الجزاء مثل ما على غيره من عامة الناس سواء كان ذلك الأذى عدوانا على نفس او جارحة او عرض او مال .

فليس فى دين الاسلام فوق الشرائع والاحكام امير ولا خليفة ولا سلطان ولكن تركية التى قلدت اوربا اقتبست من القوانين الرومانية قاعدة ان الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيين لا خلفاء اسلاميين .

ولو عقل رجال النهضة الدستورية اذ ذاك ادركوا ذلك الفرق البعيد بين دين يقول « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ويقول « ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » ويقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وبين شرائع قامت فى اقوام كانت تعبد الملوك والبراطرة وتعتبرهم مصدر الاشتراك والحكم فرفعتهم الى مستوى الاله الحق الذى هو وحده عليم ولا معقب لحكمه . اوجب دين الاسلام طاعة اولى الأمر ولكن على شريطة الا يأمروا بما يخالف اوامر الخالق الله ثم ابان لنا انه اذا وقع تنازع بين الراعى والرعية وجب ان يتحاكموا الى كتاب الله وسنة رسوله فلم يبح لأحد منهم مهما بلغ سلطانه وصولته ان يحكم الناس بما تهواه نفسه وتستطيبه شهوته حتى لقد اجاز للناس الخروج على غير القلائل الذين لا يقفون عند حدود الله من السلاطين والأمراء مبيحا لولى الأمر مقاتلتهم بل ومنعهم . ولقد تبسلت طائفة من المسلمين اجتهادا منهم الخليفة عثمان بن عفان ومنزلته فى الدين وبلاؤه فى نصرة الرسول على ما تعلم . كذلك الزم الناس على بن ابى طالب ان يقبل التحكيم عند ما رفعت المصاحف على اسنة الرماح وطلب خصومه التحاكم الى كتاب الله فلم يسعه وهو يعلم ان ذلك خدعة منهم دبروها لبلوغ حاجاتهم لم يسعه الا ان ينزل على ما طلبوا من الرجوع الى كتاب الله ليفصل فيما شجر بينهم ، ولم يغنه ان كان خليفة رسول الله وزوج ابنته وصاحب الحق فى ذلك المقام .

فلما سمع ذلك هم بالوقوف ايذانا بالانصراف فانصرفت .

واوعز الغازى الى غرفة فى المجلس ان تدعونى ذات يوم للاستقبال رسميا . جاءنى خطاب من جلال نورى ان اكون بمركزها يوم ٢ يناير ١٩٢٣ فقلت : ان سبب شقاء الترك وتأخرهم لم يكن دين الاسلام ولا قيام الخلافة فى بلادهم كما يزين لهم التتار الواغلون ويتوهمه الرهط المارقون ولكنها الأمراض الاجتماعية والجهالة الفاشية الفاعلة فيهم ما تعجز عنه الأوبئة الفتاكة .

وتساءلت : ما هي الخلافة : هل هي ضرورية للمسلمين .

اذا كانت واجبة فما فائدتها وما حكم فصل الخلافة عن السياسة شرعا او لا يجوز أن يكون الخلافة في طائفة من الناس كالمجلس الوطني ؟ ماذا افادت الخلافة الترك منذ تولاها السلطان سليم . الم يكن سببا في تقديس الخليفة في داخل المملكة وتالب دول أوربة على تركية حتى حرموها الراحة والطمأنينة . فماذا كانت عاقبة اعلان الجهاد خلال الحرب العامة .

هل ظاهرنا المسلمون على أعدائنا . افلم يمكنوا بسلاحهم لانجلترا وفرنسا من أرضنا واجلونا عن فلسطين وسوريا والعراق والحجاز .

أن النصر الذى احرزته تركيا حديثا لم يتم الا بسلاحها الحاد وفنها القوى وتدبيرها المحكم وما كان لأحد من المسلمين فيه فلما .

* تتكلمون عن الرئاسة الروحانية والرئاسة السياسية كانى في طائفة من الكاثوليك يشكون سلطان البابا وخلفائه من القساوسة ويألمون لما أصابهم من تصرف هذه الطائفة في عقولهم ووجدانهم . كيف ينتظر من قوم نبتوا في الاسلام ودانوا به أن يدركوا ما بين الدينين من الفروق الواسعة. لقد أوجب الاسلام طاعة أولى الأمر ما استقاموا على السنة ليس في الخلافة ولاقى الاسلام ما توهمتم من العيب ولكن «كيفما تكونوا يولى عليكم» لقد كانت قيام الأحكام باسم الله الحكم العدل حتى دب في مقلده الغرب من المسلمين دبيب الوثنية الرومانية فصاروا فيما يسمونه بعصر المدنية التى اتبعوا فيها أوربا شبرا بشبر وذراعا بذراع ، صاروا يستهلونها بأسماء خلفائهم وسلاطينهم فقبلوا وهم أهل دين التوحيد الكامل ما جاءهم عن الرومان الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركون ملوكهم بتلك الآلهة بل الذين كانوا يعتبرون في براطرتهم صورة الفلم الكبير الذى لا يسأل عما يفعل . لقد محا الاسلام ما كان بين طبقات الحكام وشعوبهم من الفروق في الأحكام والشرائع كما حارب الطوائف الروحانية بما انحى الانسانية من شرورهم ومفاسدهم ، أبطل دين الاسلام عقيدة أرث الخطيئة وأزال الحجب والحواجز التى كانت اقيمت بين الله وبين خلقه فاتحا مصراعى باب القدس لكل مستفتح ومائحا رضوانه وجنته لكل طالب .

بهذه الأحكام الرشيدة أنقذ الاسلام اتباعه من شرور رجال الدين الذين كانوا يحاولون الحيلولة بين الله وبين خلائقه ليلجئوهم أن يتخذوا منهم شفعاء ، ووسطاء ، حتى اذا ملكوا معاقد قلوبهم ساموهم العذاب وأرهقوهم بالمغارم وحجروا على افكارهم أن تتحرك .

يقص علينا تاريخ القرون الوسطى من هول سلطان الكنيسة ما تقشعر

له الابدان فمن حرمان من الايمان الى فادح من المغارم الى احراق بالنـــار الى استئثار بالغفران الى استباحة للاغراض الى افراط فى الشهوات .

أقامت الكنيسة محاكم التفتيش فسلبت النـاس الأمن والراحـة والسكينة حتى ضـاقت عليهم الأرض وضـاقت عليهم أنفســهم ولم يكن المسيحيون فى ذلك السلطان الدينى القاهر بدعا من الأمم والملل ، فقد فعل اليهود من قبلهم شيئا من ذلك ، كان أن كهذا البراهمة فى الهند لا سيما فى القرن ٦ و ٥ قبل المسيح ، بلغوا من الاستبداد بالأمر فى العامة ما أمكنهم من رقابهم وأموالهم وأعرافهم ، الى أن ضجت الانسانية وبرز المصلحون .

من ذلك السلطان الروحى (كما يدعونه) جاء الاسلام لتخليص القبائل والشعوب ويحرر النفوس البشرية وما كان لدين جاء لهذه الغاية أن يغسل الدم بالدم ويمحو الاستبداد بالاستبداد وينسخ الجور بالجور ..

ان الخلافة ـــ نيابة عن النبوة ـــ فى حراسة الدين وسياسـة الدنيا وان مقام النبوة الجليل كان يتجلى فى ثلاث صفات (الافتاء والقضاء والأمانة) وعليه فالتعرف فى الأحكام الشرعية على ثلاثة أوجه :

١ ـــ بالافتاء هو تصرف فى تعليم الأحكام وبيان العبادات .

٢ ـــ بالقضاء وهو تصرف فى رفع النزاع بين الناس .

٣ ـــ بالأمانة وهى تصرف فى ادارة المصالح العامة .

فالتصرف فى الأمور العامة هو الوصف المقوم للخلافة .

وهكذا فند ما زعمه البعض (شكرى أفندى) من أن الخلافة كالبابوية الكاثوليكية وانتقل منها الى ايضاح معنى الأحكام الالهية وانها لا يقتصر على الأحكام المنصوص عليها فى القرآن وحديث ، بل أن الأحكام التى تستنبطها علماء الشريعة بناء على القواعد الكلية المدونة فى كتب الأصـول والأنظمة والقوانين التى تسنها الأمم بناء على قاعدة الاجماع والقاعدة الشرعية التى توجب تقرير الأحكام الملائمة لمقتضيات الزمان والمكان .

(الأخبار ـــ ٦ مارس ١٩٢٤ وما بعدها)

(١٠٠)

خطـــــة اتاتورك

اقر مصطفى كمال اتاتورك مبادىء سته تبلور الفكر الكمالي :
الجمهورية :

القومية : التي لا تعتمد على الدين او الجنس .

الشعبية : بمعنى الديمقراطية والمساواة .

الدولية : بمعنى اشراف الدولة .

العلمانية : بمعنى لا دينية الدولة .

الثورية : بمعنى التصميم على التخلص من كل ما هو قديم وتقليدى اذا لم يكن فى خدمة الأهداف القومية .

وغاية الخطة : القضاء على فكرة الوحدة الاســلامية مع تحميلها كل اسباب تخلف تركيا وضعفها على رأى فى دعواها مصدرا مستمرا للاحتكاك بالغرب .

جاء فى خطاب اسكى شهر : لم يكن هنـــاك حد فاصــل بين الدولة وبين الحرب .

فى سبيل تحقيق ذلك قامت بعديد من الانقلابات الثقافيــة : الثورة اللغوية ، الثورة التاريخية ، التي قصد بها تدعيم فكره القومي والوصول به الى عقول الجماهير وخاصة الأجيال الشابة .

* ان مفهوم الوطن عند العثمانيين المسلمين هو كل أرض عاش عليها اناس من العرق التركى المسلم اما القوميون فكانوا يرون غير ذلك ويفكرون أن وطنهم هو ما تبقى لهم من ارض داخل حدود قومية حددتها المعاهــدات والاتفاقات الدولية .

* محاولة تجنب المجتمع وتخليصه من الشعور بالنقص تجاه أوربا عن طريق البحث التاريخي ، ويصلون من ذلك الى ان الاتراك كانوا أول من أسس مدينة كبرى في آسيا الوسطى ثم هاجرت تلك المدنية وانتشرت في أماكن متعددة من العالم وكان هدف الأتراك من التغريب هو عودتهم الى مدنهم مرة اخرى واذا كان للترك حضارة فعلية في الماضي فانهم يمكن أن يؤسسوا حضارة عظيمة في المستقبل ولذلك فليس ثم مبرر للشعور بالنقص تجاه الأوربين فالتغريب يعنى الاقتناع من جديد بمدنية هي في الأصل جزء من مدنيهم المهاجرة ، ركزت الأبحاث على المدنيات التي اسسها الترك في آسيا الصغرى على مر العصور ، المدنية الحيثية ، المدنية السومارية وهم في نفس الوقت يحجبون مدنية السلاجقة ضد اتجاه الطورانية ، السلاجقة والعثمانيين تظهر روابط القربى بين الترك والمسلمين . وكان الأتراك يهدفون من هذه الأبحاث اظهار ملكيتهم لتاريخ طويل في الأناضول . ورغم أن المؤرخين من الأتراك يرون أن تلك الأبحاث خروج على الحقائق التاريخية وتجاوز لحدود البحث العلمي الأمين الا انهم يرون أن ذلك يمكن أن يغتفر في سبيل ما كانت تصبو اليه الدولة من غرس مبادئها القومية وابعاد شبح الشعور بالنقص .

(فتحى عبد المعطى التكلاوى)

(٢)

شق اتاتورك بالقومية المدخولة العرب عن الترك ونفذ لما دعاه فصل الدين عن الدولة وفرض العلمانية وجعل خمسين الف مسجد في تركيا عديمة الأثر في الواقع ، لقد نسى المخدوعون باتاتورك الدارجون من مدارسة أن ربط تركيا بعجلة الغرب لا يعنى أنها ضد الشرق الشيوعي . ان اتاتورك ولينين يجلسان في زاوية ماسونية واحدة ، هي ليست شرقا بل مشرقان وان سارا في خطين متغايرين فهما يلتقيان في خدمة اهداف الماسونية والتصميم على هزال الاسلام .

(٣)

ليس بصحيح كون مصطفى كمال هو الذى حرر تركيا فالذين حرروا تركيا هم عصابة كان مصطفى كمال واحد منهم وقد عضدهم الشعب التركى بأسره وكان نهوض كاظم باشا قره بكير وجماعة من قواد الجيش وعقدهم المجامع في أرضروم وسيواس وقرارهم على المقاومة قبل التحاق مصطفى كمال بهم ببضعة أشهر ولكن مصطفى كمال منذ دخل الحركة الوطنية التركية

كان يضمر فى أعماقه الاستئثار بالأمر ، كان المجلس الكبير الذى تعاقد على مقاومة الأتراك لجيش اليونان فى أزمير بقيادة كاظم بكير وعلى احسان ونور الدين وعمر فوزى قبل أن ينضم اليهم مصطفى كمال .

(راجع ابراهيم شريف : الشرق الأوسط ١٠٤/١١٩)

ثم لم يكد توافى الظروف مصطفى كمال وتظهره على بعض رفاقه الذين سعى الى طمس اختبارهم وبطولاتهم من اول يوم ويأخذ ميثاقا فى فى اوزان حتى مكن للدونمة من نفسه وللماسون من سياسة الغاء الخلافة .

(٤)

أصبحت تركيا من الناحية الدستورية دولة علمانية لا دخل للاسلام فى تحديد سياستها الداخلة والخارجة وان هذه « العلمانية » قد فرضتها على الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى بموجب معاهدتى سيفر ولوزان لقاء الاعتراف بها كجمهورية قائمة على أنقاض الخلافة لا يتعدى سلطانها حدود الأناضول .

وأن الذين فرضوا عليها هذه « العلمانية » لا يزالون حريصين على دوامها تحقيقا لأهداف ما اصطلحوا على تسميته بالمسألة الشرقية وهى مسألة لا تخص الاتراك وحدهم بل تخص المسلمين جميعا لأنها تعنى القضاء على الدولة التى كانت قائمة آنذاك وتعطيل نظام الاسلام وتفتيت العالم الاسلامى واقتسامه مناطق نفوذ بين الدول الأوربية والابقاء على هذه الأوضاع الا أن هذه القوى المعادية للاسلام قد ركزت على ابعاد الاسلام عن تركيا ابعادا تاما قدر الامكان .

ثم كان اعتراف تركيا باسرائيل ١٩٤٧ .

وبعد حوالى نصف قرن مرت على تركيا بدأت العلمانية تشهر افلاسها وتترنح أمام صمود الشعب التركى على اسلامه واخذ الاسلام فى تركيا يزحف الى قواعده من جديد . ان الذين فرضوا العلمانية على تركيا ما كانوا يبتغون مصلحتها وانما كانوا يريدون الانتقام منها واذلالها وذلك يرجع الى حقد لئيم دفين يرجع الى أيام خيبر وفتح الأندلس والقسطنطينية ومعركة حطين .

(١٠١)

ارلوند توينى وتجربة تركيا الكمالية

بدلا من ان تنحصر الثورة التركية فى ميدان واحد كما هى الحـال فى ثوراتنا الاقتصادية والسياسية راحت تجتاح جميع الميادين دفعة واحـدة وتقلب حياة الشعب التركى رأسا على عقب من أعلى نشاطاتها وتجاربهـا الاجتماعية الى قاعها الأدنى . ولم يكتفى الأتراك بتغيير دستورهم فقد خلعت هذه الجمهورية حامى الاسلام والغت خلافته وأزالت حجاب المرأة ونبـذت جميع مقتضياته وأبطلت الوقف اسلامى وحلت الزوايا والخانقات ، وحملت الرجال على الاختلاط بغير المؤمنين اذ فرضت عليهم مجاراة هـؤلاء بلبس القبعات ذات الحواشى التى تمنعهم من ممارسة التصعيد الاسلامى القاضى بأن تمس جباه المصلين أرض المسجد ، وخنقت الشريعة الاسلامية بترجمتها القانون المدنى السويسرى الى التركية واقتباسها الملائم المكيف من قـانون الجزاء الايطالى ثم جعلها هذه القوانين المقتبسة سارية المفعول بقرار اجهزة المجلس النيابى بالتصويت ، ولقد اسـتبدلت خلال هذه الثـورة الأحـرف اللاتينية بالأحرف العربية مما أدى الى اطراح القسم الأكبر من التراث الأدبى العثمانى القديم .

ان الأتراك كانوا ولا شك يحاولون أن يقلبوا شعبهم وبلادهم الى شىء ، ما فتئنا فى اللقاء بين الاسلام والغرب بتهمهم بمنافاته لطبيعتهم ، لقد كانوا يحاولون ومن هنا هذا التأخر فى الميعاد أن ينشئوا فى وطنهم نسخة من أمة غربية وبلد غربى .

اقل ما يقال فى انتقاداتنا هذه المواجهة الى الأتراك أنها جافية وبامكان الضحية التى تسلط عليها رقابتنا أن تفحمنا بقولها أنها مهمـا فعـلت فلن يستقيم عملها فى أعيننا وبامكانها أن تستشهد ضدنا ، غير أن هذا لا يعنى أن انتقاداتنا على قساوتها كلها اقرار ، اذ ماذا سيضاف بالتالى الى التراث الحضارى فيما لو ثبت أن هذا الجهد لم يكن عبثا . هذا تجلى ناحيتا الضعف. (الأولى) : تمكن فى أن تقلد على الأصل ولا تبدع فهى تفعل ذلك الى درجة أنها حتى فى مجال نجاحها لا تقدر على أكثر من أن تزيد مقدار الانتاج الآلى

للمجتمع الذى تقلده بدلا من أن تتحرر فى النفوس البشرية طاقات خـلاقة جديدة ، وناحية الضعف الثانية هى أن هذا النجاح المحدود وهو خير ما يستطيع ان يحققه ، لا يستطيع ان يهب الخلاص لغير اقلية ضـئيلة من هذه الجماعة ، اما الباقون وهم يشكلون الاكثرية فانهم لا يسـتطيعون أن يأملوا فى أن يصبحوا حتى اعضاء سلبيين فى المدنية المقلدة . وهذه الشعوب غير الغربية حتى ولو قدر لها ان تحول بلدانها الى دول حديثة سيدة مستقلة بواسطة انقلاب بطولى .

ان اقصى ما يمكنهم تحقيقه لا يخرج عن النجاح السلبى فى مجال البقاء المادى ان الذى ينجو من الافناء يستحيل الى راسب حضارى متحجر منقرض من حيث طاقته الحيوية .

الحق انه لا يقدر أن يشاركنا مشاركة خـلاقة فى زيادة انماء هـذه الحضارة الحية .

تركيا بعد أتاتورك

عقب نجاح عدنان مندريس ١٩٥٠ بدأت مرحلة جديدة في تركيا وبدأت العودة الى الاسلام فى مجال التعليم والدعوة وأولت الحكومة عنايتها للمسلمين وبشاعرهم الروحية فعاد الآذان للصلاة والاقامة لها باللغة العربية واحييت مدارس القرآن الكريم ورخص للناس افتتاح مدارس القرآن بعد أن ظلت مغلقة مدة ثلاثين عاما كما فتحت معاهد الأئمة والخطباء مما مكن لظهور شباب يحملون رسالة الدعوة الى الاسلام وتعليمه للناس .

وهناك خمس وثلاثون مدرسة على المستوى الثانوى لتخريج الأئمة والخطباء يدرس بها حوالى خمسة وسبعون ألف طالب وخمس معاهد اسلامية عالية (٦ آلاف طالب) وكليتان للشريعة فى انقرة (الف طالب) وفى تركيا ستة وثمانون الف مسجد ترعاها الدولة من جملة ١٤٠ الف مسجد .

لقد انتصر عدنان مندريس على العلمانية عام ١٩٥٠ وتفتحت الآفاق للاتجاه الاسلامى ، اعادة الآذان ، وقع الحواجز عن رجال الدين ، السماح بتعلم اللغة العربية ودراسة القرآن ، وفتح المساجد التى أغلقت .

ثم بدأت القوى اليهودية السرية التخطيط لاسقاط مندريس فى انقلاب ١٩٦٠ الذى قام به جمال جورسيل وأعدم مندريس واثنين معه ١٩٦١ بتهمة خرق الدستور الذى وضعه أتاتورك .
فقد كان الجيش التركى — ولا زال — يعمل على حماية مبادىء أتاتورك بعد أن كان جيشا مجاهدا فى سبيل الله .

وبتعدد أسباب الاضطراب الداخلى التركى ومن ذلك العلمانية ومنها الطائفية (اقلية علوية فى لواء الاسكندرونة ٢ مليون شخص تعذى هذه كردى يشكلون احتياطيا هائلا للاضطراب) وتتزعم روسيا الحركة الشيوعية فى تركيا بالمال والسلاح وهناك مشاكل اليونان والأرمن والبلغار الذين يديرون الاضطرابات الداخلية فى تركيا .

يقول الدكتور سليمان اتش (استاذ بجامعة انقرة) ان الشباب فى تركيا الآن يعتقد ان فى الدنيا ثلاثة طرق : طريق الراسمالية ، وطـــريق الشيوعية ، وطريق الاسلام وقد جربت الدنيا الطريقتين الأولين فما وجـدت فيها أية سعادة .

فالمعتقد أن سعادة المسلمين فى تطبيق احكامه .

ويقول لا يمكن أن تذوب الرابطة التى جمعتنا كمسلمين عشرة قرون وقال أن الكتب الاسلامية منتشرة فى اوساط الشباب ، والمســـاجد تمتلىء بالمصلين ، وهناك اقبال على المعاهد الاسلامية ، وهناك دور طباعة كثيرة فى تركيا تتسابق على نشر الكتاب الاسلامى (وخاصة كتب المودودى وابو زهرة وقطب) .

ويقول أن من عوامل الهزيمة « تعريب قضية فلسطين » وعزلها عــن مسلمى العالم فالعالم الاسلامى يرغب فى التطوع للمشـــاركة فى قضـية فلسطين والعرب يرفضون العون ويصرون على العزلة . لقد حرص الحكام العرب على ابعاد العنصر الاسلامى ومحو الصبغة الدينية عن القضية ، فى الوقت الذى اعتبر اليهود أن الدين هو صميم قضيتهم وعصــــبها ، وبذلك حطم هؤلاء الحكام العامل المشترك الذي يربط الشعوب العربية مع شعوب القارة الافريقية وآسيا واجزاء من اوربا وساعدوا علي عزل الأمة العربية عن أكبر رصيد دولى كان يمكن أن يقف معها بل ذهبوا الى التهجــم على الاسلام ومحاربته .

وهناك الحكام القوميون الذين كانوا يحلمون بامبراطورية عربية تكون طوع بنانهم خصوصا فيما يتعلق بخطهم السياسى تجاه القضية الفلسطينية خشية أن تهزم مخططاتهم وسياساتهم امام المبادىء الاسلامية الواضحة ، وهناك الماركسيون الذين ازداد نفوذهم فى حكومات الهزيمة وهؤلاء كانوا يخشون اى وحدة اسلامية لا تقوم على الأممية الشيوعية أو المنظـــومة الاشتراكية الدائرة في فلك المعسكر السوفيتي . وهناك الغرب وعمـــلاء الغروب وهؤلاء يفضلون دمار العالم الاسلامى حتى الحضيض دون ان يشهدوا صحوة العملاق الاسلامى .

(٣)

فى عام ١٩٧٣ برز حزب السلامة الوطنى بقيادة الدكتور نجم الدين اربكان وتوالت انتصاراته وعاد الهتاف فى تركيا « الله اكبر » وعاد هتاف النشيد الوطنى للجيش العثمانى المسلم : جيش محمد الفاتح فاتح استانبول

ورفع العلم الأخضر ذو الأهلة الثلاثة ، علم العالم الاسلامى الموحد بينما انفجرت العيون حزنا على ما فقد أملا بالنصر القريب .

قال : اننا قمنا بفتح أكبر عدد من المدارس الدينية ومراكز تحفيظ القرآن فى تركيا . ان مفتاح تشكيل الحكومات فى تركيا سيبقى باذن الله فى يد المسلمين الى الأبد وكان عقد مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى فى استانبول بمثابة نقطة انطلاق .

ان حزب السلام الوطنى يناصر الشعوب الاسلامية المضطهدة تحت السيطرة الشيوعية خاصة الأقليات التركية التى تعيش فى بلغاريا وفى اليونان ، ويرى اربكان ان قضية فلسطين قضية اسلامية اولا وآخرا والعرب المنسلخون عن الاسلام اقل واذل من ان يحرروا فلسطين .

وبدت تركيا وكأنها قد نزعت نفسها من الأمر الذى فرضه عليها أتاتورك واخذت طريق الأصالة ، وسارت بخطى سريعة فى طريق التحول ودعا اربكان الى وحدة اسلامية . « على العالم الاسلامى أن يتعاون من اجل استخدام قوته الاقتصادية فى تحقيق تنميته الخاصة » ان هناك خمسين دولة اسلامية تبلغ تعداد سكانها حوالى مليار نسمة ولكن اجمالى الناتج القومى لديها قليل للاسف رغم ان الدول الاسلامية هى التى تملك القوة الاقتصادية الحقيقية الممثلة فى التسويق .

الانقلاب التركى ١٩٨٠

وقع الانقلاب التركى ١٩٨٠ فى مواجهة المنطقة الاسلامية ، وكانت انقرة الاسلامية قد عبرت عن احتجاجها بمظاهرة ضخمة معادية لاسرائيل ، دعا اليها حزب السلامة الوطني واحرقت فيها اعلام اسرائيل وامريكا وروسيا والقي نجم الدين اربكان خطابا حماسيا ندد فيه باسرائيل واتهم الحكومة التركية بالسير فى ركاب امريكا والغرب .

ثم وقعت أحداث قونية عاصمة الأناضول الواقعة فى قلب المنطقة المسماة « تركيا الاسلامية » فعلى مر السنوات كانت هذه المدينة بمثابة العاصمة الاسلامية لتركيا يؤمها الاتراك الذين يصرون على ان تركيا ما زالت رسميا دولة اسلامية والضريح قبر مولانا ، قبلة يحج اليها الالاف سنويا لمجرد انه مكان مقدس دفن فيه العالم الصوفي الشهيد مؤسس طائفة الدراويش وكانت المدينة دائما تحت سيطرة حزب السلام الوطني وزعيمه نجم الدين اربكان وهو الحزب الذى ينادى بتطبيق مبادىء الاسلام وتعاليمه مرة أخرى فى تركيا .

وكان البحث يدور بين العسكريين الاتراك والأمريكيين حول صلاحية السماح للاحزاب الاسلامية بتولي الحكم فالنظرية الأمريكية فى ذلك الوقت كانت تؤمن أن الدين خير رادع لانتشار الشيوعية وان تشجيع الأحزاب الدينية حتى ولو كانت متطرفة هو من افضل السبل لانشاء حزام واحد حول العالم الشيوعى يمنع من انتشار نظرياته خارج حدود الدول الدائرة فى فلك موسكو . وكان العسكر الاتراك ضد هذه النظرية على خط مستقيم ، وكانوا يرون أن تسلم السلطة للأحزاب الدينية يعنى تقويض دعائم الدولة الأتاتوركية وجاءت أحداث ايران لتدعم موقف العسكريين الأتراك فى جدالهم مع الأمريكيين .

وفى المظاهرة : خرج المتظاهرون بالطربوش الذى حرم اتاتورك ارتداءه منذ عام ١٩٣٤ وتعالت هتافاتهم : عاشت تركيا اسلامية : الحكم للقرآن ، يسقط الالحاد ، الموت لأعداء الاسلام واليهود ، كان انزعاج العسكريين يفوق قلقهم على أنهيار الأمن وقام اتباع حزب السلام (الخلاص) بالمتاع محصد صغير فى قلب القسطنطينية على الجانب المقابل من نافورة احمد الثالث . المسجد كان ملتصقا بجامع ايا صوفيا الذى أصبح رمزا لمدينة القسطنطينية وتركيا الحديثة ففى عام ١٤٥٣ حول السلطان محمد الثانى الكنيسة البيزنطية المعروفة باسم القديسة صوفيا الى احد اكبر مساجد الامبراطورية العثمانية وعلى مدى ٤٥ عاما حولت أيا صوفيا الى متحف وحرمت فيه الصلاة والتعبد .

وأدرك الجنرال افرين ان تركيا مقبلة على ثورة اسلامية لا محالة .

(٢٠٤)

محاولات العودة الى الاسلام

كان مشروع شافينتى الموضوع ١٦٠٦ ينص علىضرورة احتواء الاتراك من اقاصى آسيا الصغرى وحملهم على الديانة الكاثوليكية ثم يقسم المشروع الامبراطورية التركية الى عدة اقسام فتخصص قسط لبريطانيا وقسم لفرنسا وثالثا لاسبانيا وربما لايطاليا ايضا وهو ما حدث بعد ذلك بثلاثة قرون .

وكان الغرب لا يقبل ان تبقى قطعة من أوربا تدين بالاسلام ويعتبر الغرب قارة مسيحية ويجب ان تبقى مسيحية ، وكانت الدولة العثمانية تعتبر عدوة المسيحية الأولى وكان التحالف الاسلامى يهدف الى قضاء مصالحه بالقضاء على اكبر امبراطورية فى العالم .

وقد كتب نابليون وهو فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانه قائلا :
« تذاكرت مرارا مع الروس فى امر قسمة السلطنة العثمانية وكان ذلك ممكنا لولا (القسطنطينية) التى كانت دائما سببا لمنع الاتفاق ، فقد كان الروس يريدونها ولم أكن ارضى باستيلائهم عليها فان القسطنطينية مملكة ومن ملكها يمكنه ان يسود كل الدنيا .

وجاء القرن العشرون ليقع الحديث عن (الرجل المريض) وما مرضه الا نتيجة التآمرات التى استمرت طوال القرون ، ولقد صارت الدولة تضعف وتضعف وصار يسيطر عليها الآونة بعد الأخرى بعض الذين لا خلاق لهم ، فثارت المنازعات من حولها وانفتحت شهية الطامعين الحاقدين وزادت المشاكل تعقيدا وتأكد الجميع ان هذه المشاكل لا تنتهى الا بحرب عالمية قد تاتى على الأخضر واليابس واتت حرب ١٩١٤ لينفذ البرنامج المقرر وليقضى نهائيا على الخلافة الاسلامية فى تركيا ولقد استعملت كل الوسائل لمحو الوجود الاسلامى من تلك الأراضى ، فلقد ادعو بأن أسباب ضعف هذه الدولة العظيمة هو التزامها بالاسلام وخلط شئون الدين بشئون الدنيا والاستمرار فى تسيير شئون الدولة طبق شرائع سماوية وان لا علاج الا بفصل شئون الدين عن شئون الدولة والأخذ بقوانين اجنبية عصرية وان وجود هذه الدولة

فى القارة الأوربية يحتم عليها أن تسير فى النهج الأوربى ويتبع التقاليد الغربية الأوربية .

لقد آمن بعض المسئولين الأتراك بنظرية الغربيين وظنوا أن تقدمهم فى ميدان الحضارة وكانهم بالركب الأوربى يتطلبان نبذ الاسلام والتنكر لمبادئه فطفقوا يعملون جاهدين على ابعاد الاسلام عن معركة الحيـاة وازالوا من الدستور الفقرة التى تنص على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام وقالوا انهم سينشئون الدولة التركية الجديدة التى تسير فى الاتجاه الغربى العلمانى ويبتعد عن كل اتصال وجنو الى الماضى وهكذا حققـوا ما كان يتوق اليـه الاستعمار طوال قرون ولم يستطع الوصول اليه .

مضت خمسون سنة كاملة ، على السير فى هذه التخطيطات ، ولكن جذوة الاسلام فى الشعب التركي لم تخمد ، وشعلة الايمان لم تنطفىء ، فما أن رجعت عنه يد القهر ، حتى رجع لحقيقته التى آمن بها وها نحـن نرى بوادر نهضة دينية حقيقية تنبعث فى تركيا ، وها هو كثير من الشباب المتعلم يحس بضرورة الاستجابة لرغبات الشعب التركى المؤمن ، فيطالب بالرجوع الى حقيقة الإسلام الحنيف ، ويدعو الى ربط عجلة تركيا بالأمة الاسلامية .

يوجد الآن مائتان وخمسون مدرسة لتكوين وتثقيف الأئمة والخطبـاء وعدد طلبتها مائتان وخمسة وسبعون الف طالب وتوجد كليتان اسـلاميتان (فى أنقره والأخرى فى أرض الروم) واللغة العربية اسـاسية فى كلتـا الكليتين (١١٠٠ طالب) .

وتوجد كلية اختصاص فى اللغة العربية والعلوم الإسلامية باصطنبول والدراسة فيها بالعربية .

عدد الوعاظ فى تركيا ٦٤١ واعطاء عدد المقيمين (٦٣٤) مدرسـو القرآن ١٥٤٣ مدرسا الأئمة والخطباء ٣٣ الفا . (أبو بكر القادري)

ان المتتبع للأحداث التى جرت بتركيا ابتداء من الانقلاب الذى قام بـه الزعيم مصطفى كمال سنة ١٩٢٣ والذى أصبحت فيه تركيا ــ بعدما الغت الخلافة ــ جمهورية علمانية متجهة اتجاها اوربيا غربيا ، يلاحظ أن تغييرات أصبحت تدخل على المفاهيم التى فرضـهـا أتاتورك على تلك البلاد بقـوة السلطد والعنف الشديدين ، فقد قرر أن يصبغ الدولة التركية بالصـبغة اللادينية ويمحو كل ارتباط لها بالاسلام وبالعالم الاسلامى وهكذا اسـتبدل التشريعات الاسلامية بقوانين سويسرية وايطالية وفرنسـية وقضى بعنف على كل من اصبح أو أراد الوقوف فى طريقـه ، لقد الغى وزارة الأوقاف الاسلامية واقفل عددا من المساجد ولم يترك الا البعض منها وتدخـل فى خطب الجمعة يوجه الخطباء كما يريد ومنع الآذان باللغـة العربية وزاد فالزم الشعب برفض لبس الطربوش واستبداله بالقبعة الأجنبية كما فرض اللباس الأوربى على الأتراك وأمر باستبدال الحروف اللاتينية فى الكتـابة والزم المراة التركية بالسفور ودعا الى الإعتزاز بالقومية الطورانية بـدل الانتماء إلى المجموعة الاسلامية الى آخر ما قام به من أعمال أثارت السخط الكبير فى العالم الاسلامى ، ومن جملة ما قام به (أتاتورك) تأسيسه لحزب الشعب الجمهورى ١٩٢٣م والذى تزعمه بعد وفاته ١٩٣٨ السيد عصمت اينونو .

لقد اراد حزب الشعب تحت قيادة مصطفى كمال ان يقطع كل صـلة له بالماضى العثمانى كما اراد ان يركز نظرية جديدة مؤداها ان الاتراك من العرق التركى الأصل وليس لهم ارتباط بالعرق السامى الشرقى .

ولذلك فمن واجبهم التحرر النهائى من اى ارتباط بالشرق ، ومن أى تدخل دينى كيفما كان نوعه وحاول فى نفس الوقت انتهـاج سياسـة اقتصادية خاصة ، تتسم ببعض جوانب الاشتراكية وتصفى العناصر الدخيلة فى البلاد ، خصوصا تلك التى تستنزف خيراتها وامكانياتها الاقتصـادية ، وهكذا قام ببعض الاصلاحات فى الميدان الاقتصادى . لقد سار حزب الشعب فى سياسة رئيسه مدة من الزمان ولكن مع مرور الأيام صارت تدخله عدة تيارات فيها المعتدل وفيها المتطرف فلم يستطع ا ن يدخل تغييرات جـذرية اصلاحية على البنيان الاقتصادى رغم ما كان يصرح به زعماؤه .

اما حزب العدالة والحرب الديمقراطى فانه لم يتأسس الا سنة ١٩٦١

وهـو مختلف كثيرا عن حزب الشـعب الجمهورى ، فلقـد زاد من ربط عجلة تركيا بالغرب ففتح الأبواب للأموال الأجنبية تدخل الى البلاد بقصد الاستثمار وايد الاحلاف العسكرية مع الغرب وارتمى فى أحضان السوق الاوربية المشتركة ورغما من انه بقى وفيا لمبدأ علمنة الدولة فانه أفسح المجال للقيام ببعض الاصلاحات الدينية فى البلاد .

ثم تأسيس حزب السلامة ١٩٧٠ الذى يتزعمه نجم الدين اربكان وقد دخل فى انتخاب ١٩٧٧ وحصل على مليون و ١٨٩ الف . انه ينطلق من ضرورة ارتباط تركيا بالمجموعة الاسلامية ارتباطا صحيحا سواء فى الميدان السياسي أو الميدان الاقتصادى ، وهو يرفض الرفض النهائى كل تحالف غربى أو شرقى ، ويقول بعدم التبعية لأى من المعسكرين وهو يقاوم الدخول فى السوق الأوربية المشتركة ، ويعتبر السير معها تكبيلا للاقتصاد التركى وهو يدعو الى الاهتمام بتصنيع تركيا تصنيعا حقيقا خصوصا الصناعة الثقيلة .

وقد تولى السيد نجم الدين اربكان منصب نائب رئيس الحكومة ولقد قام بالفعل بوضع حجر الاساس [illegible] من المصانع فى عدة ولايات فى تركيا اذ من رايه تعميم التصنيع فى كثير من الولايات .

هذا كله ان دل على شيء فهو يدل على أن مرور نصف قرن وزيادة ، لم يمكن مطلقا أن يبعد الحقيقة الاسلامية عن ضمير الشعب التركى المتشبث بدينه والمتطلع الى استرجاع شخصيته الاسلامية وذلك مما يعمل له كل المخلصين الأتراك . ابو بكر القادرى (العلم) ٩ يوليو ١٩٧٧ م

مؤتمر السيرة النبوية فى تركيا

(٣٠ يونيو ١٩٧٧)

اعد السيد نجم الدين اربكان فى نهاية مؤتمر السيرة والسنة المنعقد فى تركيا صورة اتفاق على هيئة تعهد التزم به ووقعه المسئولون عن الصحافة الاسلامية التى شاركت فى المؤتمر مع بقاء الباب مفتوحا لمن يريد الانضمام الى هذه الفئة العاملة على الدفاع عن قضايا أمتها .

١ ـ المحاربة لجميع أنواع الانحراف والفساد والشرور كيفما كان نوعها ومن اى جهة كان مصدرها : ان الاسلام يدعو الى تثبت الأخوة الاسلامية ومحاربة كل فكرة عنصرية او سلالية ولذلك فان الصحافة الاسلامية تلتزم بالعمل لتبث فكرة الأخوة بين مختلف الشعوب الاسلامية حتى تصبح اخوتها حقيقة وتعاونها صادقا ، فتتحقق الأمة الاسلامية الموحدة ، التى دعا اليها الاسلام ، ومثل لها سيد الأنام :

(مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

ونظرا لان الظروف التى يجتازها العالم الانسانى فى العصر الحاضر ، تتسم بكثير من الظلم والحيف والتسلط والمكر والاستعمار : هذه الشرور المنجابة خصوصا فى الامبريالية والصهيونية والمتعاونين معها فان واجب الصحافة الاسلامية أن تكافح الامبرياليةوالصهيونية وتحاربهما وتكشفخبثهما وتآمرهما على العالم الانسانى بما فيه العالم الاسلامى وان الدعوات المادية والأفكار الالحادية البارزتين فى المذاهب الشيوعية وما شاكلها من الدعوات الالحادية اصبحت تجد رواجا حتى فى بعض المجتمعات الاسلامية ، خصوصا فى الأوساط البعيدة عن التكوين الاسلامى الصحيح ودفعا لخطر هذه الدعوات فان رجال الصحافة المسلمين مطالبون بفضح حقيقتها وتوضيح اخطارها على العقيدة الاسلامية ومحاربة كل النزعات المادية والأخطار العلمانية التى لا تتلاءم مطلقا مع الخط الاسلامى الذى يدعو الى التمسك بالعقيدة والعمل على اسعاد المجتمعات الانسانية وتحقيق العدل فيها . ان حرية الانسان شيء مقدس فى نظر الاسلام وفى المجتمعات الانسانية ومقاومة

العادات السيئة والانحلال الخلقى أمور تلتزم بها الصحافة الاسلامية وتجعلها فى طليعة الأهداف التى تناضل فى سبيلها .

وقد لاحظ الصحفيون المسلمون أن المسلمين فى كثير من أنحاء الأرض يعانون الأهوال والمحن والسدائد ، فتسلط عليهم الحروب ويذوقون كثيراً من أنواع البلاء فالمسلمون فى اريتريا والفيلبيين وقبرص وغيرها يعانون محنا متتالية وأهوالا شتى لذلك فإن واجبهم أن يفضحوا كل أنواع التآمر الذى يقوم الامبريالية والاستعمار والصهيونية ضدهم وأن يشدوا من أزرهم ويساندوهم حتى يحققوا الانعتاق والتحرر وتحقيق الحياة السعيدة .

(٦٠٥)

ما الذى فعل اتاتورك باللغة التركية حين أبعد الحروف العربية ؟

بقلم : عبد القادر القادرى

وجه مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فى يناير ١٩٧٤ نداء الى شعوب الأمة الاسلامية فى شأن خطورة كتابة لغات المسلمين غير العربية بالحروف اللاتينية .

وبمناسبة هذا النداء أحببنا أن ننبه الى الخطأ الذى وقع فيه مصطفى كمال اتاتورك باستبداله الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، هذا الاستبدال الذى أوحى اليه به صديقه اليهودى التركى ظيا صفت .

« ان انقلاب الحروف ــ يقول العلامة التركى محمد عزت دروزة فى بحث له ــ كان من أهم الخطوات الانقلابية فى تركيا الحديثة واشدها خطورة واثرا لانه بدل صورة راسخة فى الشعب التركى متصلة بحياته الثقافية والدينية والأدبية والرسمية منذ اكثر من الف سنة بصورة جديدة كل الجده وقطع أو أضعف ضعفا شديدا رابطة هذا الشعب المسلم بثقافة الأمة العربية بل ولعله لا يكون تجاوزا أن يقال بالدين الاسلامى الذى كانت الحروف العربية وما زالت من أهم مظاهره باعتبارها صور حروف القرآن الذى هو أسس الاسلام .

هذا وقد كانت الخطوة الأولى العملية فى سبيل هذه الحركة الانقلابية فى صيف عام ١٩٢٨ حيث استصدر قانون الحروف فى أول جلسة عقدها المجلس الكبير نص فيه على ابطال الحروف العربية وتعويضها بالحروف اللاتينية .

فحرف C هو مقابل « ج » وباضافة اشارة تحية C يصبح جيما شبيها « ج » وحرف الشين يرمز اليه بحرف S مضافا اليه اشارة تحية S لأحرف I للغين الشديدة ويضاف اليها اشارة فوقية G فتكون

ـينا خفيفة بين الغين والكاف ولم يؤخذ حرف G واكتفى بحرف K
الكلمات التى فيها كاف مع مساعدة حرف (G)

كما لم يؤخذ حرف (X) لأنه ليس له صوت فى اللغة التركية ومع ابقاء حرف الصوتى بالنقطة جعل الى جانبه شكل مثله بدون نقطة ومع ابقاء حرفى O و U الصوتين أضيف شكلان مثلهما وعليهما نقطتان «ة» «ت» .

وهكذا صار فى الحروف الجديدة بما فيه حروف صوتية لكل منهما صوت خاص واستعيض بذلك عن التركيب الحرفى الصوتى فى اللغات الأوربية الذى يكون لكل منها صوت خاص به بتركيب حرفين أو أكثر من الحروف الصوتية ولم يجعل للحروف العربية التى ليس لها فى اللغة التركية أو اللغات الأوربية مقابل تام مثل الضاد والحاء والثاء والخاء والذال والطاء والظاء والعين والصاد والكاف المتوسطة بين قاف والكاف بالرغم من أن هناك مفردات عربية كثيرة جدا امتزجت فى التركية تحتوى هذه الحروف (انظر ما هو مكتوب تحت عنوان جريدة ازمير التركية : اى صباحية Sabanilan و Suyasi اى سياسية .

وقد أوجب القانون اعتبار الحروف الجديدة اجبارية منذ أول يناير ١٩٢٩ ولقد كان من جراء التبديل ان اكثر الكلمات العربية التى ما زالت كثيرة الى الآن فى اللغة التركية رغما عن الجهود الجبارة فى التنقية والتصفية والاستبدال قد مسخت كتابة كما كانت تمسخ لفظا حتى ليصح ان يقال ان معالمها زالت او هى فى طريق الزوال وأنه يصعب ردها الى أصلها فى حين ان هذه المعالم كانت على الأقل قائمة بالحروف العربية فالعين والضاد والخاء والتاء والذال والطاء قد زالت فكل ضاد دال وكل طاء تاء وكل خاء هاء وكل ذال زاى وكل ثاء وظاء سين الخ .. والعين قد زالت بالمرة وصارت رنة الألفاظ العربية التى فيها هذه الحروف متوائمة مع الرنة التركية وهذا مقصد من مقاصد الاستبدال الجوهرية .

والطريقة التى يبدو انهم اختاروها واعتبروها المثلى بعدما قطعوا الشوط الكبير الذى قطعوه تقوم على أساس استبقاء المفردات والمصطلحات العربيلا وغيرها بقدر الحاجة وما دام الاستغناء عنها صعبا مع اخضاعها فى نفس الوقت فى حركة التنقيب والصقل والاستبدال فى غير تعجل (انتهى بلفظة) ولاخفاء ان الدول العربية قامت بتعريب المفردات والمصطلحات الاوربية ونجحت فى ذلك ايما نجاح بخلاف مصطفى كمال اتاتورك فانه عندما هاجم الكلمات العربية التى كانت تمتلىء بها اللغة التركية لم يحمل معه كلمات تركية وانما عوضها بمفردات فرنسية وايطالية وانجليزية والمانيا .

وعندما هاجم الحروف العربية لم يبتكر حروفا تركية وانما نقل الحروف اللاتينية التى حلت محل الحروف العربية ليمنع الأجيال التركية الجديدة من قراءة تاريخها وثقافتها المكتوبة بالعربية ويفصل حاضر تركيا عن ماضيها فصلا إبديا وتوجد اليوم بتركيا ملايين الكتب التركية المطبوعة بالحروف العربية ولا يوجد من يقرأها من الشباب التركى الذى تعلم لغته بالحروف اللاتينية .

وقال لى احد اصدقائى الأتراك وهو يناولنى جريدة ازمير التركية وعيناه تفيض من الدمع مما عرف من الحق .

ان مصطفى كمال اتاتورك ظلم الحروف العربية لأنها اثبتت طوال الف عام صلاحيتها لتصوير الأصوات اللغوية المطلوبة فى اللغة التركية .

وكل مافى الأمر ان أتاتورك اراد بعمله هذا ان يجعل من بلاده نسخة غير مطابقة للاصل من الدول الاوربية وكان هذا العمل فى نظره المثل الأعلى الذى يمكن أن يطمح اليه زعيم تركى .

خامس عشر

ايـــران الاســـلامية

(١٠٧ ــ ١١٣)

(٩٨) المؤامرة على ايران

(١٠٧)

المؤامرة على ايـــران

كرميت روزفلت : فى كتابه (المؤامرة على ثورة ايران بقيادة مصدق)

ذكر الأسماء والأشخاص والأماكن ومقـــادير النقود والخطط التى وضعت فى الخارجية الأمريكية باشراف اكبر الرؤساء فى الولايات المتحدة لقلب حكومة الدكتور مصدق الوطنية زعيم الشعب الايرانى .

لقد استرد الشاه السلطة بارادة أمريكية . ولم يلبث أن انشا وسائل الحكم الدكتاتورى : وكالة أمن (السافاك) ١٩٥٧ لتعزيز سلطاته الملكيـــة بمساعدة أمريكا وقد اكتسبت شهره واسعة بالوحشية والقمع : حيث استمر الخلاف بين الشاه والمعارضة . قام الشاه بتعيين الدكتور على أمينى وعمل عملية استصلاح الأراضى ، ولم تثق المعارضة ببرنامجه . شن الجيش غارة على المعارضة واعتقل عدداً . فشل الشاه فى مواجهة العلماء . اعتقل ونفى آية الله الخمينى ، كافح الشاه لوضع حكم الشرعية ١٩٧١ من خـــلال احتفالات ٢٥٠٠ سنة على الملكية الايرانية ، وعندما قامت الحرب بـين مصر واسرائيل ارتفعت أسعار النفط وقع الشاه اتفاقات عسكرية ٧٠ ألف مليون دولار وقال ان ايران ستصبح القوة الثالثة فى العالم فى الثمانينات وانشأ حزبا جديداً هو حزب النهضة وتبددت ثروة ايران الواسعة فى بناء القــوة العســكرية .

وكان الشاه قد أقام فى مدينة (برسبوليس ١٩٧١ احتفالا بمرور ٢٥ قرنا على تأسيس الامبراطورية الفارسية تحت أسم مهرجان الطـــاووس عودة الى الاحتفال بالامبراطور قورش الوثنى الذى سمح لليهود بالعودة الى القدس وان يدخلوا ايران ويتكاثروا فيها حتى أصبحوا ثمانين الفا) .

وكان ذلك مقدمة لتحول ايران الى دولة آرية فارسية عنصرية .

وأكدت تقارير المراقبين أن الشاه لم يقدم لايران شيئا ايجابيا طوال مدة حكمه ، وان هناك أخطاء استراتيجية وسياسية كانت غير ملائمة ، وهى التى أحاطت بالاثار الطبيعية لاصلاحاته المتمثلة فى الثورة البيضاء ومحاولة تصنيع ايران .

(١٠٨)

كتب : جيرادى فيبين بعد دراسته لايران والشاه . قال الشاه :

انى لم أحسن التقدير وأخطأت فى اعتمادى على الأمريكيين وكنت أعمى أعمى اعمى ، وانى حاولت أن افقد شعبى بدلا من أن أخطو به وحاولت أن انكر الجغرافيا والتاريخ فى جعل ايران الفارسية الآسيوية دولة أوربية غربية وغلطة أخرى لا صلة لى فيها اننى ورثت العرش وسيرثه ابنى من بعدى واننى بسبب خوفى على ابنى حملت عنه أعباء كثيرة وتحسست طرقا غير مطروحة وحاولت المستحيل وهو أن أغير الذى لا يتغير وأن أبدل الذى لا يتبدل ، اقصد ان أختار لابنى أحسن المستشارين وأن افترض فيهم الاخلاص المطلق للجالس على العرش وكان ذلك نوعا من المستحيل وأعترف اننى فشلت .

وقال : ان أكبر غلطة اننى ابتعدت عن الناس جدا فرايتهم صغارا ولم اتبين أنهم راونى كذلك ولم انتبه الى أن الحاكم عندما يخلق المسافات الهائلة بينه وبين الناس يغرى كثير من الناس حوله بأن يشغلوا هذه المسافة وينتحلوا صفاته ويستخدموا أدواته ويبتلعوا لسانه فيكون هناك أكثر من حاكم وأكثر من ملك وأكثر من عرش .

اكبر غلطة لم أعرفها اخيرا وبالرغم من أننى قلبت فى التاريخ كثيرا وعرفت صناعة العروس ودرست التزحلق على العرش والتسلل اليه فان هناك حقيقة هامة جدا هى اننا لا نتعلم من التاريخ ، بل ان التاريخ علمنا أننا لا نتعلم فيه ولذلك فسوف تتكرر الأخطاء فأنا أحمل سلالة بشرية متفرجة : الملوك واولياء العهود .

أمريكى كبير نصح الشاه بأن يخرج من ايران ، وخرج الشاه ولم يعد . لم ينس الشاه أن الأمريكيين هم الذين اعادوه الى العرش وانهم هم الذين اسقطوه عن العرش ولم ينس ايضا ان ثمان من رؤساء أمريكا قد اعتبروه صديقهم الأكبر فى الشرق الأوسط ولم ينس انه صدقهم ولم يفلح الشاه فى ان يفهم أن الصداقة كالعداوة درجات وانها مزاج شخصى ومزاج قومى .

تعددت وسائل الضغط الدولية فى الشرق الأوسط وحدثت حركات

تنقلات بين المفردات السياسية فى القاموس وظهرت طبعات جديدة منقحة فى واشنطون وموسكو ولندن وباريس ولكن الشاه يتابع الثورات السياسية من حوله فبقى فى مكانه وتحرك كل الذين حوله بما فى ذلك الأمريكيين .

قال كيسنجر : امبراطور أيران طاغية فعلا . وقال نيكسون وكنسجر : ملك فاسد تماما وكان الواجب أن نتخلص منه . لم يبق لأمريكا من أصدقاء فى المنطقة سوى ايران والسعودية . قال كارتر : ايران جزيرة أمان فى طوفان من القلق . هل كان لا يدرى بالثورة الحبيسة فى ايران . قال الشاه فى كتابه (رد على التاريخ) ان أمريكا خدعته وأسقطته وطردته وباعته للامام الخمينى وكانت صفقة خاسرة . فقد دفع الشاه ٢٦ ألف مليون دولار ثمنا للاسلحة المتطورة فى الجيش الايرانى ولن يدفع لها الخمينى دولارا ولن يبيع لها برميلا ان كرامة الانسان لم تهدر فى دولة كما أهدرت فى ايران فقد أدخل الشاه المرف الخضوع السجون والمعتقلات جرد رجال الدين من أموالهم وسلطانهم، لقد تفرغت ايران وتعرت وتحللت وابتعدت عن الاسلام .

أن ايران لم يقتلها الفقر ونما قتلها التطوير العنيف الذى فرضه الشاه على الشعب . لقد ثارت ايران لا لأن الشاه أحرق أعصاب الشعب ، بل لأنه أعطى الشعب الكثير من المسكنات .

كان خطأه هو احساسه بأنه صاحب رسالة مقدسة ، سلطة الأبوية على كل الايرانيين ، له رعاية الهية ، اعتداده الشديد بنفسه ، الخبرة الفارسية لا الاسلامية ، جنون العظمة المسيطر عليه وعقدة النقص التى حكمت كثيرا من تصرفاته بسبب أصله المتواضع .

كان هدفه أستعادة المجد القديم لايران مما دفعه الى تبنى القومية الآرية وهو مفهوم علمانى بطبعه الى جانب اعادة المجد الفارسى ، تحديث ايران على الطريقة الغربية يشمل الجانب الاجتماعى لا الجانب الاقتصادى والسياسى فحسب هكذا آمن أبوه فلم ير رجل ايران فى ايران ، فى محاولة لتغريب المجتمع الايرانى وابعاده عن جذوره الاسلامية .

لقد انفق ٥٠٠ مليون دولار فى مهرجان قورش العظيم (على عرش الطاورس) ٢٠ الف مدعو فكانت هى بداية النهاية .

وأسرة الشاه لم تكن تخفى سلوكها المخالف لتعاليم الاسلام فى بعض الأحيان وكانت ظاهرة انهيار الأخلاق الدينية لدى أسرة بهلوى .

وكانت سياسة الشاه العلمانية المناقضة للدين من وجهة نظر الزعامات

الدينية في ايران ومحاولة تغريب ايران فان الشاه يصبح غير واجب للطاعة ومغتصبا للسلطة .

لقد انتجت ديكتاتورية الشاه آثارا بالغة القسوة دفعت المجتمع الى معاداته فالقمع . كان شديد الوطأة واحتكار الرأى الآخر كان مذهبا للحكم والحزب الواحد الذى شكله الشاه بنفسه لقيادة العمل السياسى وجهاز السافاك .

وكان الفساد سمة كبرى من سمات نظام حكم الشاه على النحو الذى جعل تهم الاثراء دون وجه حق تحاصر الشاه نفسه ومعه أقاربه .

٢ ـ ازدرائه للديمقراطية على الطراز الغربى بالرغم من انه كان مرتبطا بالغرب الرأسمالى اشد الارتباط وانه استعار الكثير من أساليب الحياة الغربية ليطبقها فى بلاطه وفى بلاده .

وقد بدأ الصدام المشروع من الزعماء الدينيين ومن ورائهم جماهير المؤمنين ، ابتداء من مسألة سفور المرأة وانتهاء بالغاء التقويم الهجرى ومحاربة تصفية نفوذ رجال الدين ، وبعض رجال الدين كانوا يروجوا ان الشاه يعتنق (الهاندسرا) يزيد الجديد : يزيد بن معاوية الذى قتل رجاله الحسين فى كربلاء وقد تضمنت الكتب التى صدرت قصصا محزنة عن الفساد داخل الأسرة المالكة نفسها مما يثير معه القارىء ازاء تلك التهم غير العادية تجاه أمراء وأميرات ايران الامبراطورية ورجال الدولة .

قال الشاه فى مذكراته :

لقد وقف رجال الدين المتشددين من زعماء الشيعة ومعارضا للنظام الأمبراطورى منذ تولى والدى الحكم ١٩٢٦ لأن هذا النظام الجديد سحب منهم نفوذهم على الشئون السياسية والاقتصادية فى البلاد فكانت هذه المعارضة وراء الاضطرابات ١٩٥٢/١٩٥٣/١٩٦٣/وآخرا ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .

وكان زعيم المعارضة السوداء أمام مجهول اسمه الخومينى ، كان معارضا لمبدأ تجديد ملكية الأرض الزراعية ، كما كان معارضا لأن تلعب المرأة الايرانية اى دور كما كان معارضا لتعليم المرأة فى ايران ووقف ضد ثورتى البيضاء .

قال راديو اسرائيل (٨ ايلول ١٩٧٨) ان أخطر ما يتهدد مستقبل اسرائيل هو استيقاظ الروح الاسلامية من جديد . وقد كشف التعليق عن خوف اليهود ازاء تزعم علماء المسلمين للاحداث الأخيرة في ايران . قال المعلق اليهودي : ان احداث ايران تشكل بادرة خطيرة جدا ، يجب على اسرائيل واصدقائها التنبه اليها مبكرا ذلك هو عودة الروح الدينية للظهور من جديد في المنطقة يشكل تهديدا مباشرا لمستقبل اسرائيل ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها .

ان عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجيء دليل على فشل جميع اساليب القمع التي استعملت للقضاء على الروح الاسلامية في المنطقة مما يحتم على جميع الذين يعتبرون الاسلام عدوا تاريخيا لهم ان يعيدوا النظر في الأمل للتوصل الى الاتفاق على اساليب جديدة وحاسمة لوقف الزحف الاسلامي الجديد الذي بدت بوادره في ايران ويخشى أن يمتد الى تركيا — ذلك البعد الذي بذلنا نحن اليهود جهودا مضنية حتى استطعنا القضاء على الروح الاسلامية فيها على يد أعواننا واصدقائنا هناك .

ان بعض الناس من اليهود واصدقائهم يحاولون التقليل من اهمية ما يجري في ايران وتركيا باعتبارهما بعيدين عن اسرائيل ولاسرائيل فيهما أصدقاء وحلفاء كثيرون ولكن هؤلاء السذج ينسون أن اسرائيل محاطة بملايين المسلمين من العرب وان أخطر الحركات الاسلامية المتعصبة تنشط بينهم وينتظر الفرصة المواتية لتفاجيء العالم كله وتفاجيء اسرائيل بصيحات الجهاد كما فوجيء العالم بصيحات الجهاد المرتفعة في ايران وتركيا .

ان على اليهود واصدقائهم ان يدركوا ان الخطر الحقيقي الذي يواجه اسرائيل هو خطر عودة الروح الاسلامية الى الاستيقاظ من جديد ، وان كل المحبين لاسرائيل يبذلوا كل جهودهم لابقاء الروح الاسلامية خامدة لأنها ان اشتعلت من جديد فلن تكون اسرائيل وحدها في خطر ولكن الحضارة الغربية ستكون في خطر .

قال موشي ديان : ان على دول الغرب وعلى راسها أمريكا ان تعطى اهتماما اكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع للحضارة الغربية في وجه اعاصير الثورة الاسلامية التي بدأت في ايران والتي يمكن أن تهب بشكل

مفاجىء وسريع ومذهل فى اية منطقة اخرى فى العالم العربى وربمــا فى تركيا وافغانستان ايضا وان عودة الروح الاسلامية لا تشكل خطراً شديدا على اسرائيل وحدها وانما على كل الأمم التى كان الاسلام وسيظل يشــكل دورا تاريخيا .

* * *

يقول الصحفى السوفيتى : ان الاتحاد السوفيتى يراقب المــد الدينى فى ايران الذى لا بد ان دقاته فى شوارع ايران قد سمعت فى طشقند وباكو وسهول سيبيريا حيث تعيش الملايين المسلمة المقهورة ويراقب ويراقب الاتحاد السوفيتى بقلق عودة المد الاسلامى فى تركيا .

* * *

ان للخمينى حسابا قديما مع الشاه فأبو الشاه قتل أبوه والشاه قتل ابنه ثم سجنه الشاه عشرة شهود ثم طرده الى تركيا وحاربه فى العــراق عندما استقر الخمينى فى باريس اخذ يشن على الشاه حرب الكاسيت يسجل عليها منشوراته الثورة وينقل الى الناس فى كل بيت شــيعى فى ايــران والعــراق .

وجاءت ضربة الخمينى لأمريكا عندما الغى صفقة السلاح دهمتها الوف الملايين من الدولارات (أنيس منصور) .

* ان امريكا بعد ان ايدت حكم الشاه سنوات عدة قبلت فى مــقابل تحرير الرهائن طلب ترحيل الشاه الى ايران للمثول أمام المحاكمة ، .

* قبلت أمريكا ان يقام مؤتمر دولى لكتابة قرار اتهام يتضــمن جرائم الولايات المتحدة فى مدة حكم الشاه وقــد حضر المؤتمــر امريكى حر هــو (رمزى كلارك) .

* نشرت احدى صحف باريس وهى جريدة الأوماتيه أسماء وصور جميع موظفى سفارة الولايات المتحوة (الرهائن) المقبوض عليهم فى طهران وأمام كل منهم العملية الاجرامية التى وقعت على يديه فى عهد الشاه ضــد الشعب الايرانى .

* * *

ان الشاه قد احتفل بمرور ٢٥ قرنا على انشاء الامبــراطور قورش

للدولة الفارسية قديما كل فلول العالم وقدم لهم لحم الطاووس والسجاجيد ومنارات دور الأزياء فى صناعة الخيام المكيفة الهواء وكانت الطائرات تحمل الطعام ساخنا من مطعم ماكسيم فى باريس تكلفت أعياد الطاووس ألف مليون دولار . كانت الاحتفالات هى العشاء الأخير لشعب اكثره لم ير الطاووس الا فى الكتب .

***

شاه ايران حاول أن ينتقل بايران من الشرق الى الغرب ومن دولة صغرى الى دولة كبرى مستخدما ألوف الملايين من دولارات البترول ، حاول الشاه أن يبنى الجسور فوق المسافة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء ومن المؤكد أنه فشل .

قال كيسنجر : ان الشاه هو الذى قام بتطوير المجتمع الايرانى ونسى ان التطوير هذا يجب ان يسايره وتعبر عنه نظم سياسية واجتماعية ومن اهم هذه النظم أن يتخلص من الرجل الذى كان السبب . لقد حرك كل شىء وتجمد هو ، وكان لا بد أن يحرقه التيار الذى صنعه .

كان لسقوط الشاه دوى فى كل قصور الملوك والأمراء العرب .

***

قال الباحث الأمريكى : ان المسلمين عندما اعادوا تقييم ما حصلوا عليه من الغرب وعندما أخذوا فى مراجعة تجربتهم مع الغرب خلال السنوات السبعين أو المائة الماضية وجدوها فاسدة ومضطربة وفاشلة وان محاولة الغرب فى احتوائهم بقوانينه الوضعية وأسلوبه فى التربية والتعليم قد نتج عنه اضطراب شديد لم يحقق لهم أى تقدم حقيقى أو امتلاك ادارتهم . وقد تبين لهم اليوم فساد هذه التجربة ، ظهر لهم ذلك فى تجربة أتاتورك فى تركيا والشاه فى ايران وفى تجربة الدكتاتوريين فى أجزاء اخرى وفى فساد تطبيق الديمقراطية فى بعض الدول وتطبيق الماركسية فى أجزاء أخرى ولذلك فهم يتطلعون الى أفق جديد ويرون أن التماسهم لاصالتهم ولمنهجهم الأصيل الذى نشأوا عليه والذى يعطيهم من القوة والحيوية والاتساع فى مجال الفكر والقانون ما لا يستطيع أن تعطيهم الايدلوجيات قد أصبح امرا ضروريا وعلى الغرب أن يعرف وأن يعقد تنظيم حساباته على هذا النحو .

ان الثورة الايرانية انفجرت من جانب الأصالة الاسلامية ضد الجانب المظلم من التحديث .

يقول روبرت جراهام فى كتابه « ايران : وهم السلطة » .

عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفط استخدام سلاح النفط بتخفيض الانتاج ومنع تصديره للدول الغربية المؤيدة لاسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ قررت حكومة ايران أن تبيع النفط لمن يدفع أكثر وارتفع سعر الدولار من ١٢ دولار الى ١٧ دولار فقفز دخل ايران السنوى من ٥ آلاف مليون دولار الى عشرين الف مليون دولار .

ومن ثم بدأت الدعوة الى مرحلة الحضارة العظمى لكى تصبح ايران القوة الخامسة فى العالم .

وقد استخدم الشاه الثروة لتدعم النظام الامبراطورى وتثبت سلطته الشخصية (أسد بهلوى على عرش ايران) بصرف النظر عن أصول الاقتصاد وقدرة المجتمع الايرانى على استيعاب أحدث مبتكرات التكنولوجيا .

وكان ضابط ايرانى مغمور اسمه رضا خان قد استولى على السلطة ونصب نفسه ملكا — ولم يكن «ضابطا» تلقى تعليمه فى مدرسة عسكرية ، بل كان متطوعا فى لواء القوازق الايرانى أميا لايعرف القراءة والكتابة حول اسمه من خان الى بهلوى الرمز الفارسى . انتزع مساحات شاسعة من الأراضى بثمن رمزى .

كان كالسيارة التى تنتقل فجأة من السرعة الأولى الى الرابعة وهى تندفع الى أسفل منحدر وجاء المغامرون للحصول على فرصة الاثراء السريع : مديرى الشركات وعجزت ايران عن استيعاب آلاف الملايين من الدولارات وفقا للمشروعات الاقتصادية المرتجلة وذلك حين قال الشاه : اننا عبرنا الحدود بالفعل الى الحضارة العظمى .

ادب الخطط الاقتصادية التى تجاهل الأولويات الى تدفق الهجرة من الريف الى المدن عامة وعندما يختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملا ، كان مقصوراً على المحظوظين أو أصحاب العلاقات الوثيقة بالقصر الذين جمعوا عشرات الملايين فى وقت قاسى ورأى غالبية الايرانيين أن ثورة ايران القومية تتسرب الى المغامرين الأجانب .

ايران وازمة ١٩٧٨

قال جيمس بيل :

اتخذت حركة المعارضة للشاه مع بداية عام ١٩٧٨ شكل الحركة الشعبية واجتاحت الاضطرابات والمظاهرات طهران وامتدت الى المدن والقرى واعلنت الأحكام العرفية وتساقط آلاف من القتلى تحت نيران قوات الشاه ولم تزد ذلك المقاومة الا اصرارا وعزما على تحدى نظام الحكم حتى النهاية .

لم تستطع القوى العالمية أن تنفذ الى ما وراء القشرة البراقة التى تتمثل فى شمال طهران والتى يتحدث اهلها الانجليزية ويعيشون حياتهم على احدث الأنماط الغربية . كانت التقارير تعطيها صورة خاطئة عن طبيعة وعمق المعارضة فكانت تصورها كما لو كانت مجموعة من مثيرى الشغب الماركسيين او مجموعة من الزعماء الدينيين الذين ينفرون اساسا من برامج الشاه لتحديث ايران ولم تنتبه التقارير لبؤرة المعارضة الأساسية وهى الطبقة الوسطى التى تزداد عددا وتأثيرا على مر الأيام .

كان الهيكل الرسمى لايران قد تشكل من زمن طويل من مؤسسات هشة مهتزة تدور جميعها حول شخص الشاه ، وكانت المؤسسات كلها تقع تحت السيطرة البهلوية التامة ، والشخصيات الهامة تعين من قبل الشاه ، وقد حكم الشاه حكما مطلقا لا حكما دستوريا قد جمع بين جراة الأسد وفكر الثعلب ، مهاجما يبطش بقبضة لا تعرف الرحمة أو منسحبا مراوغا يلجأ الى المناورات السياسية المسحوبة ، لم يكن الشاه يتمتع بصفات الزعامة ولم تهبه الطبيعة الشخصية الجذابة وقوة التأثير ، فقام يعرض شخصه فرضا على اذهان الشعب واحاط نفسه بهالة من القوة الغامضة ، وكان يأمر بوضع صوره وتماثيله فى كل مكان حتى الحشائش والشجيرات فى المتنزهات العامة ، كانت ترسم وتعلم على شكل الأحرف الأولى من اسمه بالفارسية وقد ارتكزت سياسته على محاولة استيعاب خصومه وتكسبهم الى جانبه وكان الشاه يدير بنفسه نظاما هائلا للامن مكونا من قوات المخابرات والبوليس والحرس الملكى والجيش ، واسبغ على هذا الجهاز مميزات هائلة

جعلته من الطبقات المترفة فى المجتمع الايرانى ، ظهر جهاز البوليس السرى المخيف (سافاك) عام ١٩٧١ فعرفت به ايران عهـدا من الردع والقمـع الوحشى للمعارضة ، وامتلأت السجون ونفذت احـكام الاعدام فى كثيرين وهوجمت المؤسسة الدينية هجوما مباشرا وكان انتهاج الشاه لهذه السياسة والسبب المباشر لتشكيل الحركات الارهابية وبداية العمليات الفدائية .

وكان تطوير الجيش وتسليحه باحـدث المعدات العصرية الغربيـة والأمريكية على وجه الدقة مع تخلف الأمة السياسية ، حتى قال عنها احـد الصحفيين الايرانيين انها عملاق الاقتصادى وقزم سياسى . نظام القضـاء يقع تحت سيطرة الشاه تماما على اساس ولائهم له ، وليس على اسـاس كفايتهم أو نزاهتهم .

وكانت مؤسسة بهلوى مستودع الثروات الخرافية للاسرة البهلوية .

وقد عارض رجال الدين البرامج الاجتماعية وحقوق المرأة وعمد الشاه الى استفزاز رجال الدين حتى النهاية فحاول سحقها ومنعها من جمع الزكاة وقلص مخصصاتها المالية واعتقل رجال الدين وتم تنفيذ حكم الاعدام فى كثير منهم وأصبح الدين رمزا للمعارضة .

طهران : تغير جو الموسيقى والرقص والغناء والمايوهالبكينى بعد شهرين من رحيل الشاه ، بعد اكثر من عشرين عاما ظلت خلالها تعيش النهار حتى آخر الليل فى الملاهى الليلية وصالات الرقص ونوادى القمار ومع الفنانات ، ليل طهران اختفى وربما الى غير عودة ، اختفت الملاهى الليلية وغلب الرقص الغربى ، بعد أن كان الدليل السـياسى يدعو الزائرين الى الرقص على أنغام الموسيقى حتى الفجر ، فى الملاهى والنوادى الليلية وصالات الرقص ، وكان بعض هذه الملاهى والصالات قد احرق خلال الثورة فيما اغلق البعض الآخر بعدها كما لم يعد هناك بنات يبعن الهوى فى طهران واختفت المشروبات لم تعد طهران تدعو الزائرين الأجانب للتمرغ فى احضانها كما ضاعت هـذه المتعة على الايرانيين الذين كانوا يجارون الاوربيين ، كما اختفت المايوهات البكينى التى كانت تتفوق على مثيلاتها فى أوربا ، التلفزيون يقدم جـرعات قليلة من التسلية العامة بعد أن كان يدمر العلاقات الانسـانية فى نطـاق الأسرة .

* * *

قبــل الاحـــداث

تواطىء النظام الشاهنشاهى مع اليهود وأمدهم بالنفط .

الاستراتيجية الاستعمارية الدولية ارادت ان تقوم ايران كحاجز صلب او هوه عميقة بين العالم الاسلامى العربى والعالم الاسلامى غير العربى .

لقد ورث الشاه عرشه عن والده الذى وصل الى الحكم بواسطة انقلاب مشبوه فى ظروف غامضة تذكرنا بمحاولات حكماء صهيون وبروتوكولاتهم التى تقول : ولا بد ان يصل عملاؤنا الى اعلا المراكز .

فكثير من الانقلابات تكون عن تدبيرهم وتخدم خططهم ومن المؤكد ادبنا ان جلالة الشاه من اكبر اعضاء الماسونية فى الشرق ولا يخفى انها منظمة صهيونية تعمل لاعادة هيكل سليمان وتعزيز سيطرة اليهود على العالم .

اعطى الشاه سلاحا حادا لأولئك المنحرفين الذين انطلقوا كالكلاب المسعورة يهاجمون الاسلام وكل ماله علاقة به ويطالبون بابعاده عن صراعنا مع اليهود .

٢ ــ اثارة الشعوب والنعرات القومية بين العرب والفرس وجميع العجم ان امكن فتح معارك اجنبية تطوق عرب المشرق من خلفهم وتحمى دولة اليهود من ان توجه لها كل الطاقات وتعطى الانهزاميين فرصا ذهبية للانصراف عن صراع اليهود ويحدث فتنة فى الخليج لا تهدأ نيرانها الا بعد ان تصبغ مياهه بدماء المسلمين الذين سيذهبون ضحية الصراع القومى الشعوبى الذى يثيره أمثال الشاه ومن يقفون مقابله على اقصى الخط الآخر فيكون فخا يذبح فيه الاستعمار مئات الألوف من المسلمين بأيدى بعضهم البعض وبلا نتيجة كما حصل فى حرب اليمن .

ان الأمة الاسلامية يجب ان تعى ما يدبر لها وتعرف اصدقائها من اعدائها قبل فوات الأوان ، فكل دعاة النعرات لا يريدون وجه الله ولا مصلحة الأمة ، والمنقذ الوحيد لهذه الأمة هو الاسلام والتمسك به الذى يقلب مؤمرات الاستعمار رأسا على عقب .

أن شاه ايران لا يمثل شعب ايران . ما يقاسيه الجياع والبؤساء وللسجن فى سبيل لقمة العيش بينما ينعم الشاه ورهطه بالضياع والقصور والمعونات اجنبية وعائدات البترول السخية وبعضها مدفوع بالليرة الاسرائيلية .

نواب صفوى وتأييد الآلاف من جماعته التى ساعد الاستعمار الأمريكى حكومة ايران على القضاء على تلك الزحوف التى داستها دبابات الشاه وحصدتها رشاشات ومدافع حرسه حين رحفت الى الاذاعة محتجة على مظالم الحكم وجرائمه .

والأطفال السبعة فى حزب الأمة الاسلامية السرى فى ايران الذين أعدمهم الشاه منذ سنين لم تتراحم حتى الصحف العربية التى كانت تخوض فى مهاترات الشاه لأن مصلحة الطرفين متفقة فى القضاء على الاسلام .

كان الشاه يملك ١٨ الف هكتارا من الأرض الزراعية ، و ٥٣ مصنعا و ٨ مناجم لاستخراج المعادن و ٤٥ مصنعا للاغذية و ٤٣ شركة معمارية و ١٠ جمعيات تجارية و ٣٩ فندقا .

وكان يجبر الناس على اشراكه وهو وافراد أسرته .

وكان يهدف الى اضعاف العناصر الدينية . اغلق والده المدارس الدينية والمساجد والأوقاف التى لم تكن تحصل على اية مساعدة حكومية .

وتقول الصحف ان الاتحاد السوفيتى يراقب بقلق المد الدينى فى ايران الذى لا بد أن دقاته فى شوارع طهران قد سمعت فى طشقند وباكو وسهول سيبيريا حيث تعيش الملايين المسلمة .

فالانتفاضة الاسلامية طبيعية ومفهومة الدوافع بعد فشل العلمانية الفردية والماركسية فى حل مشاكل الناس وعجزها عن طرح قيم ومفاهيم قادرة على كشف وتحريك ضمائر الجماهير وأن تسقط كل القيادات الحديثة التى ثبت عجزها عن التحدث باسم الاسلام (البلاغ ١٩٦٩) .

* * *

مطــامع الشــاه

دق ناقوس الخطر فى العواصم الفريد ان مصالحها قاب قوسين أو أدنى من الخطر . لقد كان تأييدها للشاه طيلة عقدين أو أكثر من الزمان مرتبطا بقدرته على حماية المصالح الغربية وأهمها ضمان ارسال البترول الى مصانع الدول الغربية . وكان التضحية بالشاه مقابل الأمل فى تهدئة الأمور واعاده ضخ النفط العربى . غادر الشاه ايران أوائل يناير ١٩٧٩ . استقبل خمسة ملايين ايرانى الزعيم الدينى (٧٨ سنة) سقط النظام الايرانى طيلة الفين وخمسمائة عام . نظام ملكى قديم يحاول التحديث باشكالة المادية الخارجية دون أن يعبر عن جوهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمواكبة هذا التحديث . اللجوء الى أسلحة القمع ، تراكم المتناقضات ، سلطة الشاه مطلقة ، هذه النخبة ستكون من حوالى ٢٥٠ اسرة يسيطر افرادها على ستة قطاعات رئيسية . عندما أعلن الشاه فى أوائل الستينات تحت اسم الثورة البيضاء . فشل فى ان يعيد جسور الحوار مع المثقفين . ومضى فى اتهام كل ناقديه بالشيوعية وتعقبهم على هذا أساس . احتقار الشاه وكل من يحيط به لكل ما هو اسلامى وكما عزل المثقفين عزل رجال الدين عن دائرة السلطة والتأثير . من المؤكد ان هناك شيئا واحدا صحيحا : ان الاسلام أكثر حيوية من المسلمين وأقدر على التحديات وعلى اصلاح الفساد دون التطبيق المحــكم للاسلام القادر على حل مشاكل الناس .

مطامع الشاه كما جاءت فى كتاب (انفجار ١٩٧٩) بول اردمان : هى الحصول على سلاح نووى بمعاونة اسرائيل وسويسرا والسيطرة الكاملة على منطقة الخليج وما بها من ثروات نفطية هائلة . نبهت هــذه الثورة المسلمين وغيرهم الى أن الدين الاسلامى ما يزال حيا شابا من أربعة عشر قرنا من عمره لم تجعله كهلا فالديانة المسيحية عندما بلغت مثل هذا السن قد دعت الى التنوير فى أوربا ودفعت الى النهضة العلم والفن ولكننا نتأثر بما نقرؤه عن الاسلام فى صحف الحضارة الغربية التى هى خلاصة حضارات الاغريق واليهود والمسيحية .

ظن الجنرال الفرنسى الذى زار قبر صلاح الدين انه بموته لن يقوم للاسلام دولة وصولة بعد ذلك وقد أخطأ هذا الجنرال وملايين غيره .

سوف تشجع ثورة الخمينى كل المسلمين على أن يدرسوا الصحيفة

الاسلامية لحل المشاكل الدنيوية وقد اتخـــذت الثورات التى ظهرت فى الشرق العربى كلها، اتخذت طابعا دينيا اسلاميا أول الأمر، كيف سحب بساطا أعجميا من تحت عرش الشاه ووراءه الخمسة والعشرون قــــرنا من عصر قورش الذى أعاد اليهود الى القدس وعفا عنهم ، فأقاموا فى ايران يحتكرون صناعة السجاد والزمرد والكافيار وكل البنوك ومؤسسة بهلوى التى يملكها الشاه . واليهود والامريكان هم الذين ساعدوا الشاه على قيامه جيش لعله فى حالة الصراع مع العرب يحتل كل آبار البترول . وأعلنت الثورة الايرانية فى ايران ضرورة وحدة المسلمين سواء تكلموا الفارسية أم العربية ، شيعة أم سنة .

لقد الغى الشاه التقويم الهجرى واستبدل به تقويما فارسيا قديمـــــا يبدأ من ٥٠٠ قبل الميلاد تحديا رمزيا لجزء مهم من التاريخ الايرانى الذى أعطى الشعب والمجتمع هويته الحضارية فى الأربعة عشر قرنا الأخيرة وهـــــو الاسلام . وكان الشاه دائم السخرية من أصحاب العباءات السوداء الذين يقفون حجر عثرة فى طريق التقدم (كما فهمه هو بالطبع) وهم رجال الدين الشيعة ثم ضيق عليهم الخناق بمنعهم من جمع الزكاة وتقليص مخصصات الأوقاف التى كانوا ينفقون منها على دور العبادة والبر والأعمـــال الخيرية وتحدى مشاعرهم باعترافه باسرائيل واقامة تعاون عسكرى واقتصـــادى وثيق معها .

ولرجال الشيعة (بعكس السنة) تقاليد راسخة وطويلة فى الاحتجاج على المؤسسة الحاكمة فقد بدأ المذهب نفسه كحركة احتجاج ضد أول أسرة حاكمة فى الاسلام وهم الأمويون وقد استمر هذا التقليد الى يومنا هـــذا وتضاعف من قوة الشيعة فى الاحتجـــاج والاســـتعداد الهائل للتضـــحية والاستشهاد فى سبيل ما يعتبرونه حقا . ساعد أئمة الشيعة على قيـــادة الثورة فى ايران وجود فراغ عقائدى من ناحية وقدرتهم على تحريك الجماهير من ناحية أخرى فى مواجهة قيادات الديمقراطية والماركسية الايرانية والتفاعل والاندماج مع عامة الشعب من خلال المساجد والمعازى ومن العوامل التى ساعدت سخط الطبقات الوسطى التى استفادت فى الخمسينات من النمو الاقتصادى وبدأت تسخط فى السبعينات . حيث تزايد ثراء الطبقة العليـــا بمعدلات فلكية وأحس الشعب الايرانى رغم الطفرة بالفجوة بين الطبقـــات فزعم أن الدخل القومى الايرانى يصل الى أربعة أو خمسة أمثال فى بلد مثل مصر ، فان متوسط ما يحصل عليه الفرد فى ايران أقل من مثيله فى مصر وتركيا وسوريا .

ولقد أدى ذلك الى أن يفتح فى الغرب ملف الدين الاسلامى ، لقد اعتقد معظمهم لمدة طويلة أن دور الدين يتقلص تدريجيا من المجتمعات المعاصرة وأن أى دور يحاوله هو أساسا فى اتجاه مضـــاد للتعبير الراديكالى فى أمـــور السياسة والاجتماع .

مجلة اكتوبر ـــ « دكتور سعد الدين ابراهيم »

سادس عشر : متفــرقات

(١١٤)

(المخطـــوطات)

سجل الدكتور عمر عبد السلام تدمرى فى بحث له فى مجلة (المسيرة) ان ثلاثة ملايين مخطوطة من التراث الاسلامى احرقها الصليبيون فى مكتبـــة طرابلس الشام ، التى اسسها قضاة بنى عمار فى القرن الخامس الهجرى .

وكانت مقصد العلماء والأدباء حيث كانت صناعة الورق مزدهرة فى طرابلس يصنعون منها الورق الجميل وقد اشار ابن الفرات فى تاريخه كيف ضاعت على يد الصليبيين حين دخلوا طرابلس عام ٥٠٢ هـ/١١٠٩ م وقـــد سجل هذا هنرى لامانس نقلا من مخطوطه ابن الفرات ان كان لطـــرابلس دار علم لا نظير لها فى العالم تحتوى على ثلاثة الألف الف كتاب (اى ثلاثة ملايين) فى العقائد وتفسير القرآن الشريف والحديث وكان عدد المصاحف فيها يبلغ خمسين الفا والتفاسير عشرين الفا وكان قضاة بنى عمار يهتمون بنجاح دار العلوم هذه ويصرفون الرواتب السنوية على مائة وثمـــانين من النساخ وكان بينهم ثلاثون ناسخا لا يبرحون الدار نهارا أو ليلا . فلما وقعت المدينة عام ثلاث وخمسمائة فى أيدى الفرنج يتودهم ريمون ضجيل دخل احد كهنتهم دار العلم فتعجب من وفرة كتبها وكان أول خزانة رآها خزانة المصاحف فاخذ الواحد منها فعرف انه القرآن وهكذا استقرى بقية الكتب واذا هى كلها مصاحف فأعلى الأمر لرفقته فاضرموا فيها النار وحولوا المكتبة رمادا ولـــم يبق منها الا عدد قليل من التآليف تشتت شملها فى البلدان .

* * *

(١١٥)

الكعبـــة ســـــرة الأرض

يقول الدكتور محمد عوض محمد : لكى ندرك مغزى هذا الرأى علينا أن نذكر أن خطوط الطول والعرض هى الوسيلة التى توسل بها الجغرافيون منذ العصور القديمة لتحديد الأمكنة والأقاليم ومقارنتها بعضها الى بعض .

ومنها رأى يقول : ان يكون للعالم الاسلامى خط طـــول رئيسى خاص به وهو الخط الذى يخترق الكعبة من الشمال الى الجنوب .

ولا شك أن لهذا الرأى نصيبا من الوجاهة من الناحيـــة الجغرافيـــة والتاريخية ولو صرفنا النظر عن الاعتبارات الوطنية والسياسية فان هـــذا الخط يتوسط الشرق الأوسط كما يتوسط القارات ويخترق البلاد التى كانت مهد الديانات العظيمة ، كما كانت مهد الحضارة والمدنية .

ويتوسط الأقطار التى نشأت فيها اللغات السامية والآرية وهى أوسع لغات العالم انتشارا ويمر بالبلاد التى اخترعت فيه الكتابة ونشرت فى العالم نور العلم والعرفان بل يمر بالبلاد التى كانت مهد النوع البشرى نفسه .

ويقول : ان فكرة توسط الكعبة والبلد الحرام للارض هى فكرة قديمة عالجها كثير من المؤرخين المعلمين فى الأزمان الغابرة وصرحوا بهـــا ودللوا بما عليها كان فى امكاناتهم من الدلائل وقد جاء فى تفسير العلامة ابن كثير : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« دحيت الأرض من مـــكة » .

النيسابورى ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان عند تفسيره آية (ان أول بيت) وقيل أن مكة وسط الأرض والعيون والمياه تنبع من محلها فكأن الأرض تمد من ماء مكة . وقد رسم بعض جغرافييهم خريطة الدنيا على هذا الأساس .

(الهلال أغسطس ١٩٥٣)

وقد طور هذا البحث وتوسع فيه الدكتور حسين كمال الدين وكشف مجموعة جديدة من الحقائق .

(١١٦)

المصـــدر الاســـلامى

يقول الكاتب الفرنسى اليان فاينر :

اذا كانت الوطنية فى البلاد العربية والاسلامية قابلة للمفاهمة مـــع الأجنبى ، صابرة تحت الحجر ، متخذة لبعـــض الوســـــائل العصرية فهى لا تفعل ذلك نزولا عن شخصيتها وانما تفعل ذلك لتنهض وتتقوى وتجتاز هذه الفترة الصعبة وحينئذ تستعمل سلاحها ضد مستعبديها وتظهر مميزاتهـــا الجنسية وتؤسس مرة ثانية تلك الامبراطورية العربية بمجدها السالف . فالمسلمون سواء كانوا فى الشرق الأدنى أو فى شمال افريقية أو فى الجزيرة أو فى فارس أو فى الأفغان أو فى الهند أو فى أواسط افريقية يولون وجههم شطر قبلة واحدة هى مكة وما مكة الا رمز الاسلام واللغة العربية فهـــم مرتبطون بتلك العروة التى لا تنفصم مهمافرقتهم السياسة بحدودها المصطنعة وما دام فى قفار الصحارى حاد للعيش ينطق بالضاد ويؤذن فى مئذنته يسبح باسم الله وهذه الرابطة الاسلامية الخافية عن الأعين موجـــــودة فليفعل الفرد ما شاء وليحاول تكسير هذه الكتلة المتينة المستندة الى اعتقاد عميق فمهما فعل فان الأجزاء تعود لوحدتها عن طريق سيبقى الغرب جاهلا لها .

* * *

(١١٧)

خصـــائص الأمـــم

من أخطر المحاذير التى تحول دون دخول المسلمين والعرب الى مرحلة النهضة والرشد الفكرى ما صوره أحد الباحثين بأنه متابعة على دراسات مقتبسة واعتماد على مناهج وافدة قدمها بعض الاجانب سواء أكانت بحسن نية مع عجز أصحابها عن معرفة الفوارق بين أمتهم والأمة التى يدرسونها أو بسوء نية على أمل ايقاعها فى شراك الخطأ والاضطراب .

يقول الباحث ان زعماء العرب الذين تصدوا لقيادة أمتهم فى العصر الحديث لم يدرسوا بأنفسهم حال الأمة وانما نقلوا دراسة الدارسين من الأجانب واعتبروا دراساتهم صحيحة قطعية وبنوا عليها خططهم ومعالجاتهم والدارسون من الأجانب فى جملتهم يقعون فريسة لواحد من الحالتين : الجهل أو الغرض والتعصب .

ولا شك أن لكل أمة خصائص تختلف عن خصائص غيرها وميزات ينفرد بها عن سواها وتركيبا وبنية هما علامة وجودها ، هذه الخصائص ليست ظاهرة للعيان وانما تختفى وراء الظواهر العامة التى يتصف بها جميع البشر ، وكثيرا ما يقع الباحثون الأجانب فى الخطأ نتيجة لاعتبارهم الصفات البشرية صفات عامة ولقياسهم بنية أمة على بنية سائر الامم وتكوين أحكام عنها اعتقادا بأن البشر يتشابهون فى أكثر الخصائص ويمكن تعميم أكثر الصفات عليهم غير أن هناك أمورا دقيقة جدا لا يصح التساهل منها أو اهمالها أو عدم التعمق فى فحصها ووصفها .

والذين درسوا الأمة العربية قد اقتنعوا مسبقا وقبل الدراسة بأمور معينة وصفات مخصوصة تسربت اليهم عن طريق المناخ السياسى والفكرى الذى يعيشون فى ظلاله . وهم عندما يبحثون لا يبحثون لتصوير واقع وانما ينحصر سعيهم فى تثبيت ما علق فى أذهانهم من معرفة سبقت الدراسة ومنها تأثرهم بقناعات سياسية تقودهم الى اعطاء أحكام تتفق مع تلك الميول السياسية التى يحملونها .

* * *

(١١٨)

النكســة فى بعدها الحضارى

يقول غازى التوبة : ان الأحداث التى سبقت حرب ١٩٦٧ حجج دامغة بأن دول المواجهة كانت تنظر للحرب على انها مناورة لا تستحق الاعداد ، الاعتماد على القوى الخارجية التى قادت الى الهزيمة ، أمريكا أوقعت العرب

فى هذه الورطة ، بعد أن جاء داء القومية العربية وتجسدت فيه آمال العرب، دور الروس فى صنع الهزيمة عندما صوروا أن اسرائيل قامت بتحشــدات واسعة النطاق وانها سوف تبتلع سوريا ثم فقدت القوات المصرية ٦٥ فى المائة من طائراتها .

جربت امتنا الديمقراطية منـــذ ١٩١٩ ثم بـدأ يتســاقط التطبيق الديمقراطى من دولة الى دولة وانهار فى مصر ١٩٥٢ ثم جربت امتنا العقيدة الماركسية ففشلت . كما فشلت العقيدة القومية الى رفع شعارها الشريف حسين وأولاده .

الغزو الأوربى الحضارى رفع شعار التغـريب واثارأتها للنعـرات القومية كالسورية والفرعونية ومعاداتها للعقيدة الاسلامية واسـتغلالها للمرأة ، رغم كل ذلك فقد حافظت أمتنا على دينها الاسلامى .

حضارتنا لم تعرف المسرح الدرامى واستبعدت الأصنام وكل ما يتصل بالنحت والتمثيل والتصوير . وتجنبت الايغال فى الشعر ، لأن الشـخصية الاسلامية ايجابية لا تحلق فى الخيال ولم تنـــدمج وتذوب فى اثواب الأمم الأخرى .

شـ[illegible]ية متميزة ، عربية ، قرآن ، توحيد ، اقتصاد متميز ومنفرد عن الشيوعية والاشتراكية من جهة وعن الرأسمالية من جهة أخرى .

ان امكانية التوفيق بين الدين والسياسة اعتبرها توينبى احدى معجزات الاسلام . التجريب الاسلامى الأصل ، شهد بذلك روجر بيكون وفرنسيس بيكــون .

هناك بعد النكسة تصور يمينى وتصور يسارى وكلاهما خاطىء ، لا بدّ

من مجتمع عقلائدى جديد . ان هدف الغرب هو المحافظـــة على اسرائيل ؛ وربط المنطقة سياسيا بأمريكا ، واستغلال المنطقة اقتصاديا وربط المنطقـــة بالغرب حضاريا ولا بد أن يكون واضحا فى تقديرنا صلة اليهود بالشيوعية ودور اليهود فى السيطرة على العالم وافساده .

اقرأ : أعمدة النكسة لصلاح الدين المنجد

: المسلمون والحرب الرابعة لزهدى الفاتح

: الشعوبية الجديدة : محمد مصطفى رمضان

(١١٩)

لطفى السيد ومصطفى كامل

كان الخلاف بين لطفى السيد ومصطفى كامل عن الطريقة التى تبعث بها مصر من جـــديد بعد أن فشلت الثورة العرابية خلاف بين مدرســتين . يروى مصطفى كامل بعاطفته المشبوهة : الجهاد الوطنى المتصل بمفهوم الاسلام ويرى لطفى السيد : الاصلاح الواقعى والعمل المرحلى المتدرج المرتبط بالفكر الغربى .

ولقد كان لطفى السيد موقفه العنيف من الاسلام والعروبه واشراكه فى الوزارات التى عطلت الدستور .

وكانت مدرسة لطفى السيد هى وريثة الحركة الوطنية وهى البوتقة التى صهر فيها كرومر رجاله الذين حكموا وقادوا الحركة الوطنيـــة بعـــد الحرب . ومن بعد كان الوفد وسعد وعدلى ثروت وهذا الطاقم كله من اتباع الجريدة ولطفى السيد : مدرسة الالتقاء بالانجليز فى منتصف الطريق وتقبل كل ما يسمحون به ، والايمان العقائدى بالمنهج الليبرالى الديمقراطى الغربى واعتباره أساس العلاقة والنموذج المقبول للحياة السياسية فى مصر .

والمعروف أن النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى كله والبــــلاد العربية) قد أزاح قادة المنطقة الذين وقفوا فى وجهه وقدم رجاله بعد أن شكل لهم « كادرا » .

ففى مصر أزاح الحزب الوطنى (مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش) وقدم لطفى السيد وسعد زغلول وفى الشام أزاحوا شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالاسلام ووضعوا قادة البعث ورجال الحزب القومى السورى ورجال الجامعة الأمريكية (نبيه فارس وميشيل عفلق وقسطنطين زريق) وفى تونس أزاحوا عبد العـــزيز الثعالبى وفى الجزائر لم يمكنوا لعبد الحميـــد بن باديس أو رجاله أمثـــال الفضيل الورتلانى وغيره وفى المغرب حاولوا بين علال الفاسى ودعاة السلفية وبين أن يكون لهم نفوذ حقيقى .

محمد عبده وهربرت سبنسر

فى ١٠ أغسطس ١٩٠٣ كان لقاء محمد عبده بالفيلسوف الفرنسى هربرت سبنسر فى مدينة بريتون وقد ذهب الى هناك مع ولفرد بلنت وكان المفتى قد ذهب الى انجلترا من أجل تعريب كتاب سبنسر عن التربية .

أظهر سبنسر حسرته على اختفاء الحق من عالم السياسة الاوربية الحديثة كما استنكر حرب الترنسيفال وعدها خروجا على مبادىء الانسانية وقال ان حكم القوة آت لا ريب فيه وأن حربا عامة ستقوم فى سبيل السيادة العالمية تستعمل فيها كل أنواع الوحشية .

سأل سبنسر المفتى : هل الشرق يسير فى تفكيره على النمط الذى يسير عليه الفكر فى أوربا . أجاب الأستاذ الامام على ذلك بقوله :

أن ما يتعلمه الشرق من الغرب هو الخبيث دون الطبيب على أنه لايزال أنضج الفكر عند الاثنين سواء .

قال سبنسر اذا رجعنا الى جوهر الأمور فانى أظن أن الفكرة السائدة عن القوة الحقيقية المحركة للعالم والتى يقولون عليها (الله) ونقول عنها

أى الرب ليس فيها خلاف بينا .

أجاب الأستاذ عن ذلك اجابة أبان فيها الفرق بين الفكرتين مما لفت نظر سبنسر ولكن قال : أن التمييز فى ذلك صعب الفهم والادراك ثم قال الأستاذ : يظهر لى أنكم تعتقدون بقصور الله وهى النظرية الموجودة بين كثيرين فى أوربا .

اننا يعتقد أن الله كائن وانه ليس بشخصية وقال الامام ان الله يعلم كل شىء فى كل وقت وليس له يوم وليس له غد وهو واحد أحد صمد وعلم دائم ولا تبديل لكلماته مدرك لكل شىء ، خالد لا يتبابه الحدوث .

(١٢١)

الباكســتان

قال السجانى الربانى (ازاد سجانى) مجلة الثقافة (١٧ يونيه ١٩٤٧) انه أحد الخمسة المؤسسين للباكستان واحد الثلاثة الأوائل منهم رحمت على ، اقبال ، عبد اللطيف ، محمد على جناح ، أنما الثلاثة الأول هم . رحمت على، اقبال ، انا .

وقد سميت الباكستان منذ الأول الاسلامستان التى معناها : الدولة المسلمة (الاسلامية) لا الدولة المسلمة فقط .

وقد اوجبت أن يكون للباكستان ملحقا بالجامعة الاسلامية اذا تحققت وان يلحق بالخلافة الاسلامية ان وجدت وأن تكون دولة ربانية لا دولة نفسانية وان على الباكستان أن يشرع من نفسه فى تأسيس الجامعة الاسلامية وأن يشرع فى انشاء الخلافة الاسلامية بعد أن يؤسس الجامعة الاسلامية .

(١٢٢)

فتنـــة ١٨٦٠ في لبنـــان

مخطوطه : نوادر الزمان فى ملاحم جبل لبنان الفها اسكندر ايكاريوس على أثر فتنة عام ١٨٦٠ التى اندلعت فى لبنان وامتد لهيبها الى دمشق . الفصل الثامن الذى سماه فى ملحمة دمشق الشام واما اجـراه الأمـير عبد القادر الجزائرى فى حق النصارى من مزيد العناية والاهتمام الذى تعرض فيه لشرح تلك الفتنة السوداء التى اشترك فيها الدروز والمسلمون ولعب فيها اليهود دور الثعلب المكار ، ليصطادوا فى الماء العكر وقد دامت تسعة أيام (من ٩ الى الى ١٨ تموز ١٨٦٠) بدافع من والى دمشق انذاك أحمد باشا الذى كان قصير النظر ، سيء المعاملة ولولا الأمير عبد القـادر الجزائرى ومن حوله من المغاربة وأعيان دمشق فى حى الميدان المعـروف بشجاعة أهله وشهامتهم كسعيد النورى وصالح المهاينى لدامت الفتنة أطول ولذهب ضحيتها أكثر من خمسة آلاف مواطن برىء .

أشار المؤلف الى الدور العظيم الذى لعبه هؤلاء الجنـود الطيبـون المجهولون فى حى الميدان بعكس ما كان متوقعا ، فقد كان كثيرون من المسلمين يحمون كثيرا من المسيحيين ، وكانوا يقدمون لهم الأطعمة الفاخرة ويصرفون عليهم المصاريف الوافرة وكان فى الميدان صالح أغا المهاينى ، سـعيد أغا النورى وهما من أصحاب المروءة والدين فمنعا مسلمى الميدان ان يتعرضـوا للعيسويين وكان صالح أغا انما يقبل فى بيته أفواجا من النصارى الهاربين ويقدم لهم الأطعمة والفواكه حيذ ابعد حين .. اما الأمير عبد القادر الجزائرى فقد خلع عليه المؤلف كثيرا من صفات التبجيل والتعظيم والاحترام فانه لمـا رأى تلك الأهوال وما وقع في المدينة من الاختلال والبوار والنكال أخـذته الشفقة والحمية ودعيه شيمته الأبية الى اغاثة الطائفة النصرانية وتخليصها من هذه البلية فسارع مبادرا الى الأسواق وفرق أبطاله فى كل شارع وزقاق، وخاص فى جمهور المردة وأطفأ تلك النار المتعددة وخلص عددا كثيرا وجمعا غفيرا من الرجال والصبيان والبنات والنسوان ورفع عنهم سـيوف البغى والعدوان ، وأبدل خوفهم بالأمان فانفق عليهم مبلغا عظيما ومقدارا من المـال جسيما فتضاعفت في الارتقاء مرتبته وارتفعت عند الملك منزلته .

هذا هو الوجه المشرق لتلك الفتنة النكراء وهؤلاء أصحاب الأيادى البيضاء ويشير المؤلف الى أن أهل الميدان والمغاربة وبعض مسلمى المدينة كانوا أكثر وعيا من أولئك المشاغبين حبا بالسلب والنهب والاستيلاء على الأموال وعلى اثر هذه الفتنة الطائفية عزل الوالى أحمد باشا وحل محله فؤاد باشا فتولى محاكمة الفوضويين والمعتدين فورا وفرض عليهم العقوبات الصارمة .

وقد أشارت المخطوطة الى بعض الأسر الكريمة المجهولة التى لم تحب أن تذكر أسماؤها ، لأنها فعلت الخير من أجل الخير فآوت من لاذ بها هاربا من حد السيف .

ويختم اسكندر ايكاريوس هذا الفصل مؤكدا أن هذه الفتنة الكلية لم ترض بها أمة الاسلام وانما هى صادرة عن الأوباش المتمردين الذين تجاوزوا بارتكاباتهم حدود الشريعة والدين والله الذي أمره بين الكاف والنون ، يجازي كل قوم بما يعملون » ا.هـ .

(١٢٣)

ماســاة الأندلس

فى نهاية القرن العاشر الميلادى كانت الدولة العربية الاسلامية فى العصر الوسيط تشمل أسبانيا بينما قامت جماعات صغيرة فى الشمال الغربى على شاطىء البحر قوامها فرسان فروا من المعارك طلبا للنجاة وعاشوا فيها يقطعون الطرق ويهاجمون الحدود ثم يلوذون بقمم الجبال ونمت هذه الجماعات وتطـورت وأخذت شـكل دويلات صـغيرة دخـلت التـاريخ تحت اسـم

« ممالك الشمال المسيحية »

ومع الزمن قويت وأخذت تستغل ضعف الدولة العربية فالتهمت مدنها واحدة وراء أخرى حتى كان القرن الثالث عشر حصرتها فى مثلث رأسـه غرناطة وقاعدته مدينتا المريه والجزيرة الخضراء وذلت دولة العرب فقام من ادركها من الهرم القاتل الذى يلحق الدول من وراء الجرى وراء المغـانم والانتفاع بها وبسبب حركة الكثيرين فى الانطلاق مع كل وسائل الرفاهيـة والاستمتاع فكان ذلك بداية لأفول المجد وضياع كل ما تم من انتصارات .

تم تسليم المدينة يوم الاثنين (٢ يناير ١٤٩٢) وصرح القائد المهـزوم حاكم غرناطة فى طريقه الى ضياعه الجديدة التى قبضها ومعـه ثروته التى حصل عليها .

« ابك كالنساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه كالرجال

« زفرة العربى »

تضمنت معاهدة التسليم شروطا هامة لحماية عامة الناس ثم بـدأت اللحظة الرهيبة حين أخذ عراف الملكة على عاتقه ١٤٩٩ أن يقوم بحملة مكثفة لاكراه المسلمين على الكثلكة تحول المسجد الجامع الى كنيسة وعمد فى يوم واحد ثلاثة آلاف مسلم وأصدر قراره بجمع كل ما عند المسلمين من كتب وطلب

منهم تقديمها والا تعرضوا لأقسى العقوبات وجمع منها ما يتجاوز المليـون مخطوطه احتفظ من بينها بالكتب الطبية وأرسلها الى جامعة القلعة ثم اسلم بقيتها الى النيران فى حفل عام أقيم فى ميدان باب الرمله على مقـربة من الحمـراء .

وبدا ينتزع الأطفال من آبائهم ليربيهم على العقيدة الكاثوليكية واستولى على أوقاف المساجد بعد أن حولها الى كنائس لينفق منها على هذه الأعمال وأخذ بقية الأساقفة بوحى منه أو بدافع المنافسـة يسـابقون فى هـذه الأعمـال .

وأدت هذه الأعمال المخالفة لمعاهدة التسليم الى ثورة سكان غرناطة فأطفأها الأسبان بقسوة . وأنتهز الكرديتال الفرصة ليقول ان السـكان بثورتهم فقدوا كل الحقوق التى نصت عليها المعاهدة ومن ثم فليس أمامهم الا أمران : اما أن يصبحوا كاثوليكا أو أن يرحلوا وآثرت الأغلبية أن تبقى .

لم تنفذ بنود المعاهدة التى تضمنت الا يجبر أحد على تغيير دينه ، أو أو تؤخذ بذنب غيره والا يرغم من أسلم من الكاثوليك على العودة الى دينه .

عمل أسقف غرناطة فى حمل المسيحيين على ن يصـبحوا كاثوليكا واستجاب له فى البدء بعض الأسر الغنية والعريقة على حين قاومت جماهير العامة هذا الاتجاه بعنف وفى مواجهة قوة غاسمة .

أصدر الكاردينال أوامره بتعميد كل المسلمين والذين رفضوا الأمر فروا بجبال البشرات القريبة من غرناطة وهى منطقة جبلية صعبة الغاية . .

أطلق على المسلمين المتنصرين اسم المسيحيون الجدد ودخلوا التاريخ تحت اسم الموريكسوس ورغم قبولهم الدين الجديد ظاهرا كانوا موضع احتقار ظاهر ويعاملون كما لو كانوا رقيقا .

وسارت حملة الكثلكة فى بقية بلاد الأندلس على نحو ما سارت عليه فى بلاد غرناطة وسنة ١٥٢٦ لمحاكمة التفتيش أن كثلكة هـؤلاء المسلمين عمـل ظاهرى بحث ، القصد منه الافلات من الملاحقة .

وتبين أنهم ازدادوا تمسكا باتخاذ العربية وسيلة للحديث وانهم يجهلون اللغة الأسبانية .

وإزاء ذلك تقرر اخضاع الموريسكوس لمحاكمة التفتيش ولم يكونوا يخضعون لها من قبل . وبدأت الأوامر بهدم الحمامات العربية أو التحدث باللغة العربية او ارتداء الملابس العربية .

وتتبين اخيرا لمحاكم التفتيش بعد محاكمة اربعين الفا بأن كل الذين اعتنقوا الكاثوليكية مكرهين احتفظوا سرا باسلامهم تقية فصدر القرار بطردهم من وطنهم ١٦١٣ وكانوا قرابة المليونين وتخلف منهم عدة آلاف .

دكتور طاهر احمد مكى

« فى القريب ان شاء الله نقدم القسم الثانى من هذه الوثائق »

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨١/٤١٨٥
مطبعة المنصورة ٣٠ شارع العطار ـ شبرا ـ القاهرة

هذا الكتاب

حفل القرن الرابع عشر الهجرى بأحداث خطيرة جرت على ساحة « القارة الإسلامية » فقد بدأت الحملة الاستعمارية على الهند وأندونيسيا قبل ذلك ثم توالت خلال القرن على الجزائر ومصر والبلاد العربية فى محاولة وصفت بأنها ترمى « إلى تطويق عالم الإسلام » هذه المؤامرة الخطيرة كانت بمثابة عودة الحروب الصليبية مرة أخرى إلى بلاد المسلمين بعد أن هزمت آخر قوافلها قبل أربعمائة عام .

هذه المؤامرة التى بدأت قبل القرن الرابع عشر واستمرت خلاله كتبت عنها مئات الأبحاث وصدرت عنها عشرات المراجع ولكنه فى خلال الفترة الماضية ظهرت مجموعة كبرى من الوثائق من شأنها أن تغير المفاهيم التى كانت محجوبة حتى لا يهتدى المسلمون إلى حقائق الأمور وإلى المصادر الحقيقية للخطط التى رتبتها القوى الغازية التى تسترت تحت ألوية النفوذ الغربى والصهيونية والشيوعية بهدف (احتواء عالم الإسلام) والتى صدرت فى الأساس عن مخطط دقيق استهدف إعلان (حرب الكلمة) على العالم الإسلامى بعد أن فشلت الحرب العسكرية فى الحروب الصليبية فكانت تلك الخطط التى استهدفت ضرب مفهوم الإسلام نفسه واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الغربى وتأويله وإخراجه عن مفهومه الأصيل الجامع فى سبيل تحقيق غاية مستورة بعيدة المدى هى (القضاء على الذاتية الإسلامية) وعلى (التميز الواضح) الذى أعطاه الإسلام لهذه الأمة لتكون أمة مفردة بأهدافها وغاياتها تحمل لواء التوحيد الخالص إلى آخر الزمان وتقدمه للعالمين وبها يظهر الله الإسلام على الدين كله ومن خلال هذه الدراسة نقدم هذه الوثائق التى سوف تعطى الدارسين لتاريخ الإسلام المعاصر أضواء جديدة والله الموفق .

الناشر

٢٠٠ قرش